
www.kotobarabia.com
د. محمد مورو
www.kotobarabia.com
ماذا بعد
الهزيمة الأمريكيّة في العراق!

ما بعد الهزيمة الأمريكية في العراق

د. محمد مورو

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الو رقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

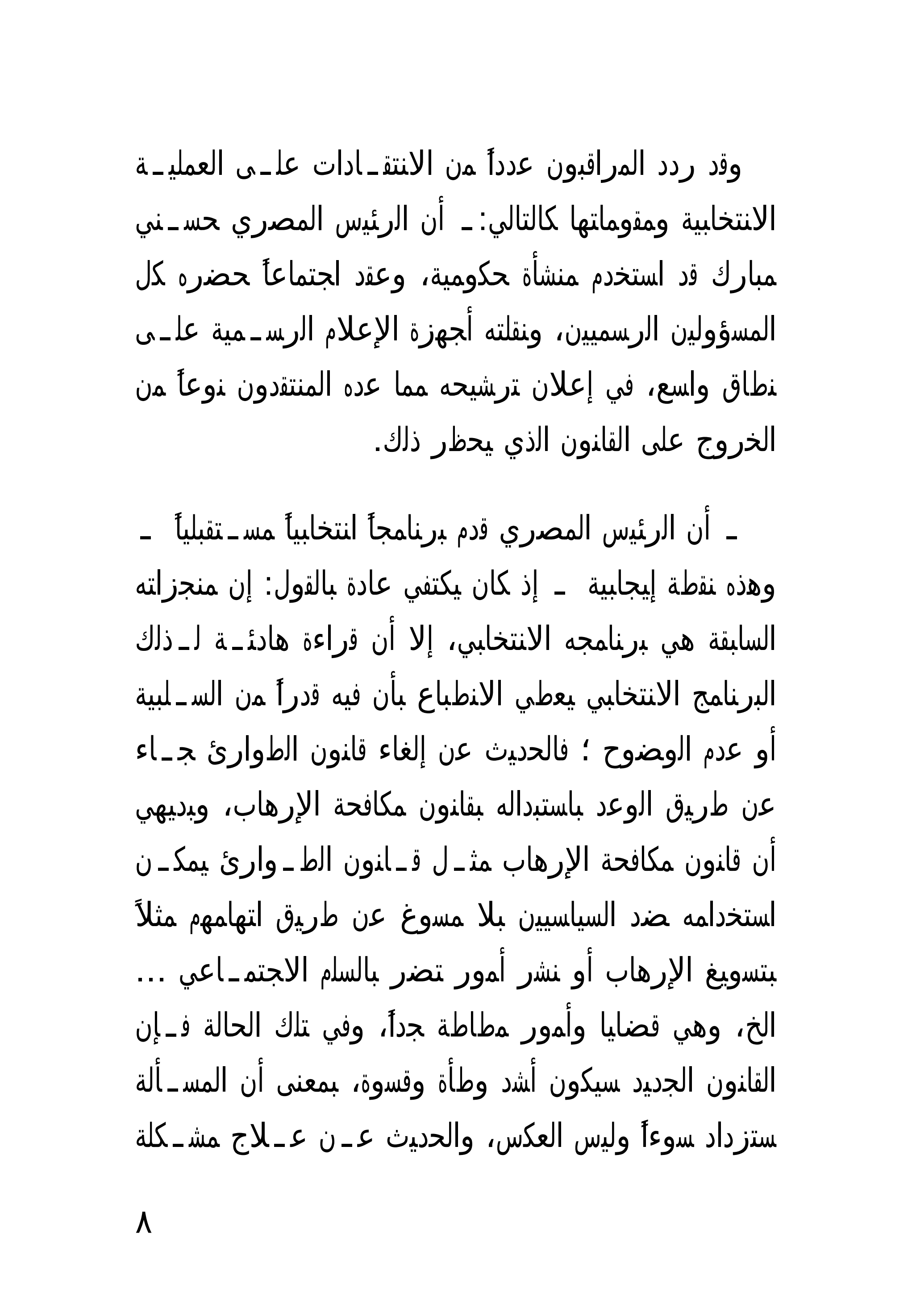


انتخابات رئاسية تعددية... ولكن..!!

تجري الانتخابات الرئاسية في مصر بين أكثر من مرشح، وهذا يحدث لأول مرة في تاريخ البلاد. وهي خطوة إلى الأمام بلا شك .. ولكن الكثير من الملاحظات تبدو للوهلة الأولى بما يفرغ هذه التعددية من مضمونها؛ فعلى سبيل المثال فإن عدداً كبيراً من المرشحين المستقلين سحبوا أوراق الترشيح وتقدموا من ثم للجان الترشيح، ولكن أحداً منهم لم تُقبل أوارقه لافتقادها شرطاً أساسياً - ومستحيل التحقق عملياً - وهو الحصول على تزكية من (٢٥٠) عضواً من مجلس الشعب والشورى والمجالس المحلية في (١٤) محافظة على الأقل، وهكذا فقد حرم القانون المستقلين عملياً من المشاركة في الانتخابات، ولا شك أن حرمان المستقلين من هذا الحق كان مقصوداً لتفريغ تلك التعددية من مضمونها؛ لأنه كان من الممكن أن يحظى هؤلاء المستقلون أو واحد منهم على الأقل على نوع من إجماع المعارضة الرسمية وغير الرسمية، أو تقوم جماعة الإخوان مثلاً "قوة المعارضة الرئيسة" بترشيح أحد المستقلين ثم تقف خلفه، ولا

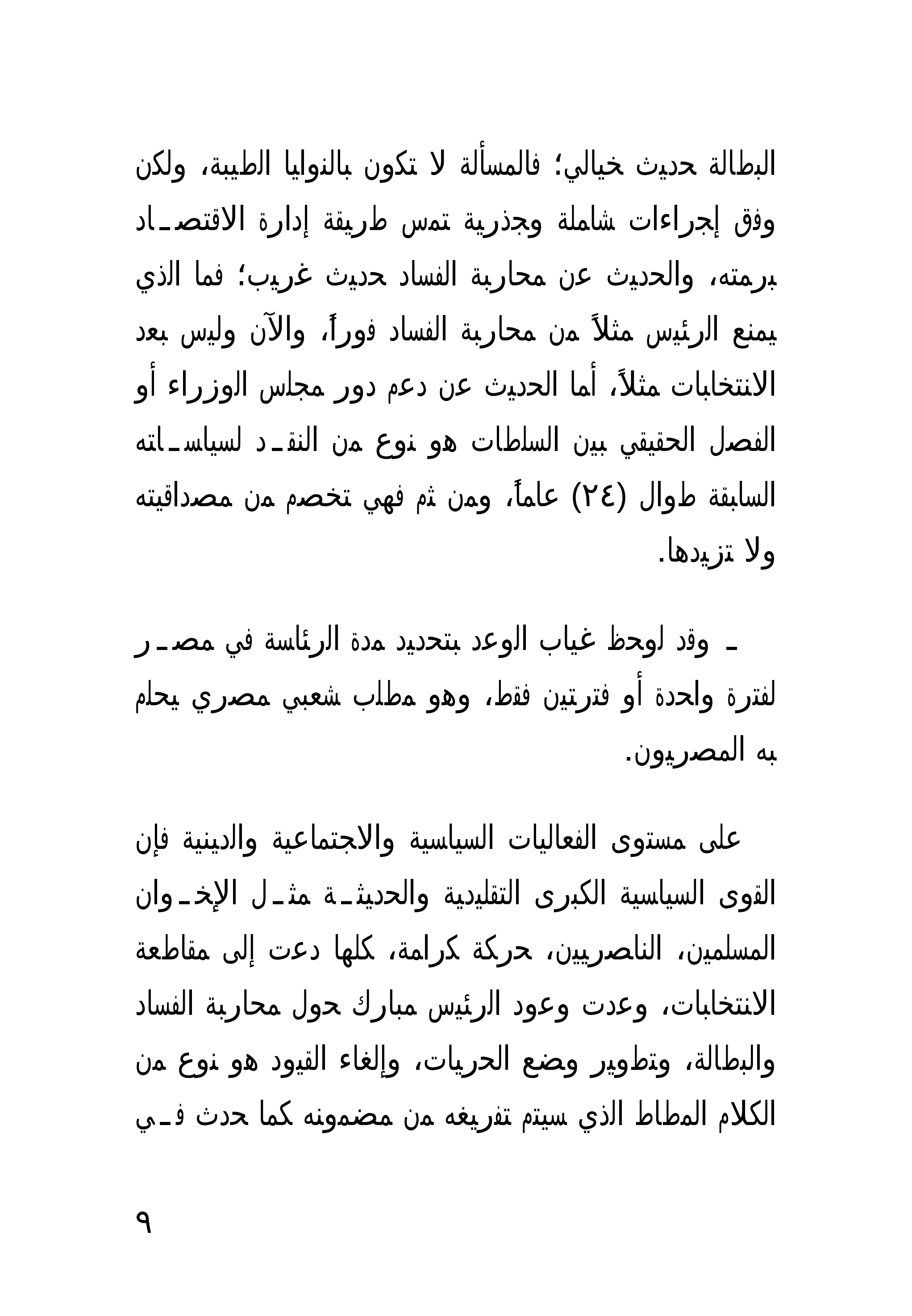
شك أن ذلك كان سيعطي الانتخابات طعماً مختلفاً، ويحولهـا إلى معركة حقيقية، وليس مجرد ديكور لتجميل إعادة انتخاب الرئيس مبارك.

ـ إن الذين سمح لهم بخوض المعركة كانوا من مرشحي الأحزاب ـ بعض الأحزاب ـ طبعاً ـ إذ قاطعت الأحزاب الكبيرة هذه الانتخابات، ومن ثم فإن المعركة كانت محسومة سلفاً، وهو ما دفع كل الحركات ذات التأثير والقوى السياسية الفاعلة أو التي لديها قدر لا بأس به من الفاعلية إلى مقاطعة الانتخابات، ونلاحظ أن القانون استثنى ـ لمـرة واحـدة ـ مرشحي الأحزاب من شرط الحصول علـى تزكيـة الـ ـ (٢٥٠) من أعضاء مجلسي الشعب والشـورى والمحليـات.
ـ إن كل من تقدم للترشيح من مرشحي الأحزاب، كانوا من الأحزاب شبه المؤيدة للحكومة، ومن ثم فإن البرامج تشابهت والإثارة افتقدت تماماً؛ بل إن بعض مرشحي تلك الأحـزاب كان يستهدف الحصول على الدعم المالي والإعلامي المتـاح لكل مرشح لصالح حزبه في حالة حسن النية ولصالح نفسـه في حالات أخرى.



وقد ردد المراقبون عدداً من الانتقـادات علـى العمليـة الانتخابية ومقوماتها كالتالي: ـ أن الرئيس المصري حسـني مبارك قد استخدم منشأة حكومية، وعقد اجتماعاً حضره كل المسؤولين الرسميين، ونقلته أجهزة الإعلام الرسـمية علـى نطاق واسع، في إعلان ترشيحه مما عده المنتقدون نوعاً من الخروج على القانون الذي يحظر ذلك.

ـ أن الرئيس المصري قدم برنامجاً انتخابياً مسـتقبلياً ـ وهذه نقطة إيجابية ـ إذ كان يكتفي عادة بالقول: إن منجزاته السابقة هي برنامجه الانتخابي، إلا أن قراءة هادئـة لـذلك البرنامج الانتخابي يعطي الانطباع بأن فيه قدراً من السـلبية أو عدم الوضوح ؛ فالحديث عن إلغاء قانون الطوارئ جـاء عن طريق الوعد باستبداله بقانون مكافحة الإرهاب، وبديهي أن قانون مكافحة الإرهاب مثـل قـانون الطـوارئ يمكـن استخدامه ضد السياسيين بلا مسوغ عن طريق اتهامهم مثلاً بتسويغ الإرهاب أو نشر أمور تضر بالسلم الاجتمـاعي ... الخ، وهي قضايا وأمور مطاطة جداً، وفي تلك الحالة فـإن القانون الجديد سيكون أشد وطأة وقسوة، بمعنى أن المسـألة ستزداد سوءاً وليس العكس، والحديث عـن عـلاج مشـكلة

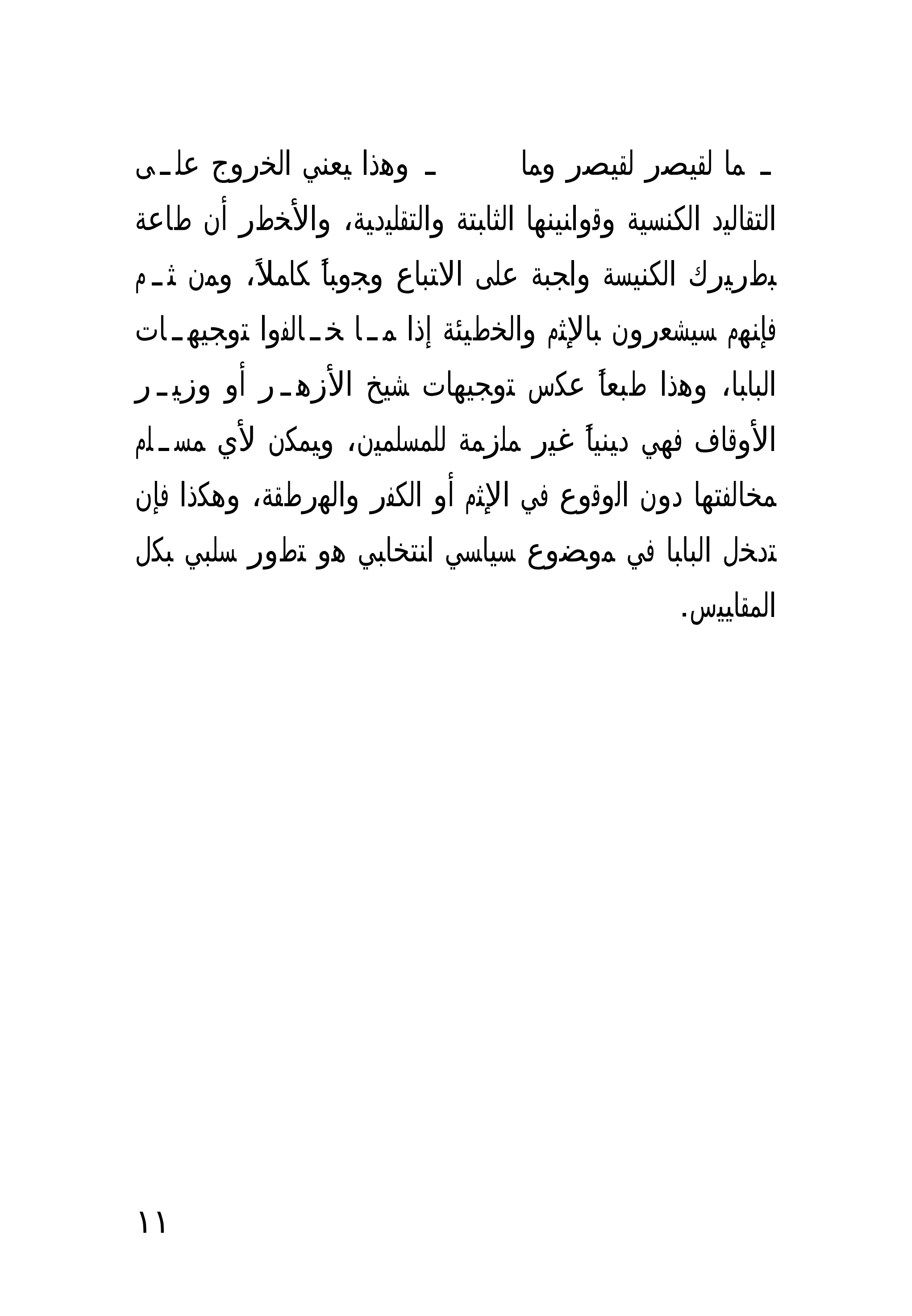


البطالة حديث خيالي؛ فالمسألة لا تكون بالنوايا الطيبة، ولكن وفق إجراءات شاملة وجذرية تمس طريقة إدارة الاقتصـاد برمته، والحديث عن محاربة الفساد حديث غريب؛ فما الذي يمنع الرئيس مثلاً من محاربة الفساد فوراً، والآن وليس بعد الانتخابات مثلاً، أما الحديث عن دعم دور مجلس الوزراء أو الفصل الحقيقي بين السلطات هو نوع من النقـد لسياسـاته السابقة طوال (٢٤) عاماً، ومن ثم فهي تخصم من مصداقيته ولا تزيدها.

ـ وقد لوحظ غياب الوعد بتحديد مدة الرئاسة في مصـر لفترة واحدة أو فترتين فقط، وهو مطلب شعبي مصري يحلم به المصريون.

على مستوى الفعاليات السياسية والاجتماعية والدينية فإن القوى السياسية الكبرى التقليدية والحديثـة مثـل الإخـوان المسلمين، الناصريين، حركة كرامة، كلها دعت إلى مقاطعة الانتخابات، وعدت وعود الرئيس مبارك حول محاربة الفساد والبطالة، وتطوير وضع الحريات، وإلغاء القيود هو نوع من الكلام المطاط الذي سيتم تفريغه من مضمونه كما حدث فـي

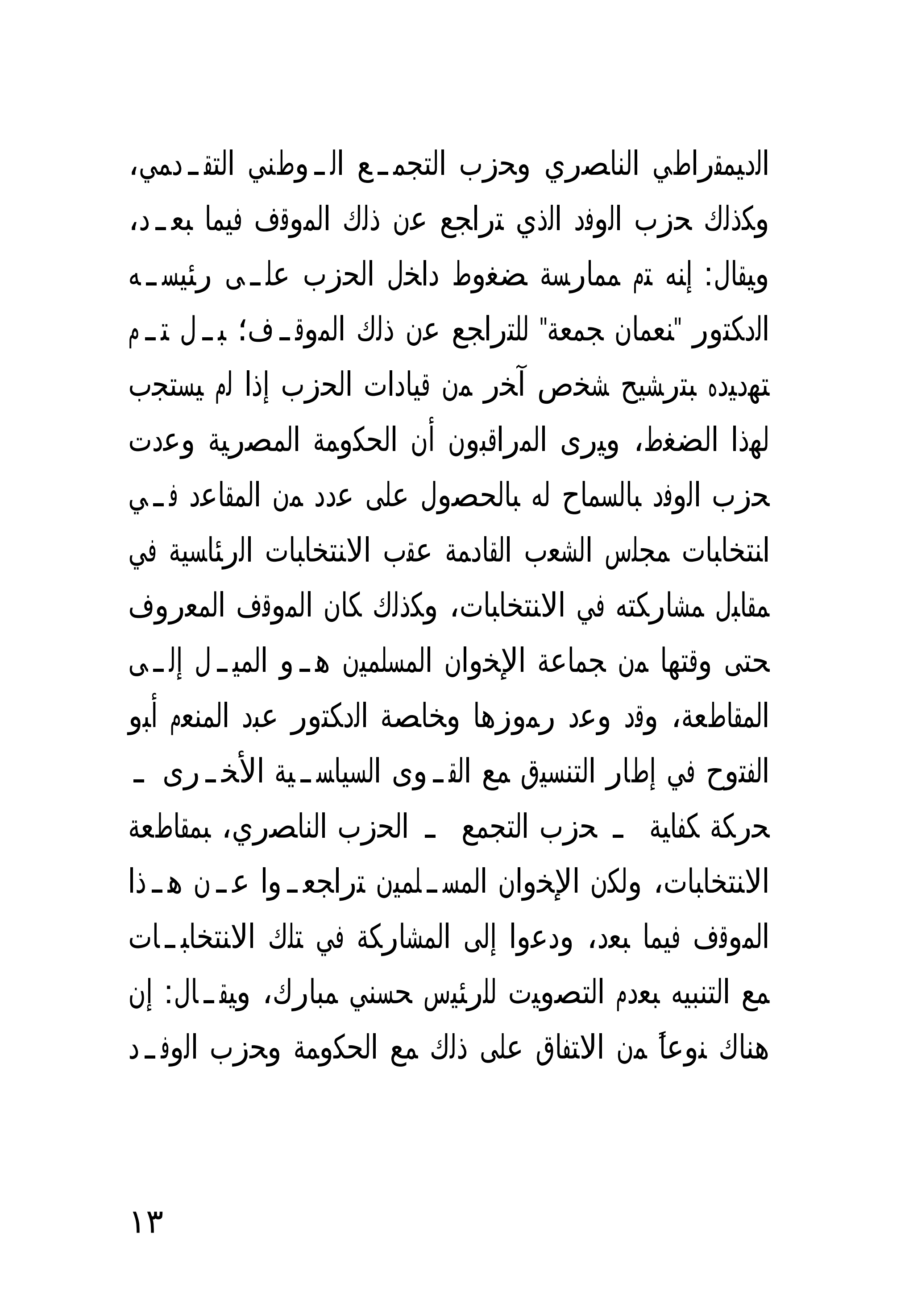
حالات كثيرة سابقة، ولكن في نفـس الوقـت فـإن بعـض المراقبين يرى أن الحركة السياسية في مصر قد حققت تقدماً حقيقياً على الأرض؛ فهناك تظاهرات علنية متكررة، وهناك حركة في النقابات وأندية هيئات تدريس الجامعات، والقضاة، وهناك صحف وحديث علني ومقالات وخطب تتحدث مباشرة عن الرئيس وابن الرئيس وزوجة الرئيس، وهـي خطـوط حمـراء لـم يكـن مـن الممكـن تجاوزهـا بسـهولة. على الجانب الآخر؛ فإن الرموز الدينيـة الرسـمية أعلنـت تأييدها للرئيس مبارك بطريقة أو أخرى مثل شيخ الأزهـر ووزيـر الأوقـاف والبابـا شـنودة بطريركـك الكنيسـة الأرثوذكسية، ولعل هذه النقطة من العلامات التـي تسـتحق التأمل، فإذا كان إعلام النظام الرسمي، والقوانين الموضوعة تقول بضرورة عدم خلط الدين بالسياسة، فإن الحكومة نفسها هي التي تخلّت - وكانت تتخلّى دائماً - عن هـذا الشـعار المرفوع مع ملاحظة أن هناك خطورة شديدة فـي إعـلان بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية ذلك؛ لأنه من المفروض أنـه أب روحي فقط، وقوانين الكنيسة المصرية وتراثها التاريخي المعروف يفصل تماماً بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية

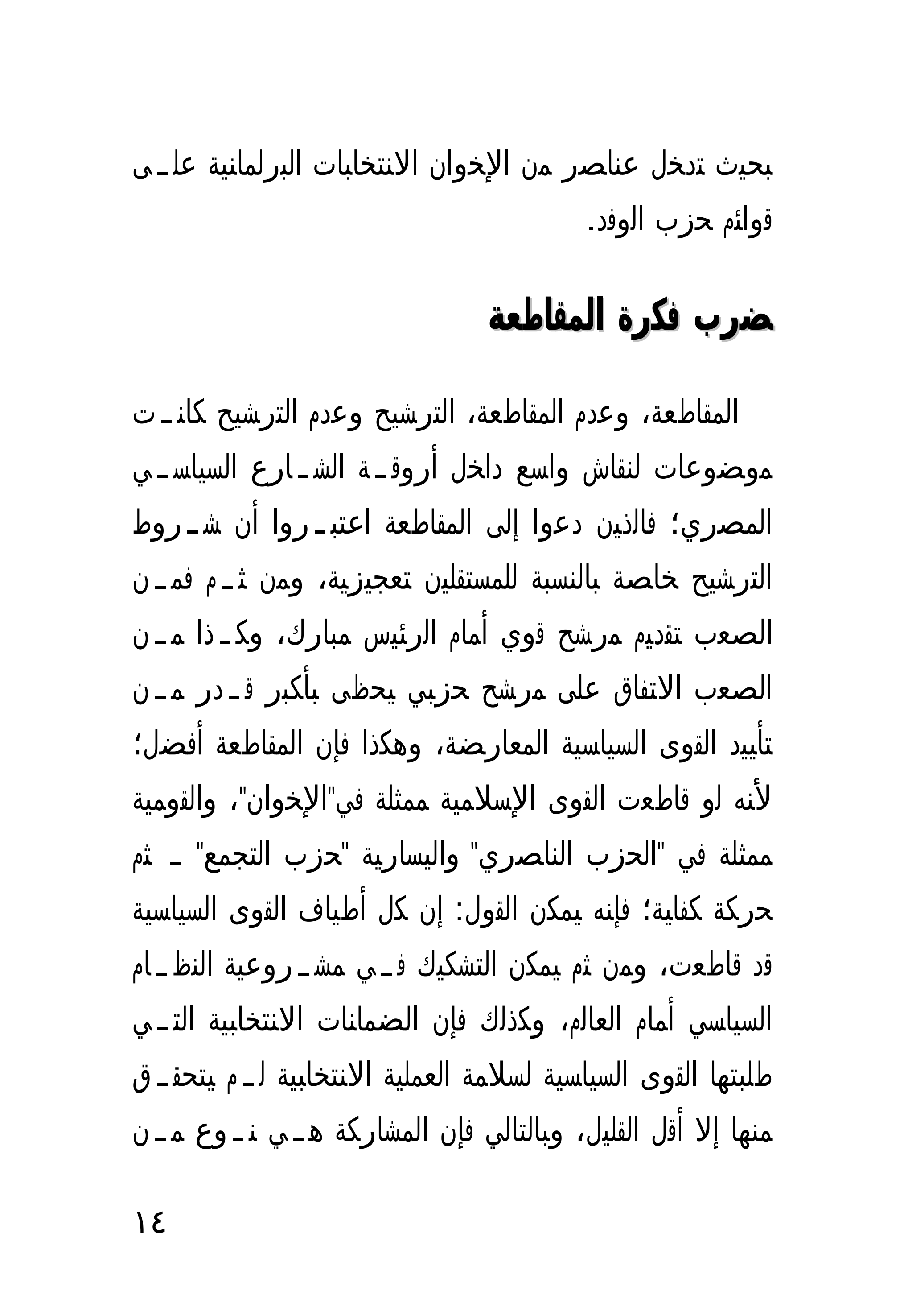


ـ ما لقيصر لقيصر وما ـ وهذا يعني الخروج علـى التقاليد الكنسية وقوانينها الثابتة والتقليدية، والأخطر أن طاعة بطريرك الكنيسة واجبة على الاتباع وجوباً كاملاً، ومن ثـم فإنهم سيشعرون بالإثم والخطيئة إذا مـا خـالفوا توجيهـات البابا، وهذا طبعاً عكس توجيهات شيخ الأزهـر أو وزيـر الأوقاف فهي دينياً غير ملزمة للمسلمين، ويمكن لأي مسـلم مخالفتها دون الوقوع في الإثم أو الكفر والهرطقة، وهكذا فإن تدخل البابا في موضوع سياسي انتخابي هو تطور سلبي بكل المقاييس.

انتخابات مصر.. وغياب البعد الإسلامي

إذا كان من شبه المؤكد أن يفوز الرئيس المصري محمد حسني مبارك بالانتخابات الرئاسية؛ فإنه كان من المأمول أن تكون المعركة الانتخابية فرصة لإرسال رسائل شعبية إلـى النظام المصري، بمعنى أن يشعر الرئيس أن هناك رغبـات شعبية معينة يجب عليه احترامها أو أخذها في اعتباره حتى بعد فوزه، وهذا بالطبع كان يقتضي وجود مرشحين أقويـاء قادرين على حمل الرسالة الشعبية بقوة، ومن ثم إيصالها إلى النظام السياسي، وهذا لـم يحـدث لأن شـروط الترشـيح للانتخابات استبعدت عن عمد إمكانية ترشـيح أي مسـتقل، ومن ثم حصر المرشحين في مرشحي الأحزاب السياسـية، ورغم وجود أكثر من (٢٠) حزباً سياسياً في مصـر إلا أن معظمها أحزاب صغيرة وهامشية وبلا تواجـد واسـع فـي الشارع المصري، وهكذا غابت إمكانية ترشيح مرشح تقـف وراءه القوى السياسية الرئيسة في الـبلاد، الإسـلاميون ـ القوميون، وكان عدد من الأحزاب والقوى السياسية قد أعلن مقاطعته للانتخابات الرئاسية مثل حركة "كفايـة"، الحـزب

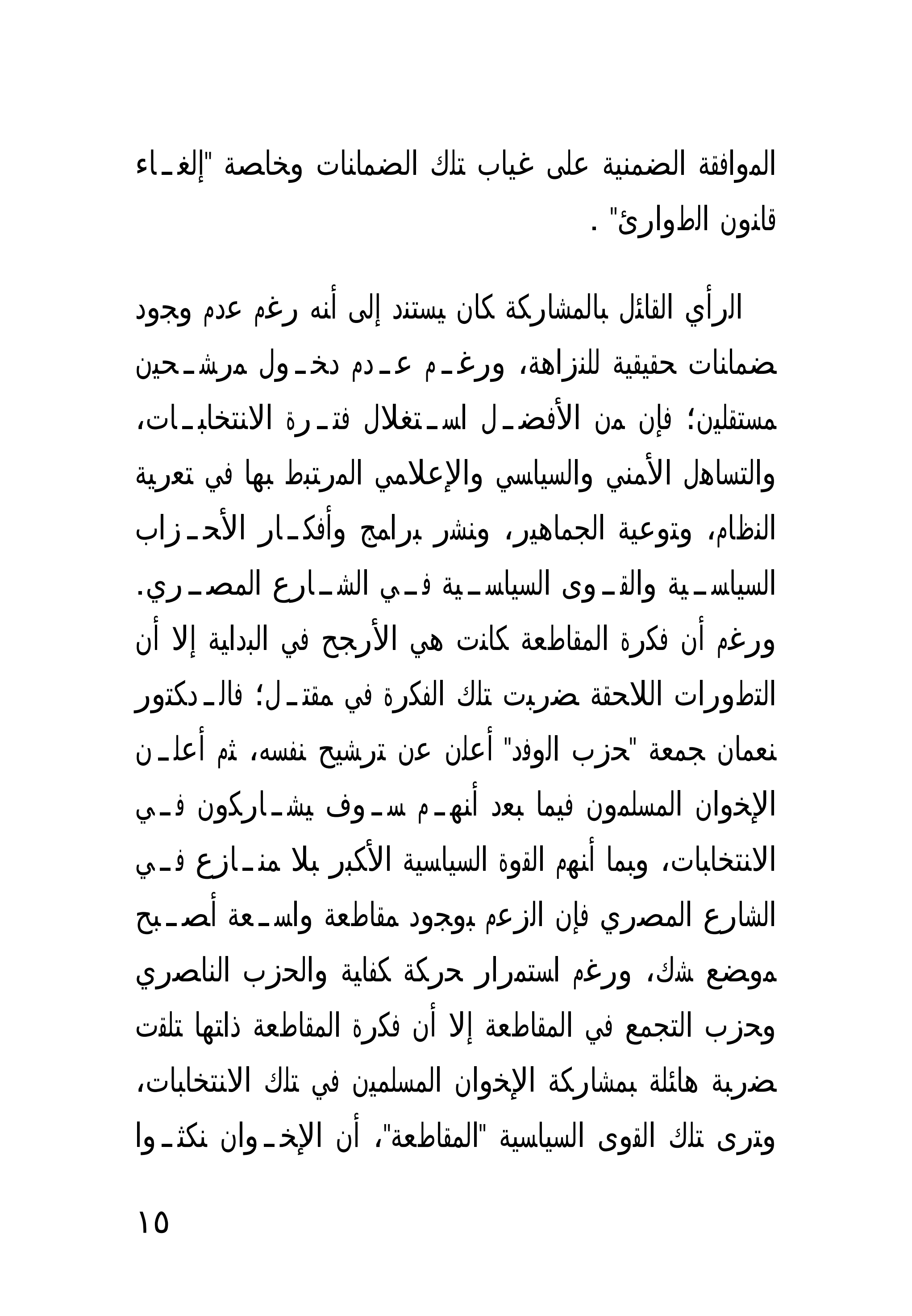

الديمقراطي الناصري وحزب التجمـع الـوطني التقـدمي، وكذلك حزب الوفد الذي تراجع عن ذلك الموقف فيما بعـد، ويقال: إنه تم ممارسة ضغوط داخل الحزب علـى رئيسـه الدكتور "نعمان جمعة" للتراجع عن ذلك الموقـف؛ بـل تـم تهديده بترشيح شخص آخر من قيادات الحزب إذا لم يستجب لهذا الضغط، ويرى المراقبون أن الحكومة المصرية وعدت حزب الوفد بالسماح له بالحصول على عدد من المقاعد فـي انتخابات مجلس الشعب القادمة عقب الانتخابات الرئاسية في مقابل مشاركته في الانتخابات، وكذلك كان الموقف المعروف حتى وقتها من جماعة الإخوان المسلمين هـو الميـل إلـى المقاطعة، وقد وعد رموزها وخاصة الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح في إطار التنسيق مع القـوى السياسـية الأخـرى ـ حركة كفاية ـ حزب التجمع ـ الحزب الناصري، بمقاطعة الانتخابات، ولكن الإخوان المسـلمين تراجعـوا عـن هـذا الموقف فيما بعد، ودعوا إلى المشاركة في تلك الانتخابـات مع التنبيه بعدم التصويت للرئيس حسني مبارك، ويقـال: إن هناك نوعاً من الاتفاق على ذلك مع الحكومة وحزب الوفـد



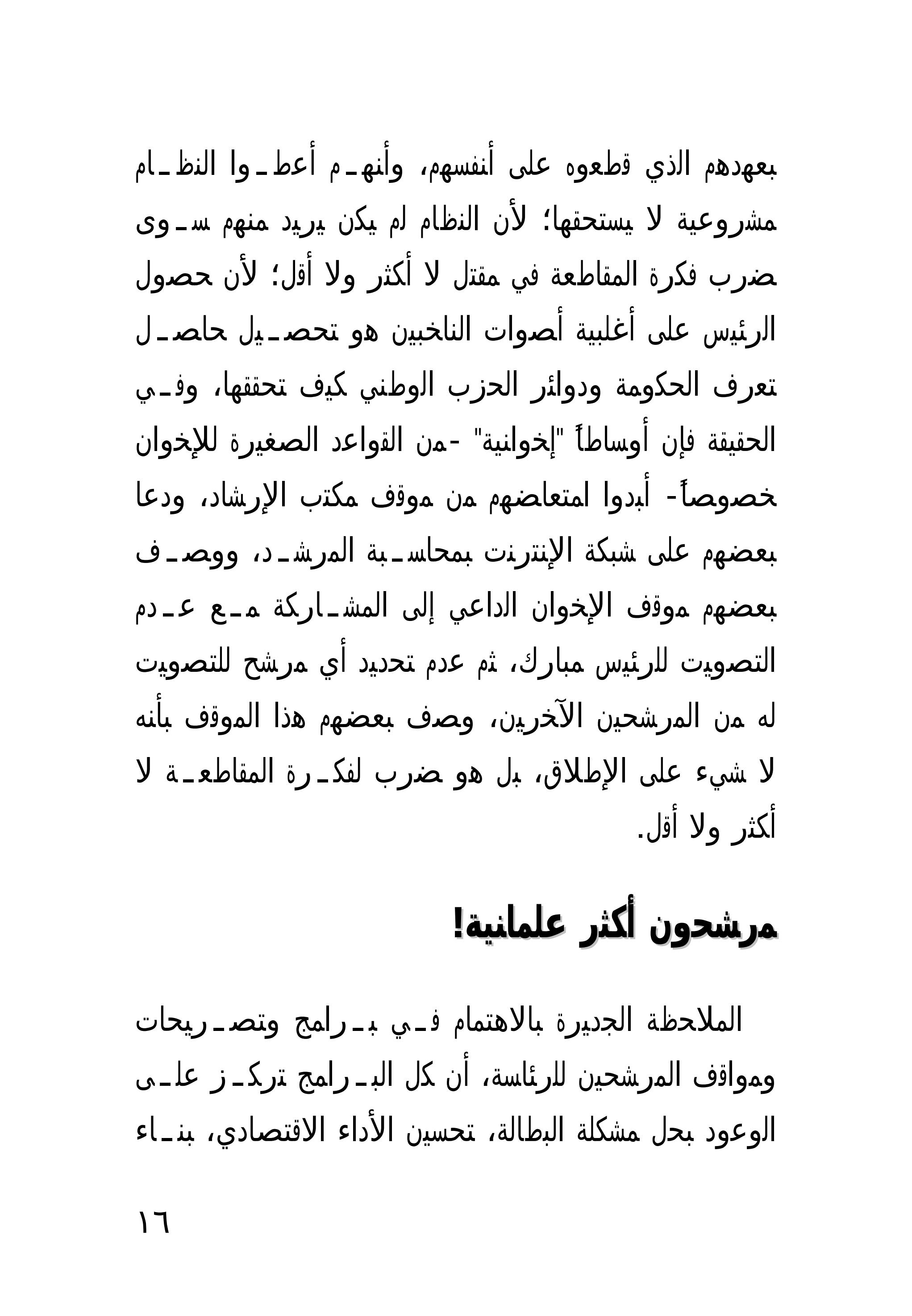
بحيث تدخل عناصر من الإخوان الانتخابات البرلمانية على قوائم حزب الوفد.

ضرب فكرة المقاطعة

المقاطعة، وعدم المقاطعة، الترشيح وعدم الترشيح كانت موضوعات لنقاش واسع داخل أروقة الشارع السياسي المصري؛ فالذين دعوا إلى المقاطعة اعتبروا أن شروط الترشيح خاصة بالنسبة للمستقلين تعجيزية، ومن ثم فمن الصعب تقديم مرشح قوي أمام الرئيس مبارك، وكذا من الصعب الاتفاق على مرشح حزبي يحظى بأكبر قدر من تأييد القوى السياسية المعارضة، وهكذا فإن المقاطعة أفضل؛ لأنه لو قاطعت القوى الإسلامية ممثلة في"الإخوان"، والقومية ممثلة في "الحزب الناصري" واليسارية "حزب التجمع" ـ ثم حركة كفاية؛ فإنه يمكن القول: إن كل أطياف القوى السياسية قد قاطعت، ومن ثم يمكن التشكيك في مشروعية النظام السياسي أمام العالم، وكذلك فإن الضمانات الانتخابية التي طلبتها القوى السياسية لسلامة العملية الانتخابية لم يتحقق منها إلا أقل القليل، وبالتالي فإن المشاركة هي نوع من


الموافقة الضمنية على غياب تلك الضمانات وخاصة "إلغـاء قانون الطوارئ" .

الرأي القائل بالمشاركة كان يستند إلى أنه رغم عدم وجود ضمانات حقيقية للنزاهة، ورغـم عـدم دخـول مرشـحين مستقلين؛ فإن من الأفضـل اسـتغلال فتـرة الانتخابـات، والتساهل الأمني والسياسي والإعلامي المرتبط بها في تعرية النظام، وتوعية الجماهير، ونشر برامج وأفكـار الأحـزاب السياسـية والقـوى السياسـية فـي الشـارع المصـري. ورغم أن فكرة المقاطعة كانت هي الأرجح في البداية إلا أن التطورات اللاحقة ضربت تلك الفكرة في مقتـل؛ فالـدكتور نعمان جمعة "حزب الوفد" أعلان عن ترشيح نفسه، ثم أعلـن الإخوان المسلمون فيما بعد أنهـم سـوف يشـاركون فـي الانتخابات، وبما أنهم القوة السياسية الأكبر بلا منـازع فـي الشارع المصري فإن الزعم بوجود مقاطعة واسـعة أصـبح موضع شك، ورغم استمرار حركة كفاية والحزب الناصري وحزب التجمع في المقاطعة إلا أن فكرة المقاطعة ذاتها تلقت ضربة هائلة بمشاركة الإخوان المسلمين في تلك الانتخابات، وترى تلك القوى السياسية "المقاطعة"، أن الإخـوان نكثـوا



بعهدهم الذي قطعوه على أنفسهم، وأنهـم أعطـوا النظـام مشروعية لا يستحقها؛ لأن النظام لم يكن يريد منهم سـوى ضرب فكرة المقاطعة في مقتل لا أكثر ولا أقل؛ لأن حصول الرئيس على أغلبية أصوات الناخبين هو تحصـيل حاصـل تعرف الحكومة ودوائر الحزب الوطني كيف تحققها، وفـي الحقيقة فإن أوساطاً "إخوانية" -من القواعد الصغيرة للإخوان خصوصاً- أبدوا امتعاضهم من موقف مكتب الإرشاد، ودعا بعضهم على شبكة الإنترنت بمحاسـبة المرشـد، ووصـف بعضهم موقف الإخوان الداعي إلى المشـاركة مـع عـدم التصويت للرئيس مبارك، ثم عدم تحديد أي مرشح للتصويت له من المرشحين الآخرين، وصف بعضهم هذا الموقف بأنه لا شيء على الإطلاق، بل هو ضرب لفكـرة المقاطعـة لا أكثر ولا أقل.

مرشحون أكثر علمانية!

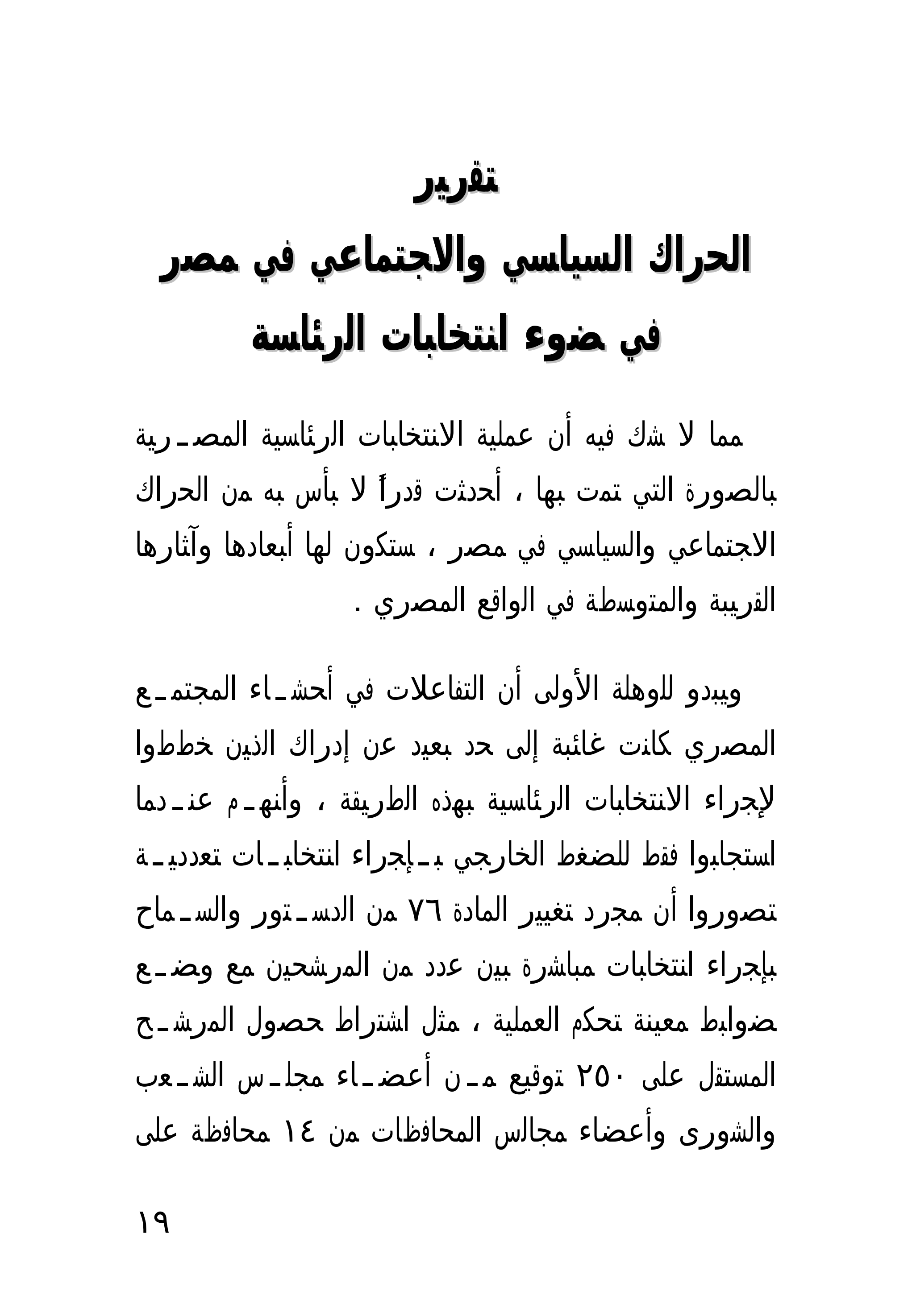
الملاحظة الجديرة بالاهتمام فـي بـرامج وتصـريحات ومواقف المرشحين للرئاسة، أن كل البـرامج تركـز علـى الوعود بحل مشكلة البطالة، تحسين الأداء الاقتصادي، بنـاء

مساكن للشباب، رفع المرتبات للموظفين، إلغاء قانون الطوارئ...الخ أي التركيز على القضايا الداخلية، مع غياب كامل لأي حديث عن الدور العربي أو القومي أو الإسلامي لمصر، وكذلك غياب الحديث عن مستقبل العلاقة مع إسرائيل وكامب ديفيد، والعلاقة مع الأمريكان والموقف من المسألة العراقية، ويمكننا أن نقول إجمالاً: إن الدكتور نعمان جمعة يطرح أفكاراً ليبرالية، أي أن المعركة مع النظام الحالي بين ما يمكن أن نصفه بشيء من التجاوز "ليبرالية وأكثر ليبرالية، أو علمانية وأكثر علمانية".

أما الدكتور أيمن نور؛ فإنه لا يخفي إعجابه بأمريكا، وهو لا يتحدث عن الموضوع الإسرائيلي إلا في إطار زيادة مساحة "الكويز" أي المزيد من التطبيع معها، وهكذا يمكن أن نصف المعركة بين أيمن نور والنظام بأنها معركة بين التطبيع والأكثر تطبيعاً، أو المزيد من المهادنة مع أمريكا وإسرائيل.

ولا شك أن سير المعركة بهذه الطريقة يعطي انطباعاً خاطئاً بأن البعد الإسلامي والقومي والوطني ليست له أهمية

كبيرة، وأن مطالب قطع العلاقات مع إسرائيل أو أمريكـا أو دعم قضايا العرب والمسلمين ليست علـى أجنـدة اهتمـام الشارع المصري، وهـو ولا شـك نـوع مـن المقاطعـة المقصودة، وربما كان ذلك في وعي من صمم المعركة بهذه الطريقة.

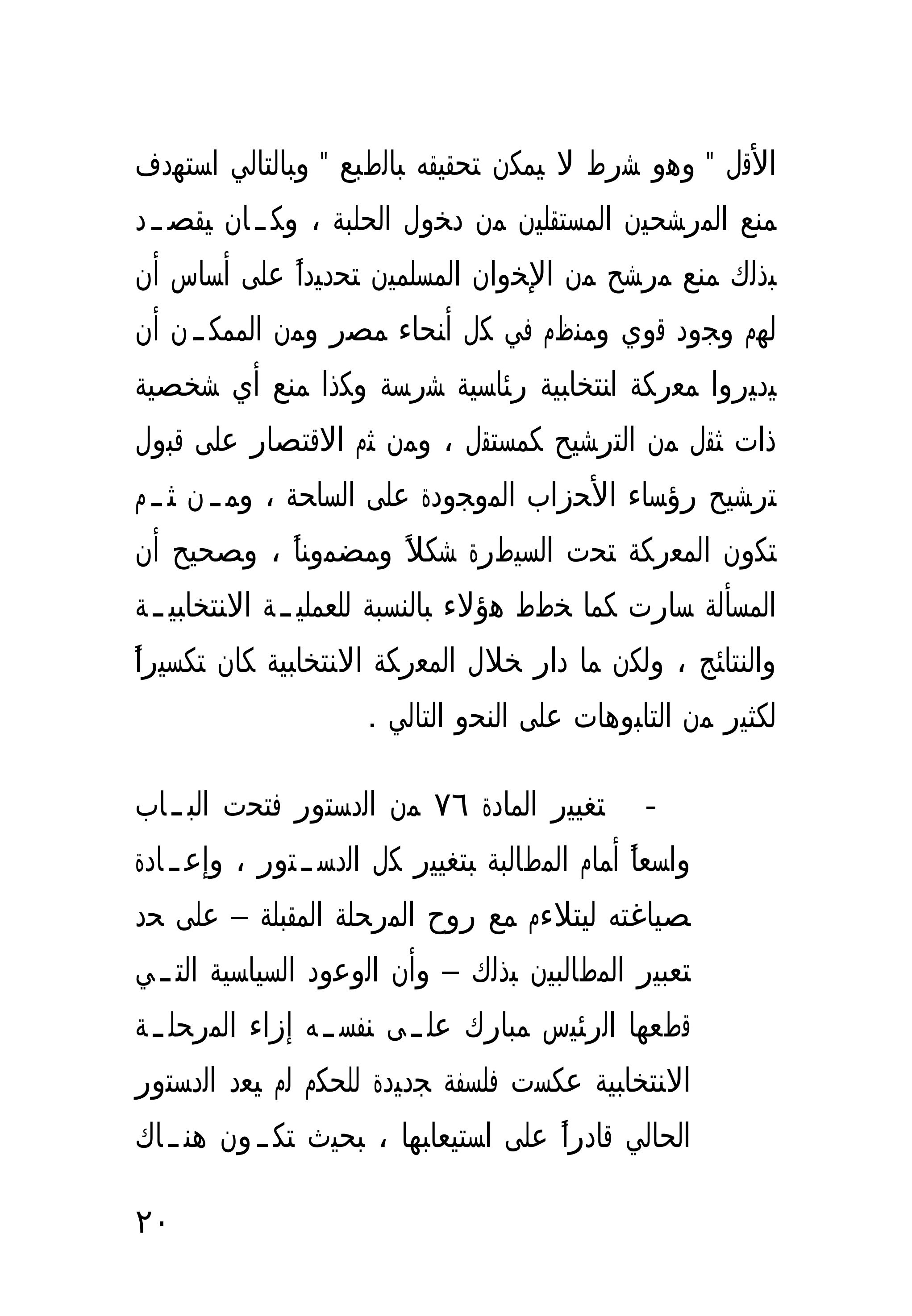


تقرير

الحراك السياسي والاجتماعي في مصر في ضوء انتخابات الرئاسة

مما لا شك فيه أن عملية الانتخابات الرئاسية المصرية بالصورة التي تمت بها ، أحدثت قدراً لا بأس به من الحراك الاجتماعي والسياسي في مصر ، ستكون لها أبعادها وآثارها القريبة والمتوسطة في الواقع المصري .

ويبدو للوهلة الأولى أن التفاعلات في أحشاء المجتمع المصري كانت غائبة إلى حد بعيد عن إدراك الذين خططوا لإجراء الانتخابات الرئاسية بهذه الطريقة ، وأنهم عندما استجابوا فقط للضغط الخارجي بإجراء انتخابات تعددية تصوروا أن مجرد تغيير المادة ٧٦ من الدستور والسماح بإجراء انتخابات مباشرة بين عدد من المرشحين مع وضع ضوابط معينة تحكم العملية ، مثل اشتراط حصول المرشح المستقل على ٢٥٠ توقيع من أعضاء مجلس الشعب والشورى وأعضاء مجالس المحافظات من ١٤ محافظة على

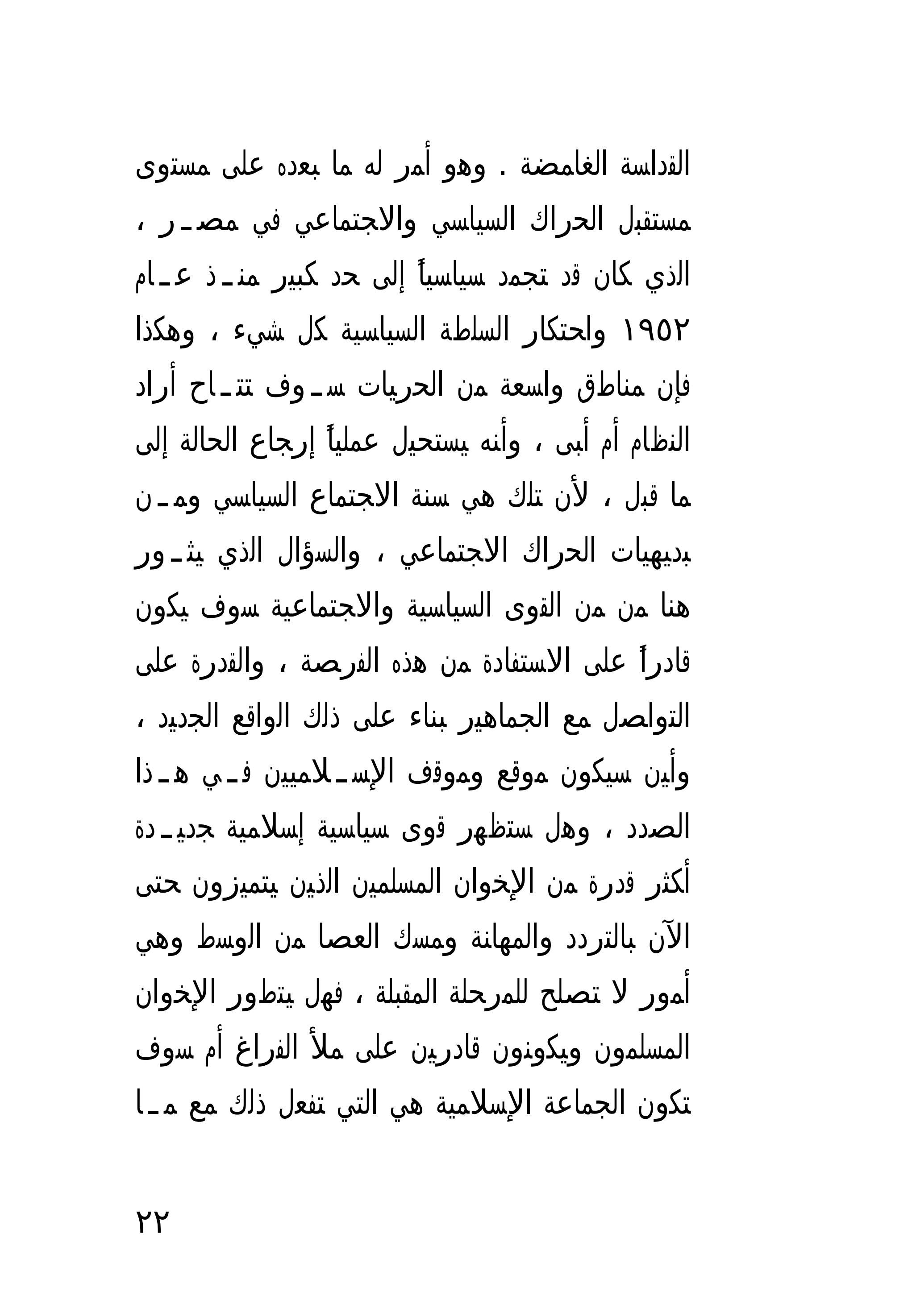


الأقل " وهو شرط لا يمكن تحقيقه بالطبع " وبالتالي استهدف منع المرشحين المستقلين من دخول الحلبة ، وكـان يقصـد بذلك منع مرشح من الإخوان المسلمين تحديداً على أساس أن لهم وجود قوي ومنظم في كل أنحاء مصر ومن الممكـن أن يديروا معركة انتخابية رئاسية شرسة وكذا منع أي شخصية ذات ثقل من الترشيح كمستقل ، ومن ثم الاقتصار على قبول ترشيح رؤساء الأحزاب الموجودة على الساحة ، ومـن ثـم تكون المعركة تحت السيطرة شكلاً ومضموناً ، وصحيح أن المسألة سارت كما خطط هؤلاء بالنسبة للعمليـة الانتخابيـة والنتائج ، ولكن ما دار خلال المعركة الانتخابية كان تكسيراً لكثير من التابوهات على النحو التالي .

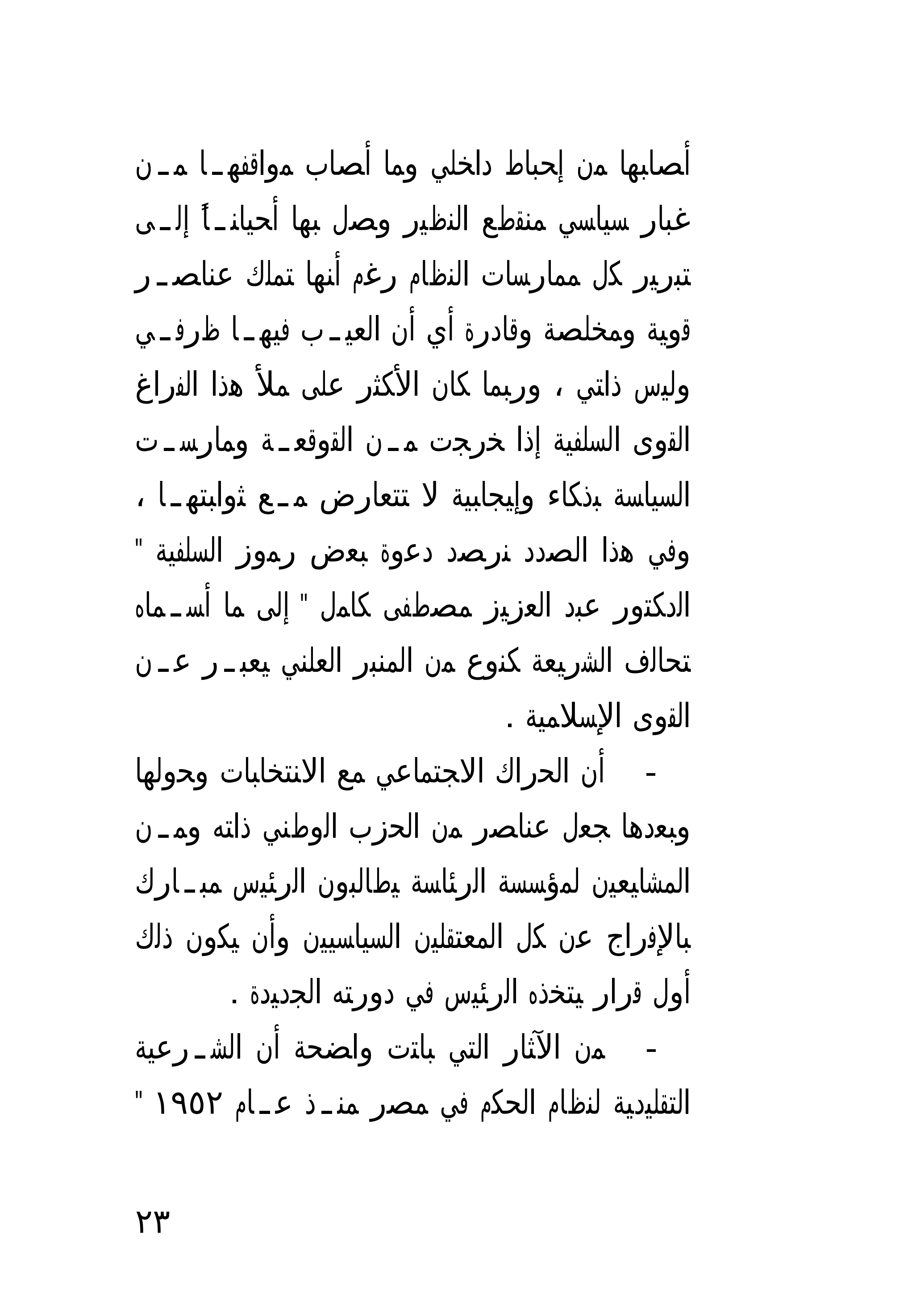
- تغيير المادة ٧٦ من الدستور فتحت البـاب واسعاً أمام المطالبة بتغيير كل الدسـتور ، وإعـادة صياغته ليتلاءم مع روح المرحلة المقبلة – على حد تعبير المطالبين بذلك – وأن الوعود السياسية التـي قطعها الرئيس مبارك علـى نفسـه إزاء المرحلـة الانتخابية عكست فلسفة جديدة للحكم لم يعد الدستور الحالي قادراً على استيعابها ، بحيث تكـون هنـاك

عملية تغيير شاملة للدستور وليست مجرد ترقيـع لا
تتحملها وثيقة الدستور الحالية المنتمية إلى عالم مـا
قبل العولمة على حد تعبير هـؤلاء ، وصـحيح أن
مطلب تغيير الدستور في اتجاه المزيد من الحريـات
هو مطلب عليه إجماع شعبي ، ولكن الخطـورة أن
المطالبين بتغيير الدستور ربما يستهدفون أصلاً تغيير
المواد الخاصة بإسلامية مصر وعروبتها أساسـاً ،
وكذا تغيير المادة الثانية من الدستور الحالي والتـي
تنص على أن الشريعة الإسـلامية هـي المصـدر
الرئيسي للتشريع ! ! .

- أن إجراء الانتخابات عن طريق التعدديـة ،
وما سمح خلالها للمرشحين بإبراز بـرامجهم ، بـل
وتوجيه النقد الحاد والجارح أحياناً لشخصية لرئيس ،
وكذا استغلال صحف وأقلام معارضة تلـك الفتـرة
لتوجيه اتهامات محددة للرئيس مبارك وأسرته – بلا
حدود – قد كسر التابو المتصل بقداسـة الـرئيس ،
ونقل الوعي الشعبي باتجاه التعامـل مـع مؤسسـة
الرئاسة بدون الخوف التقليدي أو ذلك النـوع مـن



القداسة الغامضة . وهو أمر له ما بعده على مستوى مستقبل الحراك السياسي والاجتماعي في مصـر ، الذي كان قد تجمد سياسياً إلى حد كبير منـذ عـام ١٩٥٢ واحتكار السلطة السياسية كل شيء ، وهكذا فإن مناطق واسعة من الحريات سـوف تتـاح أراد النظام أم أبى ، وأنه يستحيل عملياً إرجاع الحالة إلى ما قبل ، لأن تلك هي سنة الاجتماع السياسي ومـن بديهيات الحراك الاجتماعي ، والسؤال الذي يثـور هنا من من القوى السياسية والاجتماعية سوف يكون قادراً على الاستفادة من هذه الفرصة ، والقدرة على التواصل مع الجماهير بناء على ذلك الواقع الجديد ، وأين سيكون موقع وموقف الإسـلاميين فـي هـذا الصدد ، وهل ستظهر قوى سياسية إسلامية جديـدة أكثر قدرة من الإخوان المسلمين الذين يتميزون حتى الآن بالتردد والمهانة ومسك العصا من الوسط وهي أمور لا تصلح للمرحلة المقبلة ، فهل يتطور الإخوان المسلمون ويكونون قادرين على ملأ الفراغ أم سوف تكون الجماعة الإسلامية هي التي تفعل ذلك مع مـا

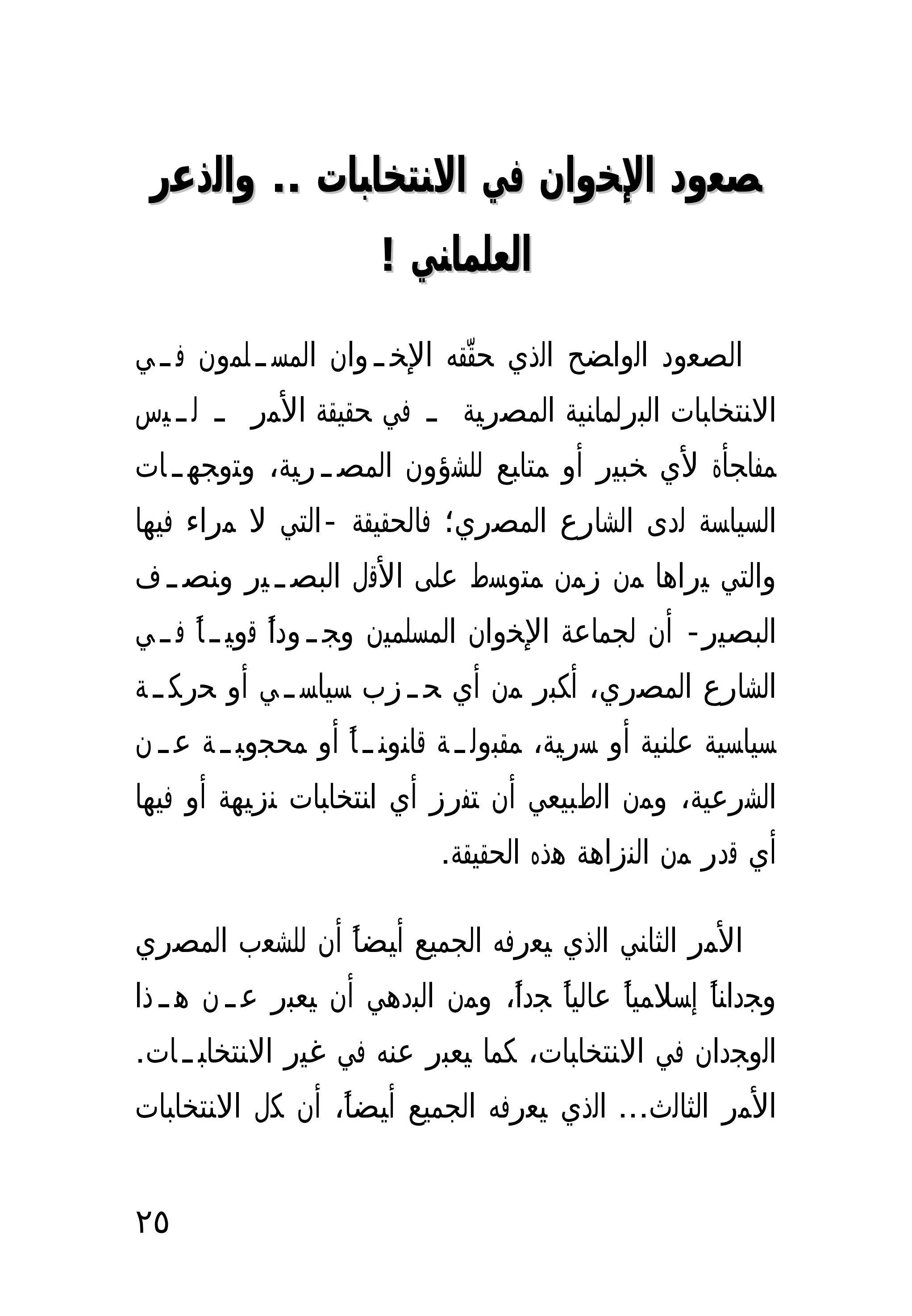


أصابها من إحباط داخلي وما أصاب مواقفهـا مـن غبار سياسي منقطع النظير وصل بها أحيانـاً إلـى تبرير كل ممارسات النظام رغم أنها تملك عناصـر قوية ومخلصة وقادرة أي أن العيـب فيهـا ظرفـي وليس ذاتي ، وربما كان الأكثر على ملأ هذا الفراغ القوى السلفية إذا خرجت مـن القوقعـة ومارسـت السياسة بذكاء وإيجابية لا تتعارض مـع ثوابتهـا ، وفي هذا الصدد نرصد دعوة بعض رموز السلفية " الدكتور عبد العزيز مصطفى كامل " إلى ما أسـماه تحالف الشريعة كنوع من المنبر العلني يعبـر عـن القوى الإسلامية .

- أن الحراك الاجتماعي مع الانتخابات وحولها وبعدها جعل عناصر من الحزب الوطني ذاته ومـن المشايعين لمؤسسة الرئاسة يطالبون الرئيس مبـارك بالإفراج عن كل المعتقلين السياسيين وأن يكون ذلك أول قرار يتخذه الرئيس في دورته الجديدة .

- من الآثار التي باتت واضحة أن الشـرعية التقليدية لنظام الحكم في مصر منـذ عـام ١٩٥٢ "

شرعية ثورة يوليو " ، ثم شرعية حرب أكتوبر قـد انتهت تماماً ، وكانت الأجواء تقـود إلـى شـرعية التعويض الشعبي ، أي نوع من العقـد الاجتمـاعي المطلوب إبرامه بين النظام والجماهير ، على كـل حال فإن من يفهم اللحظة ، ويحللها ، ويتفاعل معها سوف يتجاوب معها . مع ملاحظة أن رئاسة الرئيس مبارك ذاتها في دورتها الجديدة ستكون مضطرة إلى الرضوخ للرسائل الشعبية القوية التي تمـت أثنـاء الانتخابات ، وأنه لو نجحت القـوى التقليديـة فـي الحزب الوطني في إجهاض الإصلاح الحقيقي . فإن مشروعية النظام ستتآكل بسرعة ، وسـوف يكـون الواقع المصري مرتعاً لاحتمالات اجتماعية وشعبية غير محسوبة وهو الأمر الذي يخشاه الجميع ، النظام ، والقوى الخارجية والمعارضة المصرية على حـد سواء .



صعود الإخوان في الانتخابات .. والذعر العلماني !

الصعود الواضح الذي حقّقه الإخوان المسلمون في الانتخابات البرلمانية المصرية - في حقيقة الأمر - ليس مفاجأة لأي خبير أو متابع للشؤون المصرية، وتوجهات السياسة لدى الشارع المصري؛ فالحقيقة -التي لا مراء فيها والتي يراها من زمن متوسط على الأقل البصير ونصف البصير- أن لجماعة الإخوان المسلمين وجوداً قوياً في الشارع المصري، أكبر من أي حزب سياسي أو حركة سياسية علنية أو سرية، مقبولة قانوناً أو محجوبة عن الشرعية، ومن الطبيعي أن تفرز أي انتخابات نزيهة أو فيها أي قدر من النزاهة هذه الحقيقة.

الأمر الثاني الذي يعرفه الجميع أيضاً أن للشعب المصري وجداناً إسلامياً عالياً جداً، ومن البدهي أن يعبر عن هذا الوجدان في الانتخابات، كما يعبر عنه في غير الانتخابات. الأمر الثالث... الذي يعرفه الجميع أيضاً، أن كل الانتخابات

التي أُجريت بعد إعلان الولايات المتحدة الأمريكية ما يسمى بالحرب على الإرهاب جاءت بالإسلاميين... حدث ذلك في تركيا وإيران والبحرين ...الخ... فلماذا تكون مصر استثناء؟ الأمر الرابع هو أن مستوى الفساد والرشوة والمحسوبية داخل الإدارة المصرية سيجعل الناس تحاول معاقبة الحكومة وحزبها ورموزها بكل الطرق الممكنة.

لماذا إذن حالة الذعر، كما لو أن زلزالاً حدث بفوز الإخوان المسلمين بنسبة لن تتعدى ٢٥ % بأي حال من الأحوال مع كون ذلك أمراً متوقعاً أولاً ؟ وهو أيضاً لن يغير في إمكانية انفراد الحكومة والحزب الوطني باستصدار أي قرار من مجلس الشعب، بما أن الحزب الوطني فاز بأغلبية تزيد على الثلثين!! وأنه وفقاً للمنظور والمعلن فإن جماعة الإخوان لا تستهدف الوصول إلى السلطة ومن ثم الانفراد بها قريباً.

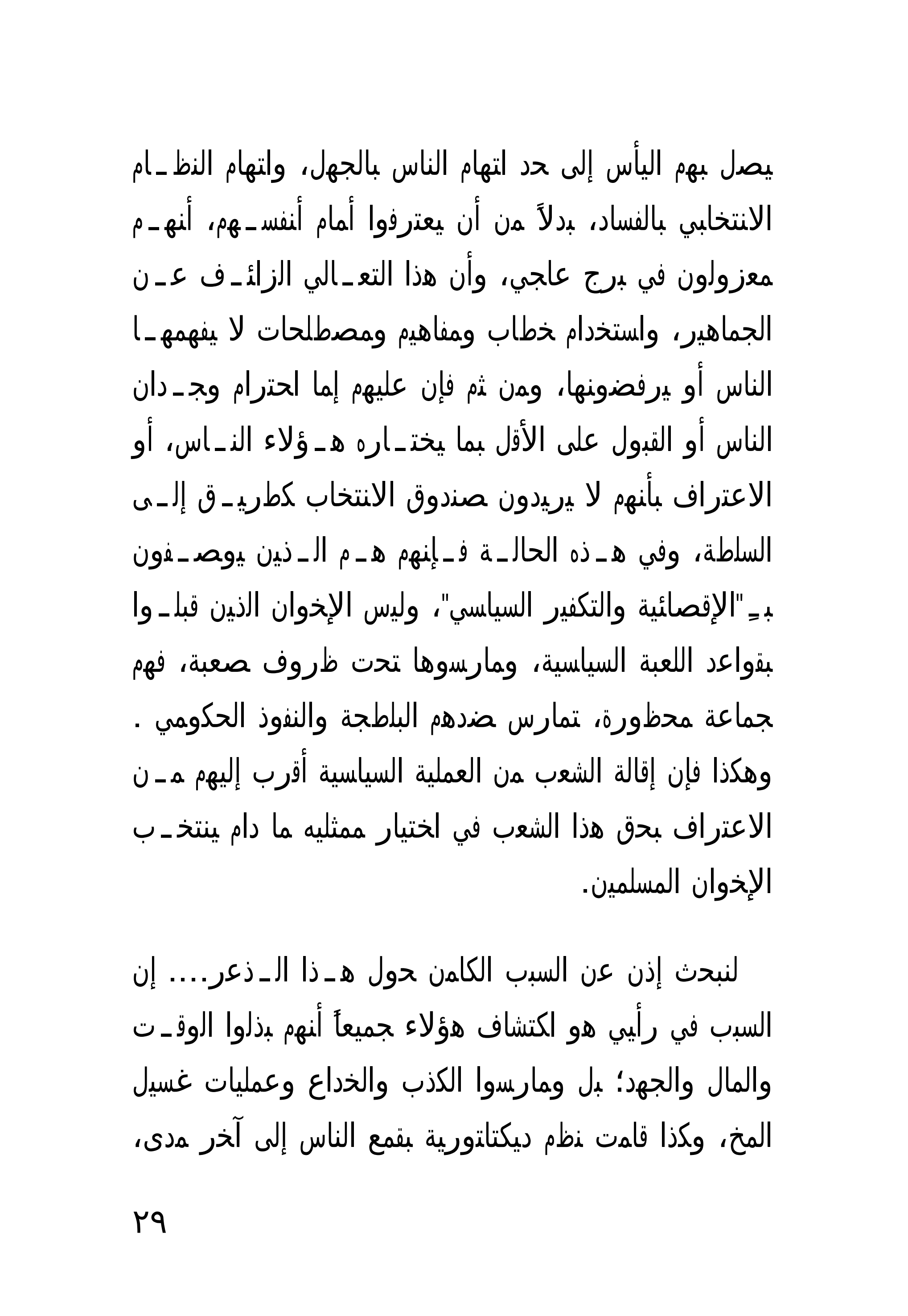
وبصرف النظر عن موضوع مشاركة الإسلاميين في السلطة في ظل العولمة، وبصرف النظر عن الرأي في الإخوان المسلمين جماعة، أو أفكاراً، أو برنامجاً سياسياً

معلناً أو مضمراً، وفي قياداتهم وكوادرهم، وفي سلوكهم ومنهجهم ...الخ؛ فإن الإنسان لا يستطيع أن يتعامى عن حقيقة واضحة للعيان، وهي أن ذلك الذعر الهائل الذي ظهر من غير المسلمين، ومن مسلمين علمانيين "خاصة اليساريين"- أمر غير منطقي أولاً؛ فالإخوان مواطنون مصريون من حقهم النجاح في الانتخابات بأي نسبة، ونحن بحاجة هنا إلى البحث في أعماق هذا الأمر لعلنا نكتشف السبب الحقيقي وراء هذا الذعر.

لنر –أولاً- ردود أفعال المذعورين، ومن ثم نحللها؛ فالبابا شنودة مثلاً - بطريرك الكنيسة المصرية - أعرب عن قلقه من صعود الإخوان، وقال إنه أبلغ القيادة السياسية بذلك. وبداية من المفروض أن البابا شنودة رئيس ديني، ووفقاً لتقاليد الكنيسة المصرية وعقائدها فإن عليه أن يقتصر على الأمور الروحية، ولا يشارك في المسائل الزمنية، ومع ذلك فإذا شارك فهل من حقه مثلاً أن يمارس وصاية على الشعب المصري الذي يبلغ تعداد المسلمين فيه أكثر من ٩٤ %؟ ولماذا يقلق البابا أصلاً، ولم تسجل حالات اعتداء إخوانية على المسيحيين مثلاً؛ بل ويحرص قادة الإخوان على

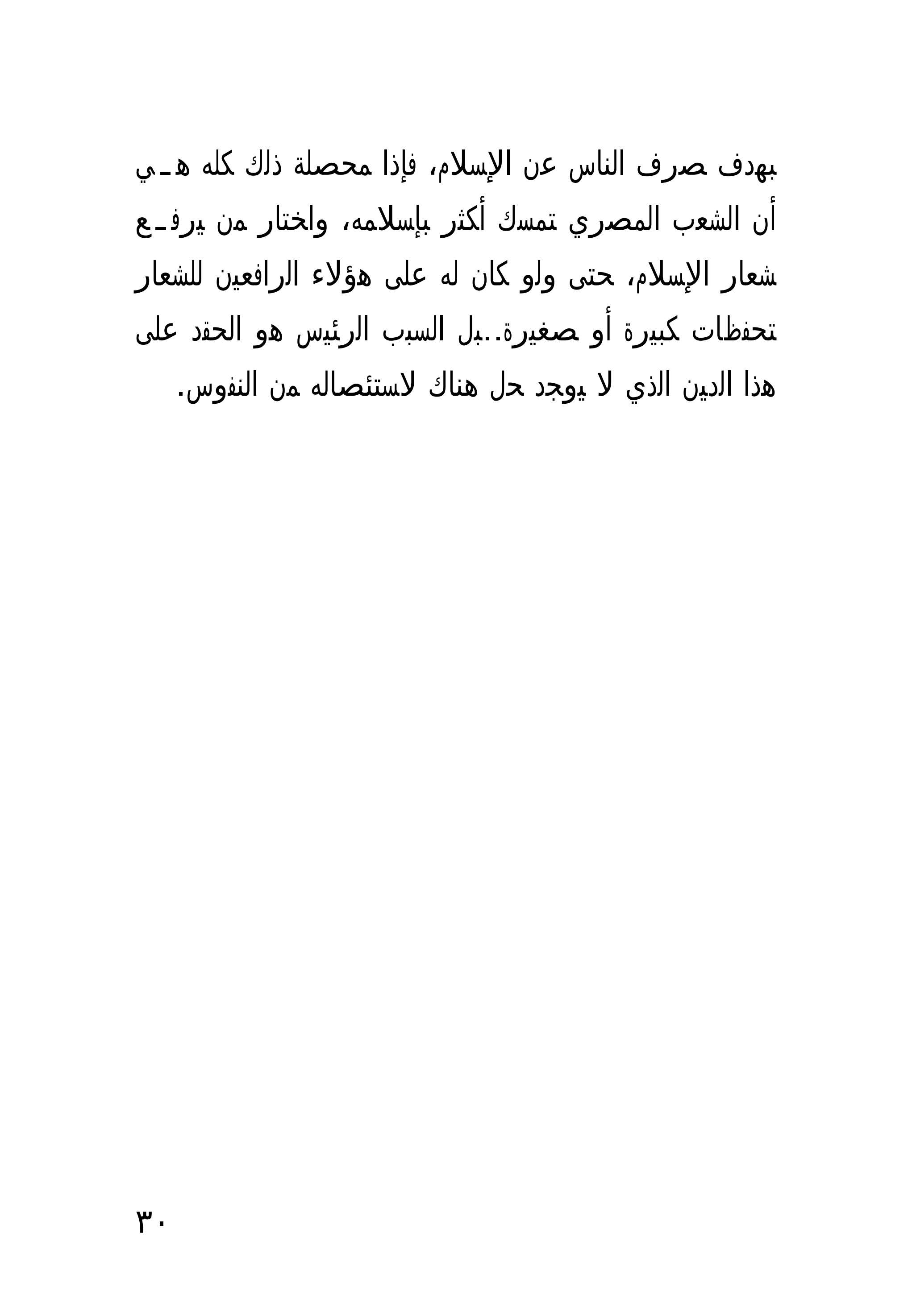
فعـل وقـول كـل شـيء لطمأنـة الأقبـاط!!
ويصل الأمر إلى حد أن يقول سياسي مسيحي، وهو مفكـر وعضو مجلس شعب سابق - الدكتور ميلاد حنا - وأسـتاذ جامعة، بل ومعروف بحضوره لحفلات الإخوان المسـلمين، وإشادته بهم من قبل، يصل الأمر إلى حد أن الرجل يصرح للصحف المصرية بأن أغنياء الأقباط سوف يهاجرون مـن مصر بسبب صعود الإخوان!! أما فقراؤهم فسيتحولون إلـى الإسلام أو يعانون من الاضطهاد!! وبدهي أنه لا الإسلام ولا مفهوم الإخوان للإسلام يسير باتجاه اضطهاد الأقباط، ونكرر أن ذلك على فرض وصولهم إلى السلطة، وهو ما زال أمراً بعيداً حتى الآن لاعتبارات كثيرة!! على جانب آخر، نجد أن المثقفين العلمانيين يبدون ذعراً بلا حدود؛ فهم يخوفون الناس من الإخوان، ويقولون: إنهم سوف ينشرون الخـراب، وإن المثقفين لن يعيشوا بعد الآن في أمان...الخ.

ما دام الإخوان حصلوا على هذه النتيجة في الانتخابـات، ثم يبحثون عن طريقة لمنع ذلك - وكأنه لـيس مـن حـق الإسلاميين عموماً والإخوان خصوصاً المشاركة في السلطة أو الوصول إليها؛ فهل هؤلاء أوصياء على الناس مثلاً؟ ثـم



يصل بهم اليأس إلى حد اتهام الناس بالجهل، واتهام النظام الانتخابي بالفساد، بدلاً من أن يعترفوا أمام أنفسهم، أنهم معزولون في برج عاجي، وأن هذا التعالي الزائف عن الجماهير، واستخدام خطاب ومفاهيم ومصطلحات لا يفهمها الناس أو يرفضونها، ومن ثم فإن عليهم إما احترام وجدان الناس أو القبول على الأقل بما يختاره هؤلاء الناس، أو الاعتراف بأنهم لا يريدون صندوق الانتخاب كطريق إلى السلطة، وفي هذه الحالة فإنهم هم الذين يوصفون بـ"الإقصائية والتكفير السياسي"، وليس الإخوان الذين قبلوا بقواعد اللعبة السياسية، ومارسوها تحت ظروف صعبة، فهم جماعة محظورة، تمارس ضدهم البلطجة والنفوذ الحكومي . وهكذا فإن إقالة الشعب من العملية السياسية أقرب إليهم من الاعتراف بحق هذا الشعب في اختيار ممثليه ما دام ينتخب الإخوان المسلمين.

لنبحث إذن عن السبب الكامن حول هذا الذعر.... إن السبب في رأيي هو اكتشاف هؤلاء جميعاً أنهم بذلوا الوقت والمال والجهد؛ بل ومارسوا الكذب والخداع وعمليات غسيل المخ، وكذا قامت نظم ديكتاتورية بقمع الناس إلى آخر مدى،



بهدف صرف الناس عن الإسلام، فإذا محصلة ذلك كله هـي أن الشعب المصري تمسك أكثر بإسلامه، واختار من يرفـع شعار الإسلام، حتى ولو كان له على هؤلاء الرافعين للشعار تحفظات كبيرة أو صغيرة..بل السبب الرئيس هو الحقد على هذا الدين الذي لا يوجد حل هناك لاستئصاله من النفوس.

الانتخابات البرلمانية المصرية صعود الإخوان المسلمين ... الأسباب والنتائج

الحقائق المنظورة لنتائج الانتخابات البرلمانية المصرية. . . تقول أن الحزب الوطني الديمقراطي " حزب الحكومة " قد حصل على حوالي ٧٠ % من المقاعـد . . . وأن جماعـة الإخوان المسلمين قد حصلوا على ٢٢ % في حين حصـلت باقي أحزاب المعارضة الرسمية وغير الرسمية علـى ٣ % من المقاعد .

ولكن الحقائق غير المنظورة أكثر أهمية في هذا الصدد ، فالمقاعد التي حصل عليها الحزب الوطني الحاكم ، لم تكـن كلها لمرشحي الحزب الوطني الرسميين بل إن أكثر من ٤٥ % منها كانت لمستقلين ، دخلوا الحزب الوطني بعد نجاحهم في المعركة أو أثناء معركة الإعادة ! ! . وهـذا يعنـي أن الحزب الوطني الديمقراطي يحظى بحوالي ٤٠ % من التأييد الشعبي وهذا في جزء كبير منه يرجع إلى سـطوة المـال " رشح الحزب الوطني عدد كبير من رجال الأعمـال الـذين

أنفقوا بسخاء لشراء الأصوات حتى وصل الصوت الانتخابي في بعض الدوائر إلى ٢٠٠ جنيه مصري " ويرجع إلى نفوذ الحكومة الداعمة لمرشح الحزب ، أو يرجع إلـى اتهامـات بالتزوير لصالح بعض الوزراء ، كما يرجـع أيضـاً إلـى العصبيات القبلية والجهوية لعدد من مرشحي الحزب الوطني وهذا يعني ببساطة أن الحزب الوطني الديمقراطي ، كفكر أو كبرنامج أو ممارسات سياسية غير موجـود علـى السـاحة المصرية ، بل نكاد نقول أنه لو رفعت الحكومة يـدها عـن الحزب لتلاشى في لحظات ! ! المهم هنا أن هذا الحـزب لا يمكن اعتباره قوة سياسية في الواقع المصري ، بل وصـل الأمر في بعض الأمـاكن إلـى أن مرشـحي الحـزب أو المستقلين المحسوبين عليه والذين لم ينجحـوا فـي الجولـة الأولى ، كرسوا جهودهم لإسقاط مرشح الحزب ، بـل قـام بعض أنصارهم في بعض الدوائر بإحراق مقـرات الحـزب الوطني ! ! .

وإذا كان البعض يقول أن هناك قوة شابة داخل الحـزب تسعى لتجديد خلاياه وتحويلهم إلى حزب سياسـي حقيقـي " لجنة السياسات " فإن ما حدث أثناء الانتخابات يثبت أن تلـك

القوة الشابة أضعف من أن تفعل شيئاً ، فمعظم المرشـحين التابعين أو المحسوبين على لجنة السياسات قد فشلوا في تلك الانتخابات ، وكل الحرس القديم تقريباً برموزه المعروفة قد نجحوا بطريقة أو بأخرى ، بل إن هذا الحرس القديم وكمـا يتردد في الصحف المصرية قد قاموا بدور مباشر في إسقاط المرشحين المحسوبين على لجنة السياسات " حالـة حسـام بدراوي في دائرة قصر النيل نموذجاً " حيث قـام الحـرس القديم بترشيح هشام مصطفى خليل الذي أطـاح بالـدكتور حسام بدراوي .

أحزاب المعارضة المصرية الرسـمي " منهـا وغيـر الرسمي حصلت على اقل من ٣ % وهـذا معنـاه أن تلـك الأحزاب بلا تواجد حقيقي في الشارع المصـري ، بـل إن الناجحين منهم اعتمدوا على علاقاتهم الشخصية أو بذل المال أكثر من اعتمادهم على برامج أحزابهم وحركاتهم وتواجدها في الشارع ، وأنها أحزاب وحركات نخب محصورة داخـل الندوات والمناظرات الفضائية والمساجلات الصـحفية ، وأن خطابها إما غير مفهوم للشارع المصري وإمـا مرفـوض ، والحقيقة الكبرى التـي أظهرتهـا الانتخابـات أن الشـارع

المصري ينحاز بوضوح إلى الوجدان الإسـلامي ويـرفض العلمانية " الليبرالية واليسارية " ، وهذا معناه إمـا أن تغيـر تلك الأحزاب والقوى والحركات خطابها في الاتجاه الموافق للإسلام ، وإما أن تظل حركات محدودة داخل النخب وإمـا أن تتلاشى كالفقاعة .

***

الإخوان المسلمون والتي حصل مرشحوها علـى ٢٢ % من المقاعد هم في الحقيقة القوة السياسية الوحيدة في الشارع المصري الذي تنطبق عليه أوصاف القوة السياسية ، ونلاحظ هنا أن الحركة محظورة ، ولم تحصل على ترخيص رسمي ، وهناك خطاب إعلامي حكومي وعلماني يحرض ضدها ، وهناك مضايقات أمنية حكومية تقليديـة طالتهـا طـويلاً " تراخت هذه المضايقات قبل الانتخابات البرلمانية " .

وإذا كانت النتائج الرسمية تقول بحصولها علـى ٢٢ % من المقاعد فإنها في الحقيقة لم ترشح لها مرشحين في كـل الدوائر ، والحساب الصحيح لقوتها هو أنها حصـلت ٦٥ % من عدد المقاعد التي دخلتها ، وهذا يعني أنهـا قويـة جـداً وتحظى بقبول شعبي واضح . ويلاحظ المراقبون هنا أن أداء

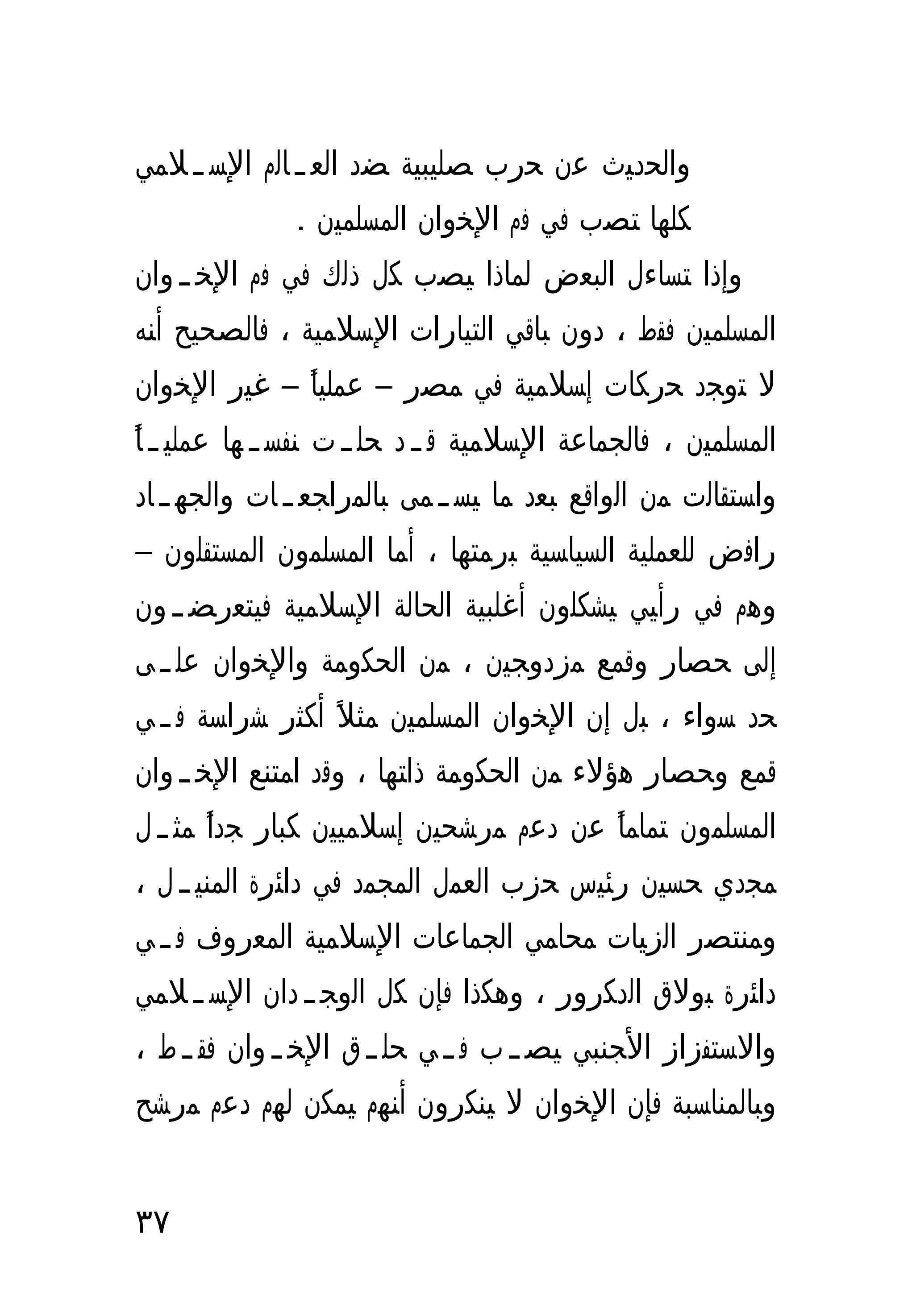
الإخوان المسلمين في الانتخابات كان رائعاً . فهم يتحركون بشكل مدروس ، ويستخدمون سلاح المال أيضاً في حـدود ، ويستخدمون أحدث التقنيات في إدارة المعركة مـن أجهـزة الكمبيوتر العادية ، والأجهزة الحاسبة المحمولة " لاب توب " ويستخدمون الهواتف المحمولـة فـي الاتصـال بالنـاخبين وتعريفهم بمقار لجانهم الانتخابية ودعوتهم للمشاركة واختيار مرشح الإخوان . كما لوحظ أن معظـم الرمـوز الكبيـرة والمعروفة للجماعة لم تدخل الانتخابات ، وقدمت الجماعـة عدداً من الشخصيات غير المعروفة أو نصف المعروفـة ، وهذا يعني أن الناخب اختار الاتجاه وليس الشخص ، وهـو إنجاز يحسب في خانة قوة الجماعة السياسية وقبولها الفكري لدى الشارع المصري ، كما أن الجماعة حرصت على تقديم مرشحين شباب في معظم الدوائر ، وهذا يعني أنها قوة أكثر شباباً من الآخرين الذين قدموا رموزاً معروفة وطاعنة فـي السن أساساً ! ! وهكذا فإننا لم نتجاوز الحقيقة حينما قلنـا أن الإخوان المسلمين هم القوة السياسية الوحيـدة فـي الواقـع المصري ، فالمعارضة والأحزاب الأخرى هزيلـة جـداً ،

والحزب الوطني هو حزب السلطة يتلاشى برفع يد السلطة عنه !.

***

الأسباب الموضوعية والذاتية لصعود الجماعة كثيرة ومتنوعة والتفسيرات متضاربة في هذا الصدد ، وفي كل الأحوال يجب ألا نغفل عدداً من الحقائق كالتالي

- أن الإخوان المسلمين جماعة منظمة بالفعل ، ولها كوادر كثيرة ومنتشرة ونجحت في استقطاب أعداد كبيرة من الشباب وما تحت الشباب بقليل ، رجالاً ونساء على حد سواء وبها طبعاً كوادر من مختلف المهن والتخصصات والأجيال .
- أن الإخوان المسلمين لا يعانون نقصاً في الإمكانيات المادية والمالية .
- أن الخطاب الإسلامي للإخوان المسلمين مقبول جماهيرياً فالجماهير المصرية تحب الخطاب الإسلامي ، وهناك حالة استفزاز ديني بسبب ممارسات أمريكا وإسرائيل واحتلال أفغانستان والعراق والتحرش بسوريا وما يحدث في فلسطين .



والحديث عن حرب صليبية ضد العـالم الإسـلامي كلها تصب في فم الإخوان المسلمين .

وإذا تساءل البعض لماذا يصب كل ذلك في فم الإخـوان المسلمين فقط ، دون باقي التيارات الإسلامية ، فالصحيح أنه لا توجد حركات إسلامية في مصر – عملياً – غير الإخوان المسلمين ، فالجماعة الإسلامية قـد حلـت نفسـها عمليـاً واستقالت من الواقع بعد ما يسـمى بالمراجعـات والجهـاد رافض للعملية السياسية برمتها ، أما المسلمون المستقلون – وهم في رأيي يشكلون أغلبية الحالة الإسلامية فيتعرضـون إلى حصار وقمع مزدوجين ، من الحكومة والإخوان علـى حد سواء ، بل إن الإخوان المسلمين مثلاً أكثر شراسة فـي قمع وحصار هؤلاء من الحكومة ذاتها ، وقد امتنع الإخـوان المسلمون تماماً عن دعم مرشحين إسلاميين كبار جداً مثـل مجدي حسين رئيس حزب العمل المجمد في دائرة المنيـل ، ومنتصر الزيات محامي الجماعات الإسلامية المعروف فـي دائرة بولاق الدكرور ، وهكذا فإن كل الوجـدان الإسـلامي والاستفزاز الأجنبي يصـب فـي حلـق الإخـوان فقـط ، وبالمناسبة فإن الإخوان لا ينكرون أنهم يمكن لهم دعم مرشح

حزب وطني أو التعاون مع شخصيات وأحزاب علمانية عن دعم مرشح أو شخص ينتمي للتيار الإسلامي مـن خـارج صفوف الإخوان .

- أن هناك إحسـاس حقيقـي لـدى الشـعب المصري ، بـأن الحكومـة المصـرية أو النظـام المصري قد استشرى فيها الفسـاد ، وأن الرشـوة والمحسوبية وانسداد أفق الأمل أمام الناس لتحقيـق حياة أفضل ، وانبطاح الحكومة المصرية أمام أمريكا وإسرائيل وعدم قيامها بأي رد فعل يرضي الناس في هذا الصدد ، فضلاً عن انهيار الأحوال المعيشـية ، والاجتماعية والاقتصادية جعل الناس تبحث عن أي بديل ، فلم يجدوا أمامهم بديل حقيقـي موجـود إلا الإخوان المسلمين . فكان هناك ما يسمى بالصـوت الانتقامي ، الذي يصوت لأي مرشح ماعدا مرشـح الحكومة .

- أن هناك إحساس عام تراكم منذ فترة طويلة انتقل من جيل إلى جيل يحدث نوعاً من التعاطف مع

الإخوان على ما لاقوه من تعذيب وسجون ومشـانق منذ ثورة ١٩٥٢ .

***

على جانب أخر فإنها هناك تفسـيرات فيهـا قـدر مـن التركيب أو شيء من نظرية المؤامرة . فـالبعض يـرى أن هناك توافقاً معيناً أدى إلـى السـماح للإخـوان المسـلمين بالحصول على هذه النتيجة وفق حسابات دقيقـة ، ويبـرهن هؤلاء على ذلك بأن الحكومة المصرية كانت قـادرة علـى اعتقال عدداً كبيراً من كوادر الإخوان في كل دائرة – كمـا كان يحدث في الانتخابات السابقة – وبذلك تحدث نوعاً مـن الشلل لدى جهاز الإخوان الانتخابي ولكنها لم تفعـل ، بـل أخرجت كل كوادرهم من السجن قبل الانتخابات ، وسـمحت لهم بالندوات والملصـقات والمسـيرات واسـتخدام شـعار الإخوان الرسمي المرسوم " سيفان ومصحف " والمنطـوق " الإسلام هو الحل " بدون أي مضايقات ، ولم تتدخل بالقـدر الكافي لدعم مرشحيها في مواجهة الإخوان ، وأنها فعلت ذلك ، لكي تظهر للأمريكان الذين يضغطون عليهـا مـن أجـل الديمقراطية ، بأن المعارضة العلمانية والليبرالية والمدنية. .

. الخ لا قيمة لها في الشارع المصري ، وأن البـديل هـو الإخوان المسلمين أو التيار الإسـلامي عمومـاً ، أي أنهـا أخرجت العفريت من العلبة لإخافة الأمريكان ، وفـي نفـس الوقت اتفقت حتماً مع الإخوان على السماح لهم بفعـل كـل شيء ، بشرط ألا يتجاوز عدد مرشحيهم رقم معين ، ومن ثم لا يصلون إلى نسبة حرجة " أكثر من الثلث " ، لأن الحكومة تستطيع أن تمرر ما تشاء من قوانين وقرارات وترشـيحات بأغلبية الثلثين في أقصى الحالات ، ومـن ثـم إذا حصـل الإخوان على نسبة حوالي الـ ٢٠ % تكون قد حققت هدفها في تخويف الأمريكان من ناحية وعدم تأثير ذلك من الناحية العملية على قرارات مجلس الشعب ، أكثر من ذلـك يقـول بعض المحللين ، أن الحكومة مقدمة علـى تمريـر قـوانين واتجاهات اقتصادية قاسية باتجاه المزيد من الخصخصـة ، وتغيير قوانين الإسكان وإلغاء الدعم ، وهذا يمس ملايين من فقراء المصريين ، ولن تكون الحكومة قادرة على ذلـك إلا بتوريط الإخوان المسلمين في الموافقة على بعضها لأن هناك اتجاه بالفعل داخل الإخوان المسلمين يفسر الإسلام تفسـيراً رأسمالياً .

من ناحية أمريكا – وفقاً للتفسـيرات التآمريـة – فـإن الإخوان كانوا قد أرسلوا أكثر من رسالة تطمين إلى الأجهزة الأمريكية من خلال تصريحات قادة الإخوان – عن طريـق تقسيم الأدوار – ومن خلال مواقف عملية استراتيجية مثـل موافقة الحزب الإسلامي في العراق على مسودة الدسـتور ، مما جعل الدستور يمر ومن ثم تسـتمر العمليـة السياسـية الأمريكية في العراق وهو موقـف خطيـر جـداً ، وأفـاد الأمريكان أيما إفادة ويمكن للأمريكان رد الجميـل لإخـوان مصر مثلاً في الانتخابات بالضغط على النظام بعدم التضييق عليهم ، وفي الإطار ذاته نشر إخوان سوريا بياناً طالبوا فيه الحكومة السورية بالتعاون مع القرار ١٦٣٦ ، وحتى حماس لمحت إلى إمكانية التفـاوض مـع إسـرائيل وبـديهي أن الأمريكان يدركون أن التنظيم الدولي للإخوان المسلمين كان وراء ذلك وعلى رأسه إخوان مصر بالطبع ! ! .

لا يمكن بالطبع أن نصدق أو نكذب هـذا كلـه ، ولكـن الفاصل في المسألة هو سلوك إخوان مصر في البرلمان . . . هل سيقفون مع مصالح الفقراء والمستضعفين ، أم العكس ، هل سوف يواجهون المشروع الأمريكي الصـهيوني فـي

المنطقة بشكل واضح أما عن طريق مواقف مترددة وملتوية تصب في خانة التعاون مع الأمريكان في المحصلة النهائية .



القدر المتيقن منه هو أن الإخوان يطرحون أنفسهم كبديل معتدل على غرار حزب التنمية والعدالـة التركـي ، وهـم يسيرون خطوة بخطوة . فاليوم هم المعارضـة الرئيسـية ، وغداً يشكلون الحكومة . . . ولكن هناك بالطبع اختلافـات واضحة عن تركيا ، أهمها الموضوع الصهيوني والاعتراف بإسرائيل وهو أمر مستحيل بالنسبة للإخوان ، وعلـى كـل الأحوال الواقع المصري مفعم بالمتغيرات ، والأيـام حبلـى بالمفاجآت .

عاجل إلى الإخوان!

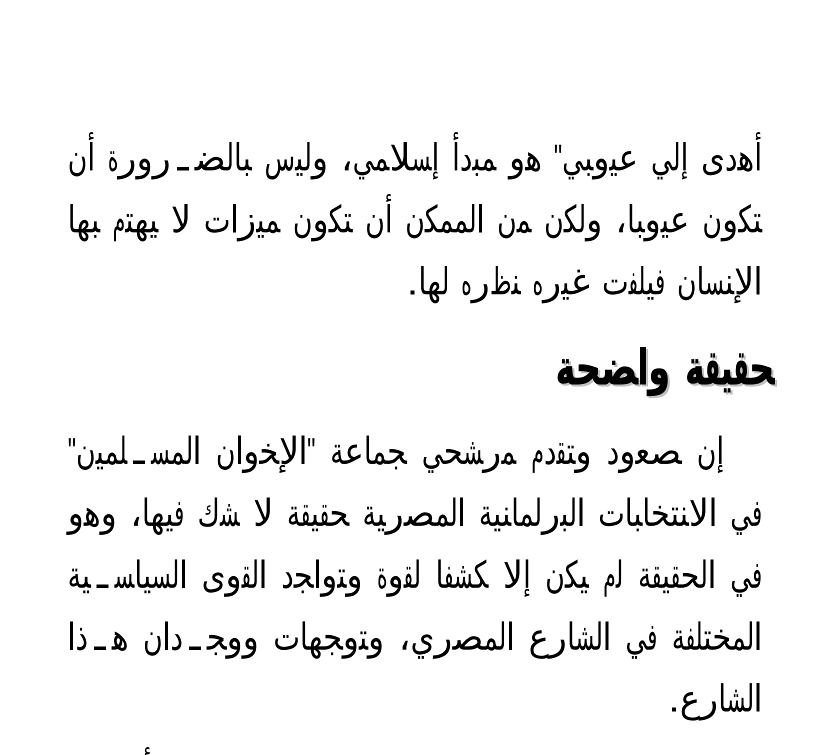
د. محمد مورو ** - ٢٠٠٥/١٢/٠٧



مهدي عاكف المرشد العام للإخوان عقب الإدلاء بصوته

من الحقائق البديهية أن تحقيق تفوق مـا أسـهل مـن الحفاظ عليه، ومن ثم فإن قراءة أسباب هذا التقدم والعمـل على تثبيتها وتعظيمها هو أحد أهم وسائل المحافظة عليـه من الضياع.

ومن الأمور الشرعية المعروفة أن المسلم مرآة أخيـه، وأن النقد والنقد الذاتي فريضة إسلامية، و"رحم ا امـرأ



أهدى إلي عيوبي" هو مبدأ إسلامي، وليس بالضـرورة أن تكون عيوبا، ولكن من الممكن أن تكون ميزات لا يهتم بها الإنسان فيلفت غيره نظره لها.

حقيقة واضحة

إن صعود وتقدم مرشحي جماعة "الإخوان المسـلمين" في الانتخابات البرلمانية المصرية حقيقة لا شك فيها، وهو في الحقيقة لم يكن إلا كشفا لقوة وتواجد القوى السياسـية المختلفة في الشارع المصري، وتوجهات ووجـدان هـذا الشارع.

الحقيقة التي كشفت عنها تلك الانتخابات – ولا أبالغ - هي أن "الإخوان المسلمين" هي القوة الوحيدة في الشـارع المصري حاليا، وأن الحزب الوطني لو ارتفعت عنـه يـد الحكومة بالدعم المادي والإعلامي والبوليسي لتلاشى، أما أحزاب المعارضة والقوى السياسية غير الرسمية الأخرى فحجمها يقترب من الصفر، وهي محصورة بين النخـب، ومعزولة عن وجدان الناس، ولا تخوض معاركهـا فـي

الشارع، بل علـى شاشـات الفضـائيات وعلـى أوراق الصحف، وقد لقنها الشارع المصري درسا لن ينسى.

هذا الدرس ببساطة يقول: إن وجدان الناس في مصـر إسلامي حتى النخـاع، وإن العلمانيـة مرفوضـة شـكلا وموضوعا، وإن كل الرطانات والمؤلفات والتعالي الثقافي الزائف لا قيمة له ولا رصيد له فـي الواقـع المصـري الشعبي، وهذا معناه ببساطة شديدة انحيـاز النـاس إلـى المشروع الإسلامي، ويترتب على ذلك مباشرة أن استخدام اللغة الإسلامية هو أمر صحيح وعلمي وغير طائفي، ومن ثم فإن على "الإخوان المسلمين" ألا يستمعوا إلى النصـائح المسمومة التي يقدمها بعض المحللـين حـول ضـرورة تخفيف لهجة الخطاب الإسلامي للإخوان المسـلمين، بـل المطلوب زيادة جرعة هذا الخطاب وأثـره وتعميقـه دون تطرف أو غلو، أما إذا كان هؤلاء يريدون من "الإخـوان المسلمين" - مثلا - استخدام لغة حزب محافظ، فـإنهم لا يريدون إلا نزع أهم أسلحة "الإخوان المسـلمين" الفكريـة والسياسية والثقافية.

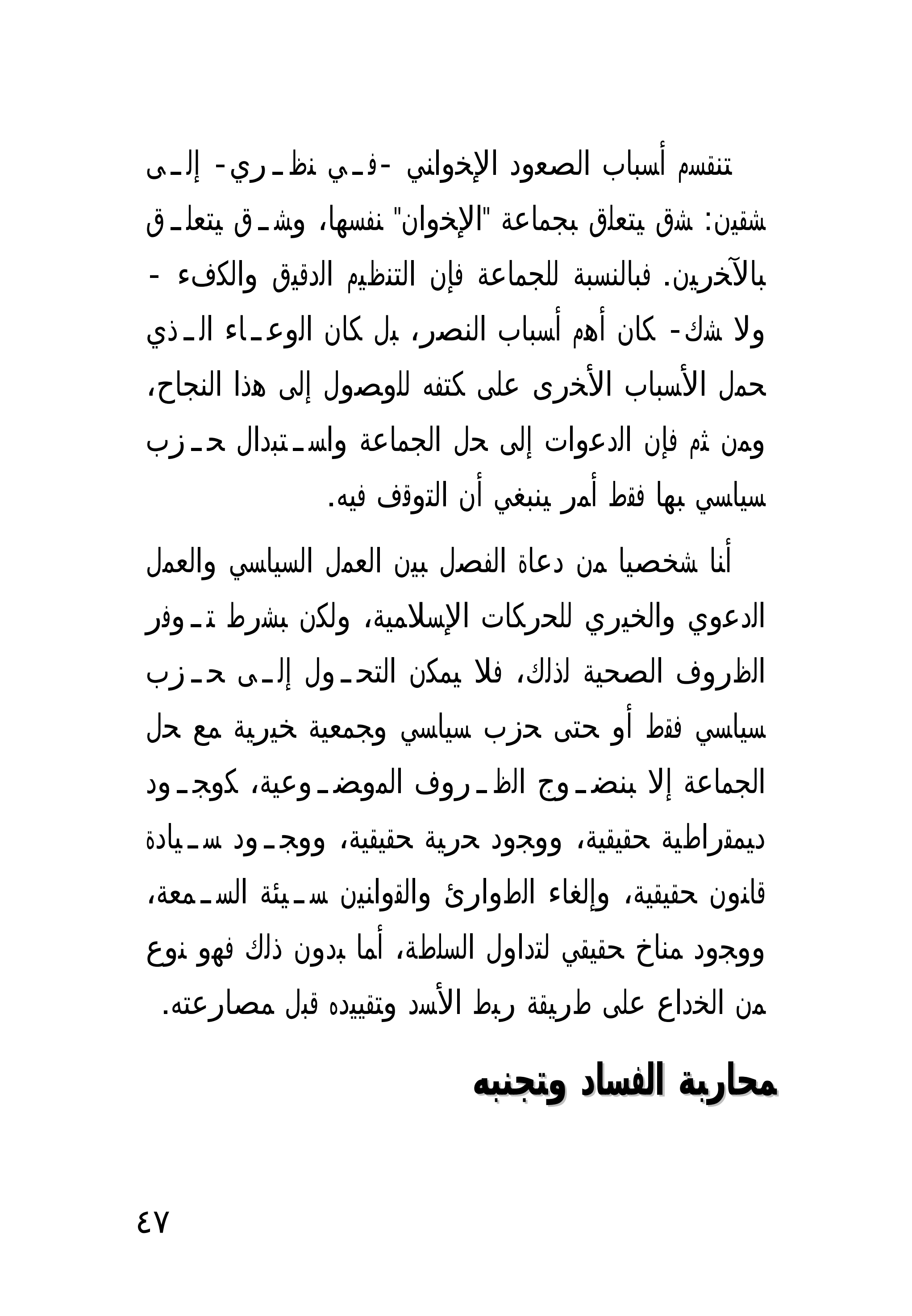
لا للخطاب الاعتذاري

يجب أيضا ألا ينجر "الإخوان المسلمون" إلـى تقـديم خطاب تبريري أو اعتذاري، فالتهمة التي روجها الإعـلام والعلمانيون حول المشروع الإسلامي وحـول "الإخـوان المسلمين" تساقطت مثل الأوراق الجافة، ومـن ثـم فـإن الانزلاق إلى الدفاع والتبرير هو فخ خطير. والصحيح أن نقدم المشروع الإسلامي بقوة دون افتئـات علـى حقـوق الآخرين، ودون غرور أو تعالٍ أو إقصاء للآخر مهما كان حجمه.

بين الدعوي والسياسي



مجموعة من الإخوان يصـلون خـارج إحـدى اللجـان الانتخابية



تنقسم أسباب الصعود الإخواني -في نظري- إلى شقين: شق يتعلق بجماعة "الإخوان" نفسها، وشق يتعلق بالآخرين. فبالنسبة للجماعة فإن التنظيم الدقيق والكفء -ولا شك- كان أهم أسباب النصر، بل كان الوعاء الذي حمل الأسباب الأخرى على كتفه للوصول إلى هذا النجاح، ومن ثم فإن الدعوات إلى حل الجماعة واستبدال حزب سياسي بها فقط أمر ينبغي أن التوقف فيه.

أنا شخصيا من دعاة الفصل بين العمل السياسي والعمل الدعوي والخيري للحركات الإسلامية، ولكن بشرط توفر الظروف الصحية لذلك، فلا يمكن التحول إلى حزب سياسي فقط أو حتى حزب سياسي وجمعية خيرية مع حل الجماعة إلا بنضوج الظروف الموضوعية، كوجود ديمقراطية حقيقية، ووجود حرية حقيقية، ووجود سيادة قانون حقيقية، وإلغاء الطوارئ والقوانين سيئة السمعة، ووجود مناخ حقيقي لتداول السلطة، أما بدون ذلك فهو نوع من الخداع على طريقة ربط الأسد وتقييده قبل مصارعته.

محاربة الفساد وتجنبه

من أسباب تصويت الناخـب لمرشـحي "الإخـوان" - بالإضافة إلى خيار الناس الإسـلامي وكفـاءة الجماعـة التنظيمية - انتشار الفسـاد والديكتاتوريـة والمحسـوبية والرشوة والانهيار الاجتماعي وتدني مسـتوى المعيشـة، وهذا يعني أن الشعب المصري ينتظـر مـن "الإخـوان المسلمين" في المجلس وخارجه نضالا برلمانيـا وسياسـيا متميزا، دفاعا عن الحريـات، وتضـامنا مـع المعتقلـين السياسيين من كل الاتجاهات والقـوى، وانحيـازا غيـر مشروط لحرية الصـحافة والتعبيـر والعمـل السياسـي والحزبي.

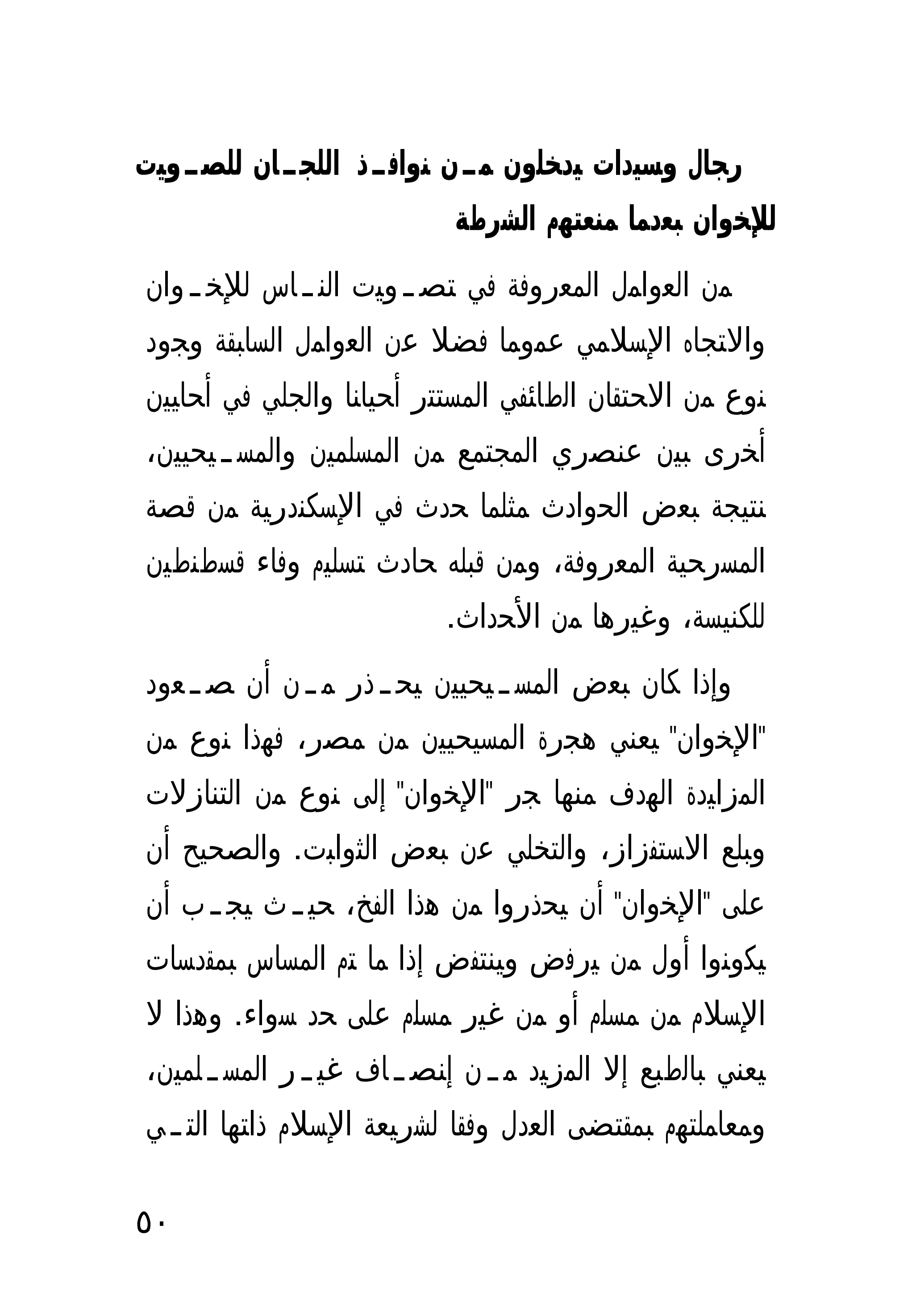
وينتظر الشعب أيضا من نواب "الإخوان" داخل المجلس - وخارجه أيضا - التصدي للفساد وكشفه ومحاربته بـلا هوادة، وعدم ممارسة الفساد قطعا، فـالإخوان المسـلمون بشر يمكن أن يفسدوا، ومن ثم لا بد من اليقظـة حتـى لا يتحول بعض الأفراد إلى نماذج فاسدة تحقـق مصـالحها الشخصية المادية أو المعنوية، والحسـاب هنـا سـيكون مضاعفا؛ لأن ذلك لو حدث فسيعتبره الشعب الـذي وثـق بالإخوان خيانة منهم للأمانة.

لقد انصرف الشعب عـن الحـزب الـوطني الحـاكم لممارسته المحسوبية بشتى صورها، وهذا بالضـبط مـا نخشى أن يقع فيه "الإخوان"، فعلى "الإخـوان" ألا يعطـوا امتيازات في دوائر نفوذهم لأقاربهم، أو للمنتمين للجماعة، إلا من خلال معيار الكفاءة والاستحقاق وفق قواعد شفافة.

وعلى "الإخوان" أيضا أن يدافعوا عن مصالح الفقـراء الاقتصادية والاجتماعيـة، وألا يتخلـوا عـن الضـعفاء والمهمشين مهما كان الثمن؛ لأن النيابة هي عـن الأمـة جميعها، وهي أمانة ينبغي عدم التفريط فيها، ومن ثم فكل عمل يضر الفقراء مثل تغيير قانون إسكان المسـاكن، أو إلغاء الدعم، أو المزيد من الخصخصة والعولمة، أو فرض الضرائب أو زيادة الأعباء، أو إلغاء مجانية التعليم... إلخ من واجب "الإخوان" التصدي لها بطريقة حقيقية، ولـيس لمجرد تسجيل موقف.

رفض المزايدات والتنازلات

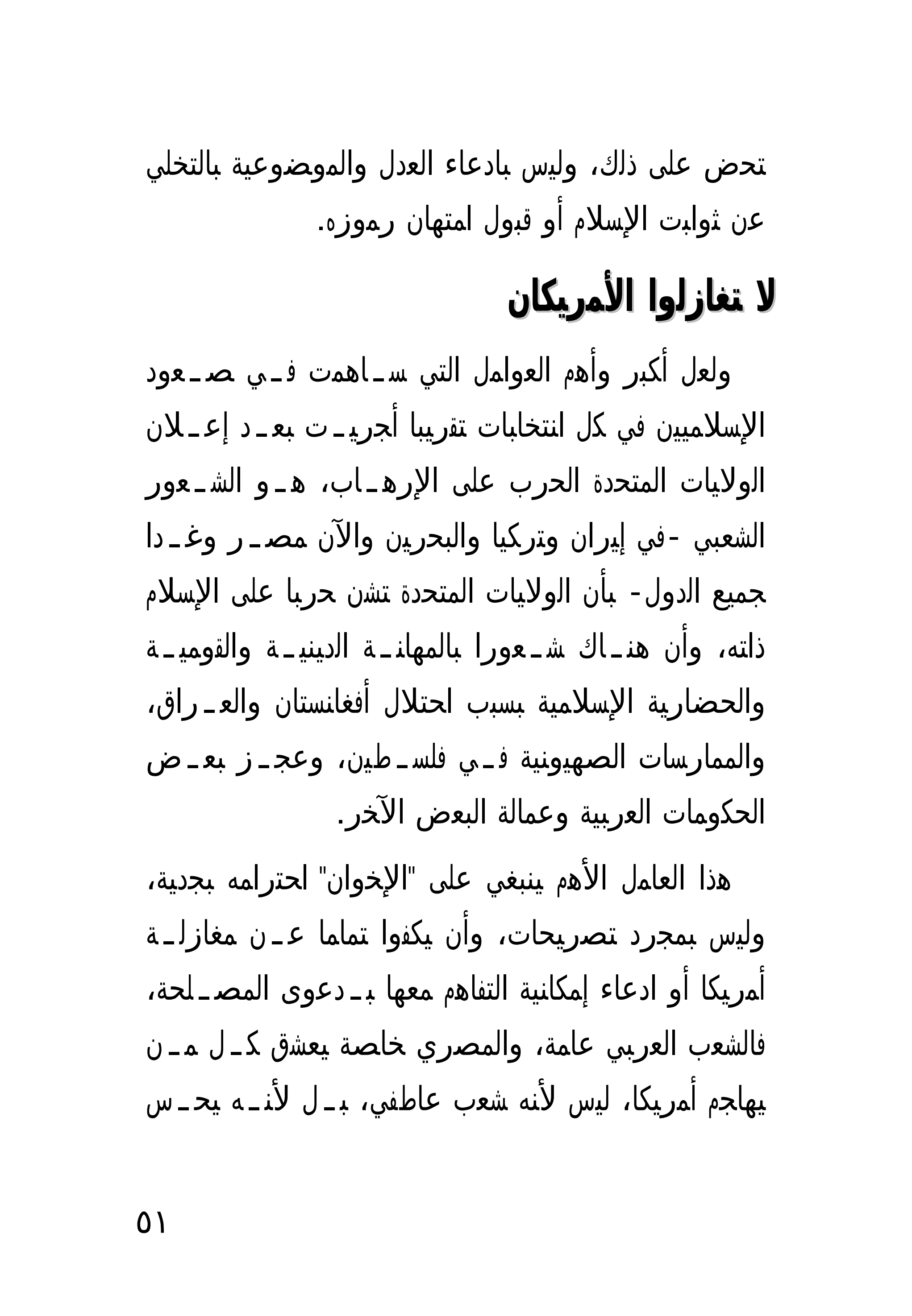




رجال وسيدات يدخلون من نوافذ اللجان للتصويت للإخوان بعدما منعتهم الشرطة

من العوامل المعروفة في تصويت الناس للإخوان والاتجاه الإسلامي عموما فضلا عن العوامل السابقة وجود نوع من الاحتقان الطائفي المستتر أحيانا والجلي في أحايين أخرى بين عنصري المجتمع من المسلمين والمسيحيين، نتيجة بعض الحوادث مثلما حدث في الإسكندرية من قصة المسرحية المعروفة، ومن قبله حادث تسليم وفاء قسطنطين للكنيسة، وغيرها من الأحداث.

وإذا كان بعض المسيحيين يحذر من أن صعود "الإخوان" يعني هجرة المسيحيين من مصر، فهذا نوع من المزايدة الهدف منها جر "الإخوان" إلى نوع من التنازلات وبلع الاستفزاز، والتخلي عن بعض الثوابت. والصحيح أن على "الإخوان" أن يحذروا من هذا الفخ، حيث يجب أن يكونوا أول من يرفض وينتفض إذا ما تم المساس بمقدسات الإسلام من مسلم أو من غير مسلم على حد سواء. وهذا لا يعني بالطبع إلا المزيد من إنصاف غير المسلمين، ومعاملتهم بمقتضى العدل وفقا لشريعة الإسلام ذاتها التي

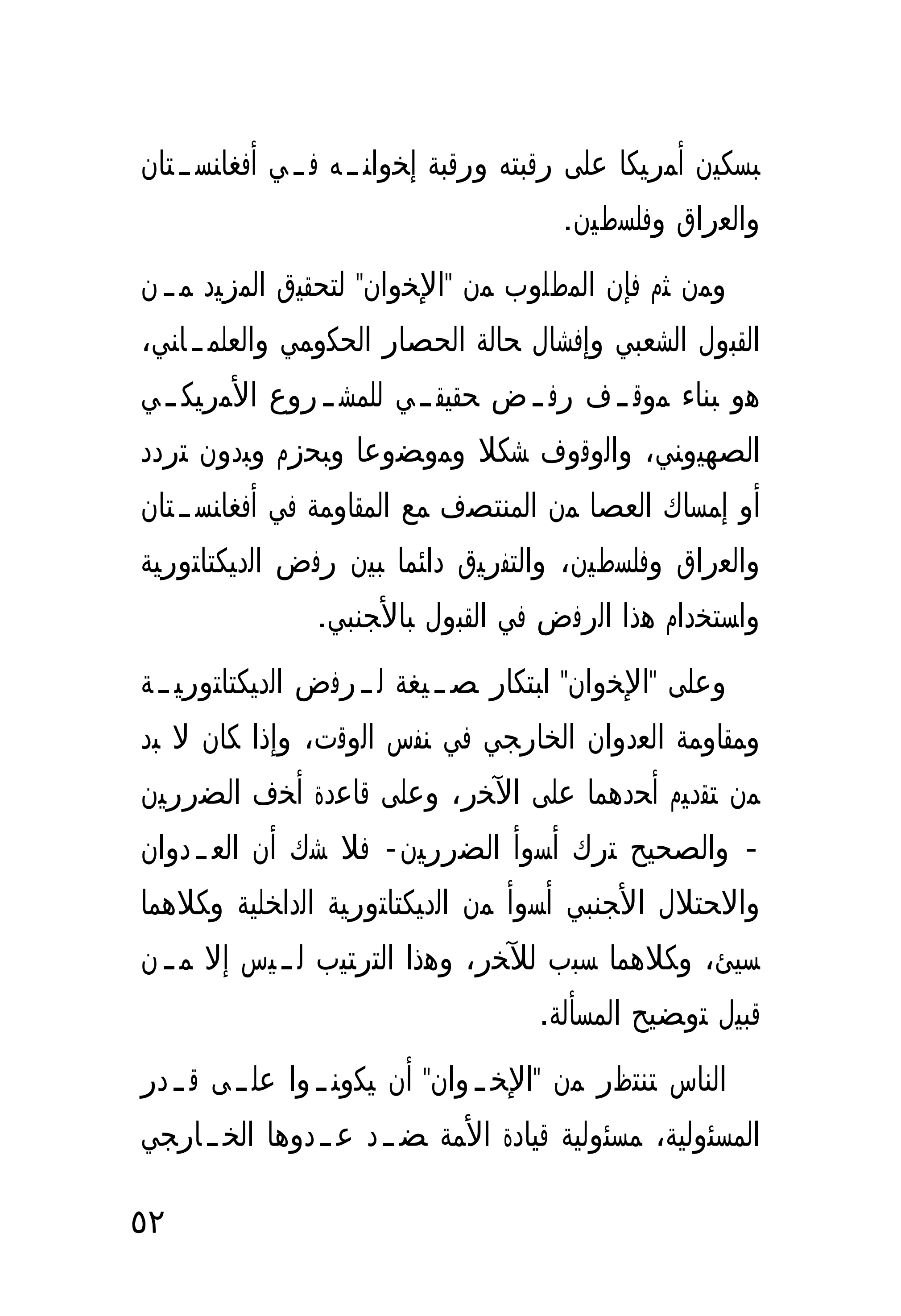


تحض على ذلك، وليس بادعاء العدل والموضوعية بالتخلي عن ثوابت الإسلام أو قبول امتهان رموزه.

لا تغازلوا الأمريكان

ولعل أكبر وأهم العوامل التي ساهمت في صعود الإسلاميين في كل انتخابات تقريبا أجريت بعد إعلان الولايات المتحدة الحرب على الإرهاب، هو الشعور الشعبي -في إيران وتركيا والبحرين والآن مصر وغدا جميع الدول- بأن الولايات المتحدة تشن حربا على الإسلام ذاته، وأن هناك شعورا بالمهانة الدينية والقومية والحضارية الإسلامية بسبب احتلال أفغانستان والعراق، والممارسات الصهيونية في فلسطين، وعجز بعض الحكومات العربية وعمالة البعض الآخر.

هذا العامل الأهم ينبغي على "الإخوان" احترامه بجدية، وليس بمجرد تصريحات، وأن يكفوا تماما عن مغازلة أمريكا أو ادعاء إمكانية التفاهم معها بدعوى المصلحة، فالشعب العربي عامة، والمصري خاصة يعشق كل من يهاجم أمريكا، ليس لأنه شعب عاطفي، بل لأنه يحس



بسكين أمريكا على رقبته ورقبة إخوانـه فـي أفغانسـتان والعراق وفلسطين.

ومن ثم فإن المطلوب من "الإخوان" لتحقيق المزيد مـن القبول الشعبي وإفشال حالة الحصار الحكومي والعلمـاني، هو بناء موقـف رفـض حقيقـي للمشـروع الأمريكـي الصهيوني، والوقوف شكلا وموضوعا وبحزم وبدون تردد أو إمساك العصا من المنتصف مع المقاومة في أفغانسـتان والعراق وفلسطين، والتفريق دائما بين رفض الديكتاتورية واستخدام هذا الرفض في القبول بالأجنبي.

وعلى "الإخوان" ابتكار صـيغة لـرفض الديكتاتوريـة ومقاومة العدوان الخارجي في نفس الوقت، وإذا كان لا بد من تقديم أحدهما على الآخر، وعلى قاعدة أخف الضررين - والصحيح ترك أسوأ الضررين- فلا شك أن العـدوان والاحتلال الأجنبي أسوأ من الديكتاتورية الداخلية وكلاهما سيئ، وكلاهما سبب للآخر، وهذا الترتيب لـيس إلا مـن قبيل توضيح المسألة.

الناس تنتظر من "الإخـوان" أن يكونـوا علـى قـدر المسئولية، مسئولية قيادة الأمة ضـد عـدوها الخـارجي

(أمريكا وإسـرائيل)، وعـدوها الـداخلي (الديكتاتوريـة والفساد)، وننتظر من "الإخوان" أن يكون معيار التفاضـل هو الكفاءة وليس الانتماء إلى "الإخوان" أو حتى الانتمـاء إلى التيار الإسلامي، أو صلة قرابة أو مصـلحة هنـا أو هناك.

الناس وضعت في "الإخوان" الثقة.. وإن لم يكونوا علـى قدرها ويرعوها حق رعايتها فستكون فتنة، وأي فتنـة، ولا حول ولا قوة إلا با   العلي العظيم.

تقرير

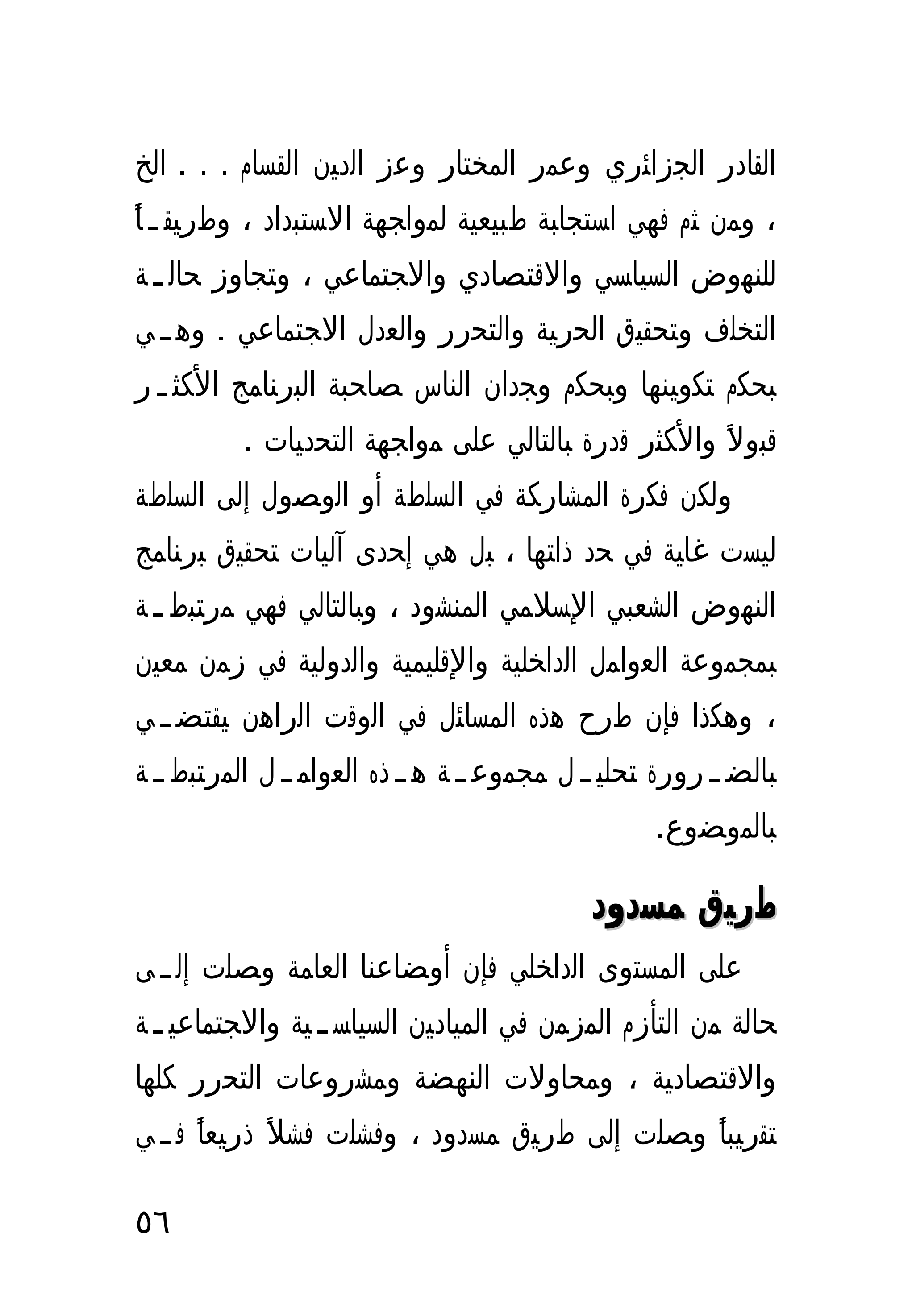


السلبيات والإيجابيات في مسألة مشاركة الإسلاميين في السلطة عموماً ، وفي مصر خصوصاً

رغم كل التجاوزات التي حدثت في المرحلة الثانية من الانتخابات المصرية وخاصة ظاهرة البلطجة ، فإن الإخوان المسلمين في مصر قد أبلوا بلاء حسناً وأياً كانت نتائج المرحلة الثانية والثالثة من تلك الانتخابات ، فإن الإخوان هم القوة الثانية إن لم تكن الأولى في مصر ، ومع الغياب الكامل لأي بديل حزبي آخر ، فإن السؤال المطروح الآن . . . هل يشارك الإخوان في السلطة ، أو حتى ينفردون بها في مرات قادمة ؟ ! . وإذا كان الإخوان قد دخلوا انتخابات ٢٠٠٥ بعدد محدود من المرشحين تحت شعار مشاركة لا مغالبة ، فإن من الطبيعي أن يفكروا في المرة القادمة في الدخول بهدف الحصول على الأغلبية أو على الأقل عدم إمكانية تشكيل حكومة بدونهم ، وهو الأمر الذي يضعهم أمام سؤال عن سلبيات وإيجابيات السلطة في مصر .

بداية فإن فكرة المشاركة في السلطة من قبل أي جماعـة سياسية أو اجتماعية أو من أي لون وطيف هي فكرة طبيعية ومشروعة ، وكذا فإن هدف الوصول إلى السلطة فـي حـد ذاته ليس هدفاً مجرداً بل هو مشروع ومقبول والحرص عليه ليس عيباً على الإطلاق .

وبالتالي فإن وصول الإسلاميين إلى السلطة أو مشاركتهم فيها هو أمر طبيعي بل أكثر من طبيعي ، واستهدافهم لـذلك لا يعيبهم بل إن حرمانهم من الوصول إلى السلطة بوسـائل متعددة منذ نشأة تلك الحركات كان جريمة ضـد الشـرعية وضد رغبة الناس وضد مبـادئ القـانون - أي قـانون . وبالنسبة لي ، فإنني أعتبر التيار الإسلامي في بلادنا العربية هو الأكثر تعبيراً عن وجدان الناس وعن مصالحهم دون أن يكون له الحق في أن يحتكر الإسلام طبعاً أو يقصره علـى نفسه ، ومن هنا فإن وصوله إلى السلطة هو هـدف نبيـل . وأعتقد أن الحركات الإسلامية هي الامتداد الطبيعي لحركـة التحرر الوطني ضد الاستعمار والتي كانت إسلامية الجوهر والسلوك تماماً منذ عمر مكرم وجمال الدين الأفغاني والنديم ومصطفى كامل ومحمد فريد وعبد الكريم الخطـابي وعبـد

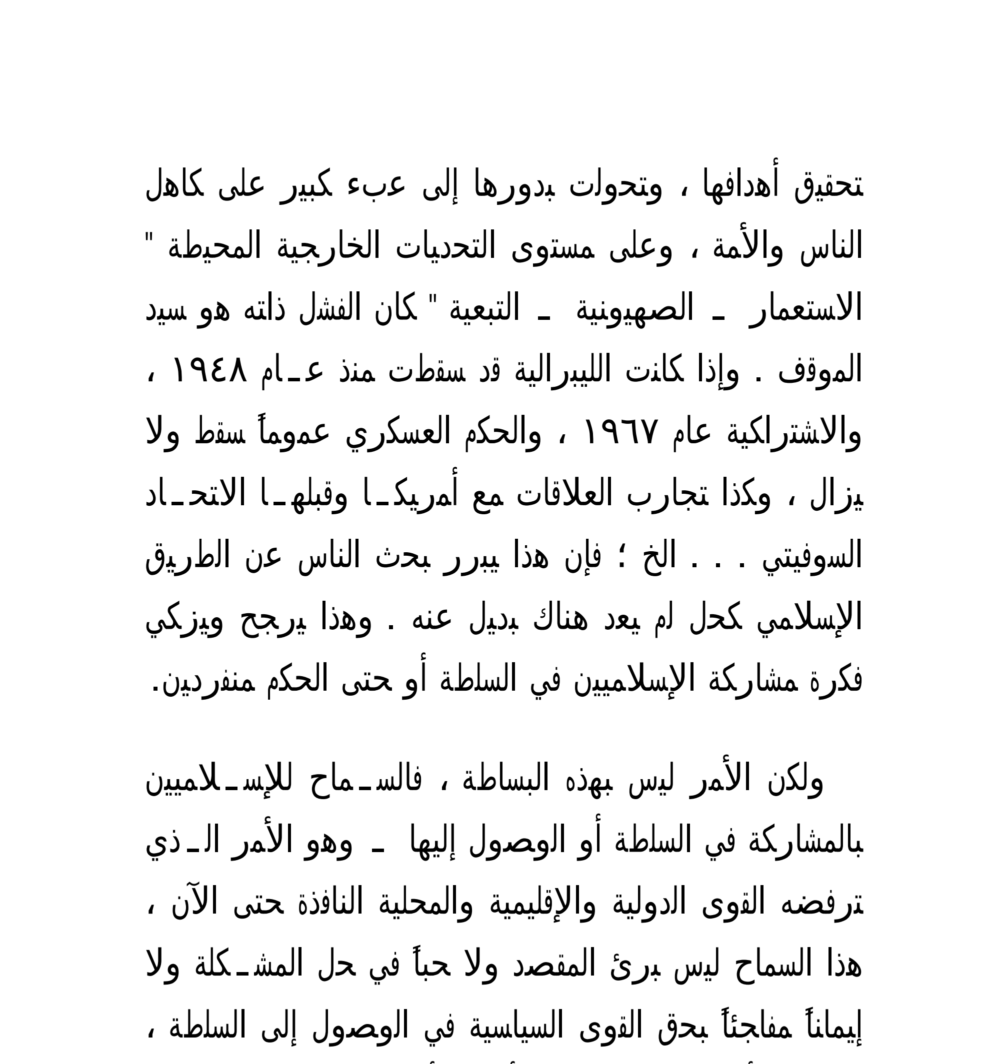


القادر الجزائري وعمر المختار وعز الدين القسام . . . الخ ، ومن ثم فهي استجابة طبيعية لمواجهة الاستبداد ، وطريقـاً للنهوض السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وتجاوز حالـة التخلف وتحقيق الحرية والتحرر والعدل الاجتماعي . وهـي بحكم تكوينها وبحكم وجدان الناس صاحبة البرنامج الأكثـر قبولاً والأكثر قدرة بالتالي على مواجهة التحديات .

ولكن فكرة المشاركة في السلطة أو الوصول إلى السلطة ليست غاية في حد ذاتها ، بل هي إحدى آليات تحقيق برنامج النهوض الشعبي الإسلامي المنشود ، وبالتالي فهي مرتبطـة بمجموعة العوامل الداخلية والإقليمية والدولية في زمن معين ، وهكذا فإن طرح هذه المسائل في الوقت الراهن يقتضـي بالضـرورة تحليـل مجموعـة هـذه العوامـل المرتبطـة بالموضوع.

طريق مسدود

على المستوى الداخلي فإن أوضاعنا العامة وصلت إلـى حالة من التأزم المزمن في الميادين السياسـية والاجتماعيـة والاقتصادية ، ومحاولات النهضة ومشروعات التحرر كلها تقريباً وصلت إلى طريق مسدود ، وفشلت فشلاً ذريعاً فـي



تحقيق أهدافها ، وتحولت بدورها إلى عبء كبير على كاهل الناس والأمة ، وعلى مستوى التحديات الخارجية المحيطة " الاستعمار ـ الصهيونية ـ التبعية " كان الفشل ذاته هو سيد الموقف . وإذا كانت الليبرالية قد سقطت منذ عـام ١٩٤٨ ، والاشتراكية عام ١٩٦٧ ، والحكم العسكري عموماً سقط ولا يزال ، وكذا تجارب العلاقات مع أمريكـا وقبلهـا الاتحـاد السوفيتي . . . الخ ؛ فإن هذا يبرر بحث الناس عن الطريق الإسلامي كحل لم يعد هناك بديل عنه . وهذا يرجح ويزكي فكرة مشاركة الإسلاميين في السلطة أو حتى الحكم منفردين.

ولكن الأمر ليس بهذه البساطة ، فالسـماح للإسـلاميين بالمشاركة في السلطة أو الوصول إليها ـ وهو الأمر الـذي ترفضه القوى الدولية والإقليمية والمحلية النافذة حتى الآن ، هذا السماح ليس برئ المقصد ولا حباً في حل المشـكلة ولا إيماناً مفاجئاً بحق القوى السياسية في الوصول إلى السلطة ، إنه في رأيي مجرد فخ على أساس أن مشاركة الإسـلاميين في السلطة مع وضع ضمانات معينة تجعلهم غيـر قـادرين على تنفيذ برامجهم الحقيقية هو نـوع مـن التـوريط لهـم وإضعاف موقفهم الجماهيري ومن ثم تحويلهم إلى شيء آخر

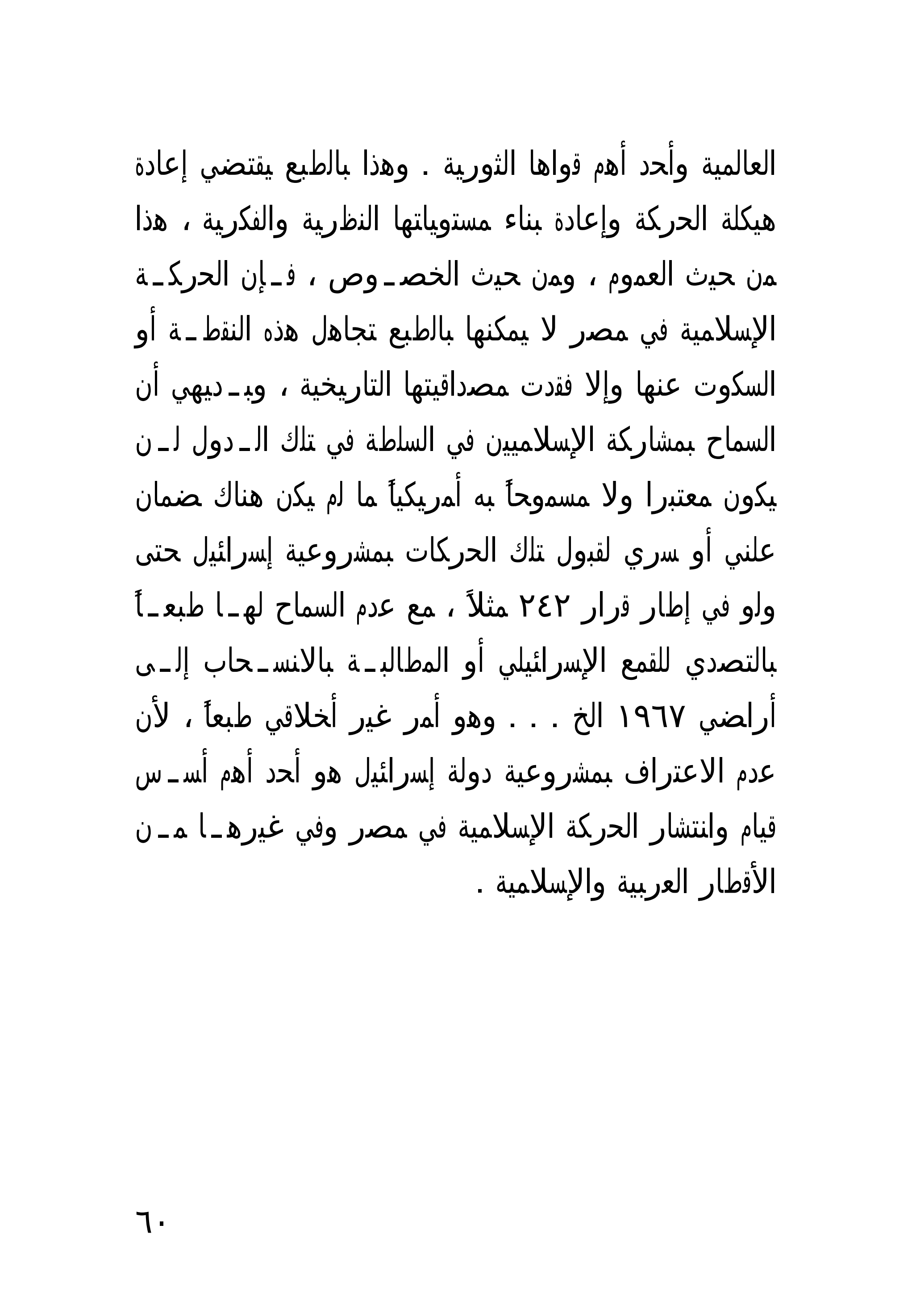
غير إسلامي " يمين محافظ أو غير محافظ مثلاً فـي إطـار علماني " . وفي نفس الوقت فإنهم وحدهم القـادرون علـى تهدئة الشارع العربي والإسلامي المنفلت والذي تزيده حالات الاستفزاز الديني والقومي والوطني الذي تقوم به الولايـات المتحدة وإسرائيل في المنطقة ومن ثم يمكنه التحول إلى نوع من المقاومة غير المؤطرة . وهي خطر شديد على الاحتلال الصهيوني الأمريكي ، وهكذا فالهدف من السماح للإسلاميين بالوصول إلى السلطة في ذلك الوقت هو نـزع فتيـل هـذا الخطر – وبالتالي فالقبول بتلك المهمة هو أمر خطأ وخطر ولا يمكننا بالطبع أن نعمل مانعة صواعق لصالح الأمريكان.

النقطة الهامة التي ينبغي أن نأخذها في اعتبارنا هنا هـي أن العالم أصبح شديد التداخل ، وهنـاك عولمـة اقتصـادية متوحشة لا تسمح بسهولة بتحقيق أي نوع من التنمية المستقلة وبالتالي عدم القدرة على تحقيق برنامج اقتصـادي حقيقـي لصالح عموم الناس ، وهناك انفراد أمريكي بالقوة في العالم ، ومن ثم فإن أي حكومة وطنية مهما كان برنامجها ، ومهما كانت كفاءة رجالها وعناصرها غير قادرة على المنـاورة ، وسوف تخضع في المحصلة لهذا العامل الصعب " العولمـة

ـ هيمنة أمريكا على العالم " ، ومع الأخذ في الاعتبار أننـا أمة في حالة هزيمة تكنولوجية ، وأن الفجوة التكنولوجيـة لا يمكن سدها بوسائل تقليدية أو بوسائل مسـتمدة مـن نفـس طريقة التفكير الغربية في التنمية ، لأدركنا على الفـور أن المشاركة في السلطة قد لا تحقق الكثير مما يتوقعه النـاس ، وفي نفس الوقت قد تحدث نوعا من الانصراف الجمـاهيري عن المشروع الإسلامي وإحداث نوع من الشوشـرة علـى منطلقاته النظرية .

رأس حربة ضد المشروع الأمريكي

والأفضل طبعاً أن تتحول الحركات الإسلامية إلى نـوع من حركات التحرر الوطني ـ في المعارضة ـ تكون رأس حربة ضد المشروع الأمريكي الصهيوني ، وتفرز وسـائل وأطر لتحقيق هـذه المقاومـة ضـد الاحـتلال الأمريكـي والصهيوني وأن تشارك بقوة في عملية مقاومة العولمة فـي مفهومها الاستئصالي للآخر ، وأن تقدم الإسلام كبـديل فـي مواجهة المشروع الإمبراطوري الرأسمالي الإمبريالي ، وأن تتحول الحركات الإسلامية بالتالي إلى طليعة لهذه الحركـة



العالمية وأحد أهم قواها الثورية . وهذا بالطبع يقتضي إعادة هيكلة الحركة وإعادة بناء مستوياتها النظرية والفكرية ، هذا من حيث العموم ، ومن حيث الخصـوص ، فـإن الحركـة الإسلامية في مصر لا يمكنها بالطبع تجاهل هذه النقطـة أو السكوت عنها وإلا فقدت مصداقيتها التاريخية ، وبـديهي أن السماح بمشاركة الإسلاميين في السلطة في تلك الـدول لـن يكون معتبرا ولا مسموحاً به أمريكياً ما لم يكن هناك ضمان علني أو سري لقبول تلك الحركات بمشروعية إسرائيل حتى ولو في إطار قرار ٢٤٢ مثلاً ، مع عدم السماح لهـا طبعـاً بالتصدي للقمع الإسرائيلي أو المطالبـة بالانسـحاب إلـى أراضي ١٩٦٧ الخ . . . وهو أمر غير أخلاقي طبعاً ، لأن عدم الاعتراف بمشروعية دولة إسرائيل هو أحد أهم أسـس قيام وانتشار الحركة الإسلامية في مصر وفي غيرهـا مـن الأقطار العربية والإسلامية .

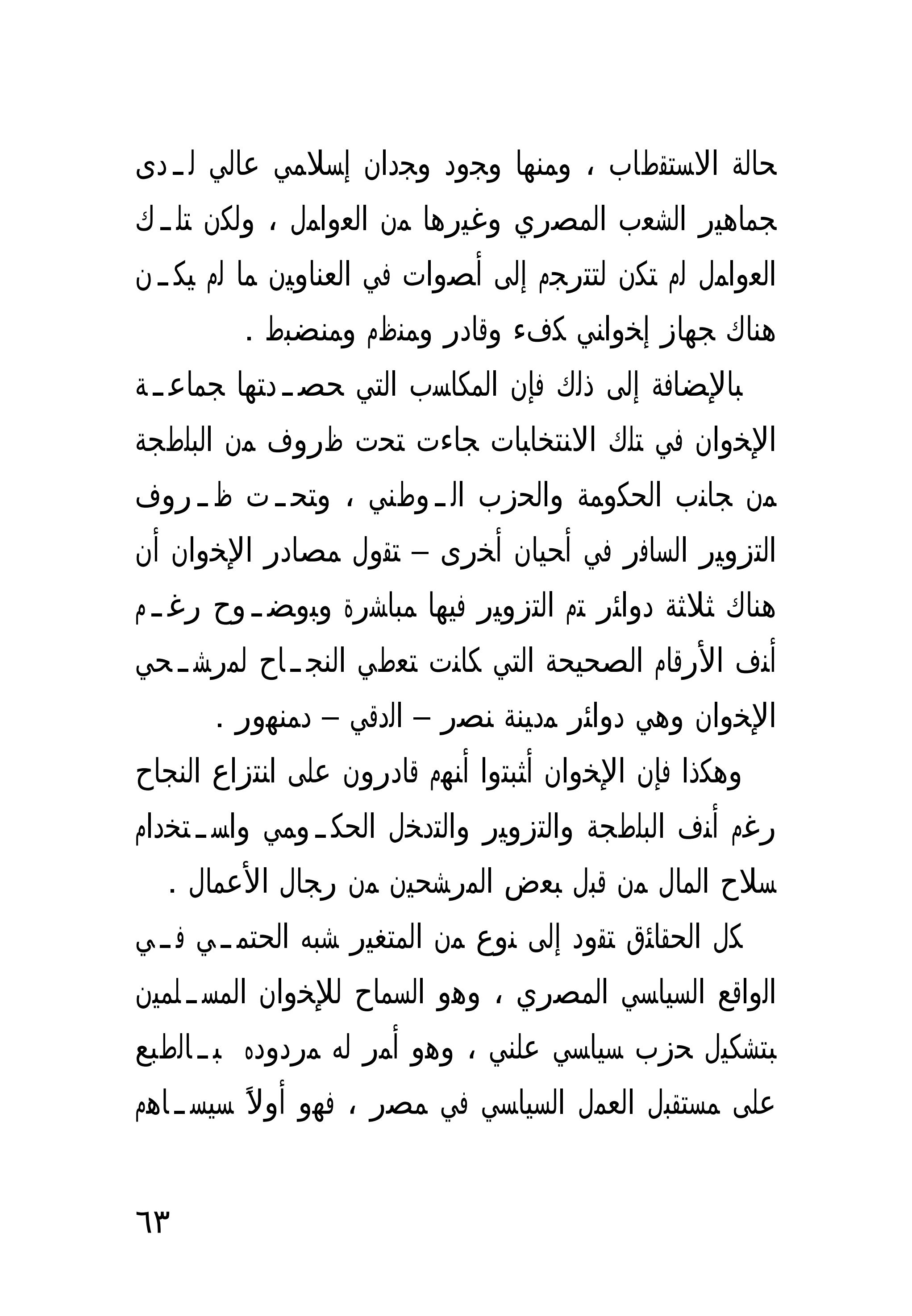
مستقبل العمل السياسي في مصر في ظل صعود الإخوان المسلمين

الصعود الإخواني – المتوقع بالنسبة لنا – وغير المتوقع أو المذهل بالنسبة لغيرنا . . . سيحدث بالضرورة آثاراً سياسية واجتماعية واسعة على الحراك السياسي في مصر في أكثر من اتجاه .

بداية فإن من الضروري قراءة نتائج الانتخابات البرلمانية الأخيرة بشيء من الهدوء والاتزان بعيداً عن الانفعال المرضي وغير السوي فإذا كان الإخوان قد فازوا بـ ٢٢ % من مقاعد البرلمان في حين فازت كل قوى المعارضة من أحزاب رسمية وحركات غير رسمية أو محجوبة عن الشرعية بحوالي ٣ % ، فإن ذلك معناه أن القوة السياسية الأهم والأكبر في الواقع السياسي المصري هي الإخوان المسلمين ، خاصة إذا قرأنا عدد المقاعد التي فاز بها الإخوان في ضوء عدد المقاعد التي فاز بها الإخوان في ضوء عدد المقاعد التي دخلوها أصلاً – حيث لم يدخل الإخوان في كل الدوائر ولا المقاعد ، وهذه نسبتها إلى تلك حوالي ٧٠ % ، إذاً فإن من الممكن أن يحصل الإخوان على

حوالي ٧٠ % من المقاعد إذا ما قرروا الـدخول فـي كـل الدوائر ، وبديهي أن الإخوان فضلوا الابتعاد عن المسـاحة الحمراء ، ودخلوا تحت شعار مشاركة لا مغالبة ، أي تركوا الأغلبية للحزب الوطني لأن الظرف السياسي – من وجهـة نظرهم – لا يحتمل حصولهم على الأغلبية حتى لا يتكـرر سيناريو الجبهة الإسلامية للإنقاذ مثلاً ، المهم في المسألة أن أي قراءة لنتائج الانتخابات تقول أن الإخـوان هـم القـوة السياسية الأولى في مصر بلا منازع .

أظهرت الانتخابات أيضاً أن الإخوان المسلمين يتمتعـون بتنظيم دقيق وكفء ، وقدرة مالية لا بأس بها ، وصحيح أن هناك عوامل أخرى ساهمت في صعود الإخوان مثل فسـاد الحكومـة وانهيـار جهازهـا الإداري وتـردي الأحـوال الاجتماعية والاقتصادية في مصر ، ومنها حالة الاسـتفزاز القومي والديني بسبب ممارسات أمريكا وإسرائيل الأمر الذي يدفع في اتجاه التأكيد على الدين والحضارة والهوية ، ومنها الممارسات الكنسية الاستعلائية خاصة في الفتـرة الأخيـرة والاستقواء بالخارج ، وممارسة بابا الكنيسة لـدور سياسـي يتنافى مع عقائد وتقاليد الكنيسة المصرية الأمر الذي يدفع في



حالة الاستقطاب ، ومنها وجود وجدان إسلامي عالي لـدى جماهير الشعب المصري وغيرها من العوامل ، ولكن تلـك العوامل لم تكن لتترجم إلى أصوات في العناوين ما لم يكـن هناك جهاز إخواني كفء وقادر ومنظم ومنضبط .

بالإضافة إلى ذلك فإن المكاسب التي حصـدتها جماعـة الإخوان في تلك الانتخابات جاءت تحت ظروف من البلطجة من جانب الحكومة والحزب الـوطني ، وتحـت ظـروف التزوير السافر في أحيان أخرى – تقول مصادر الإخوان أن هناك ثلاثة دوائر تم التزوير فيها مباشرة وبوضـوح رغـم أنف الأرقام الصحيحة التي كانت تعطي النجـاح لمرشـحي الإخوان وهي دوائر مدينة نصر – الدقي – دمنهور .

وهكذا فإن الإخوان أثبتوا أنهم قادرون على انتزاع النجاح رغم أنف البلطجة والتزوير والتدخل الحكـومي واسـتخدام سلاح المال من قبل بعض المرشحين من رجال الأعمال .

كل الحقائق تقود إلى نوع من المتغير شبه الحتمـي فـي الواقع السياسي المصري ، وهو السماح للإخوان المسـلمين بتشكيل حزب سياسي علني ، وهو أمر له مردوده بـالطبع على مستقبل العمل السياسي في مصر ، فهو أولاً سيسـاهم

في نوع من التطور الفكري والسياسي داخل الإخوان أنفسهم ، لأن آليات الحزب السياسي العلني تقتضي الاهتمام بالتربية السياسية على حساب التربية الإخوانية التقليدية ، وسـيجعل الإخوان طرفاً حتمياً في أي قضية سياسية أو اجتماعيـة أو اقتصادية بدلاً من التدثر بعباءة " عدم الشرعية " وهذا لا شك سيضع الإخوان في امتحان حقيقي أمام الشارع الذي يبحـث عن مصالحه بالإضافة إلى حبه لدينه وهويته وحضارته ولا شك أيضاً أن حزب علني للإخوان سيعيد ترتيب الخريطـة السياسية لكل أحزاب وأفكار وقـوى المعارضـة السياسـية اليسارية والناصرية والليبرالية بكل أطيافها .

من الحقائق التي أظهرتها نتائج الانتخابات أن الأحـزاب العلمانية والقوى السياسية المعارضـة مـن يمـين ويسـار وناصريين تعاني من اضمحلال سياسي واضح ، وأنها إمـا كانت تستخدم لغة غير مفهومة للجماهير ، أو أنهـا كانـت تستخدم لغة مرفوضة ولا شك أن جماهير الشعب المصـري أوصلت رسالة إلى هـؤلاء بضـرورة احتـرام الوجـدان الإسلامي للجماهير ، وعدم ممارسة التعالي الزائـف علـى ثقافة الأمة ، والمستقبل بالنسبة إلى تلك الحركات والأحزاب

يحمل عدة حلول ، إمـا إعـادة إنتـاج خطابهـا السياسـي بالاقتراب من ثقافة الأمة ودينها وحضارتها ، وإما التحـالف مع الحكومة ، وإما الدعوة إلى إلغاء العمليـة الديمقراطيـة برمتها ، وقد حدث بالفعل أن طالب بعضهم بذلك ، بـدعوى أن الجماهير لا تزال جاهلة ، وأن الواقع المصري لم ينضج بعد ! ! . أي أن المطلوب إقالة الشعب المصـري مـادام لا يستمع إلى نصائحهم ومفاهيمهم ويـذهب باتجـاه الظلاميـة والرجعية . وعلى هامش تلـك المسـألة هنـاك أشـخاص واتجاهات داخل تلك الحركة لا ترفض الهوية الإسلامية مثل الناصريين ، وهؤلاء وغيرهم سيذهبون في اتجاه الإخـوان بصورة أو بأخرى .

على مستوى الحـزب الـوطني الحـاكم ، فـإن نتـائج الانتخابات أثبتت ترهله وضعفه . ولـولا أن الإخـوان لـم يدخلوا في كل الدوائر لكانت الفضـيحة مدويـة ، ورغـم حصول هذا الحزب على ٧٠ % من المقاعـد إلا أن عـدداً كبيراً منها كان لمستقلين دخلوا الحزب بعـد نجـاحهم ، ولا شك أيضاً أن رموز لجنة السياسات التي من المفروض أنها تقود التطوير في الحزب قد فشلوا في تلك الانتخابات ، وهذا

يعني أن الحزب بحاجة إلى جراحة عاجلة وإلا فالموت هـو مصيره ، ويطرح البعض إمكانية تخلي الرئيس مبارك عـن ذلك الحزب فيموت بالسكتة القلبيـة وإنشـاء حـزب أخـر بديل....

ولعل من المفيد هنـا ، أن نقـول أن صـعود الإخـوان المسلمين طرح على الساحة السياسية إمكانية توريث جمـال مبارك للرئاسة ، على أساس أن الفزع الـذي أصـاب كـل القوى السياسية تقريباً من هذا الصـعود ، سـيجعل هـؤلاء يفضلون تأييد جمال مبارك والالتفاف حوله لمنـع وصـول الإخوان إلى الحكم ولا شك أن هذا السيناريو مطـروح الآن بقوة ، ولكن الأمور ليست بهذه البساطة في بلد معقـد مثـل مصر ، مع الأخذ في الاعتبار هنا أن القوى الدوليـة ربمـا تفكر بهذه الطريقة أيضاً فتقبل توريث جمال لمنـع وصـول الإخوان .

***

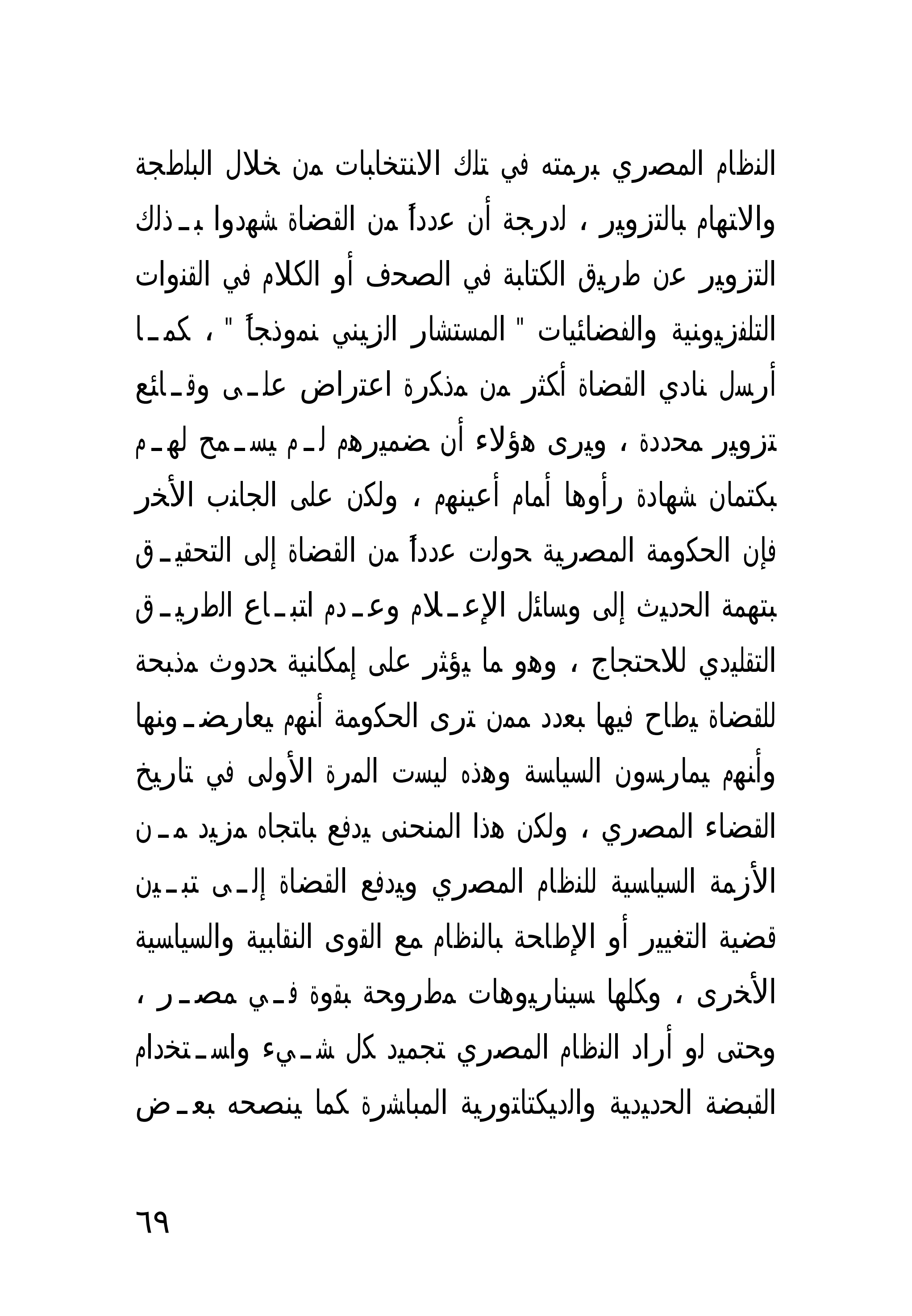
الذعر الذي أثاره فوز الإخوان – غير المتوقع من وجهة نظر المذعورين – سيؤثر بالضرورة علـى شـكل العمـل السياسي والاجتماعي ، المذعورون تحديداً كـانوا المثقفـين

العلمانيين ، ورموز مسيحية معينة ، ووصل الأمر إلـى أن البابا صرح بأنه أبلغ الرئيس المصري عن قلقه بخصـوص صعود الإخوان ، وهو تصريح غير موفق للبابا ، لأنه نـوع من رفض إرادة الناخبين وممارسة نوع من الوصاية علـى الشعب المصري والدولة المصرية ، وهناك تصريح لمفكـر مسيحي معروف ورئيس لجنة مجلس الشعب سابقاً وأسـتاذ جامعة هو الدكتور ميلاد حنا الذي قال أن على المسيحيين أن يهاجروا من مصر في حالة فوز الإخوان ، ولا شك أن هذا الذعر وهذا النوع من الخطاب سيحدث المزيد من الاستقطاب الطائفي ، وهو ذعر بلا مبرر لأنه ليس معروفاً عن الإخوان سوء معاملة المسيحيين مثلاً ! ! . المهم هنـا هـو أن هـذا الذعر يعبر عن إحساس بالفشل بعد كل هذه السنين والأموال والجهود لصرف الشعب المصري عن الوجدان الإسـلامي ، فإذاً هذا الوجدان قوي جداً ! ! . وليس نوع من الخوف لأنه لا مبرر هناك للخوف ، على أن من المتوقع أن يحدث نـوع من المراجعة داخل المجتمع المسـيحي المصـري باتجـاه الانفتاح على الثقافة والحضارة الإسلامية وبنـاء مسـاحات مشتركة من خلال تلك الثقافة والحضارة – على غرار قول

السياسي المسيحي الزعيم مكرم عبيد " أنا مسيحي ديناً مسلم وطناً " وهناك بالفعل دعوات داخل المجتمع المصري تـرى ذلك " د / رفيق حبيب نموذجاً " . . . وترى أيضاً ضرورة عدم المشاركة السياسية للبابا وترك أمور السياسة للمجتمـع المدني المسيحي وليس الكنيسة . وبديهي أيضاً أن المسـتقبل سيحمل المزيد من مزايدات المتطرفين المسـيحيين " أقبـاط المهجر نموذجاً " ومحصلة كل هذه العوامل ستشكل مضمون العلاقة بين المسيحيين والدولة والمجتمع فـي مصـر فـي المستقبل القريب والمتوسط .

***

على صعيد الحراك الاجتماعي والسياسي ، فإن الرسـالة الشعبية قالت بوضوح أن النـاس تنحـاز إلـى المشـروع الإسلامي وأنها لم تعد تطيق فساد الحكومـة ، ولا تهاونهـا أمام الاستفزاز الأمريكي والإسرائيلي ، وأن على الحكومـة أن تستجيب لذلك بسرعة علـى صـعيد إلغـاء الطـوارئ والتصدي للفساد ونوع من الممانعة السياسية أمـام أمريكـا وإسرائيل ، وإلا فإن الحكومة ستكون في مأزق أمام الناس ، وبالإضافة إلى ذلك فإن المزيد من التآكل قد طـال شـرعية



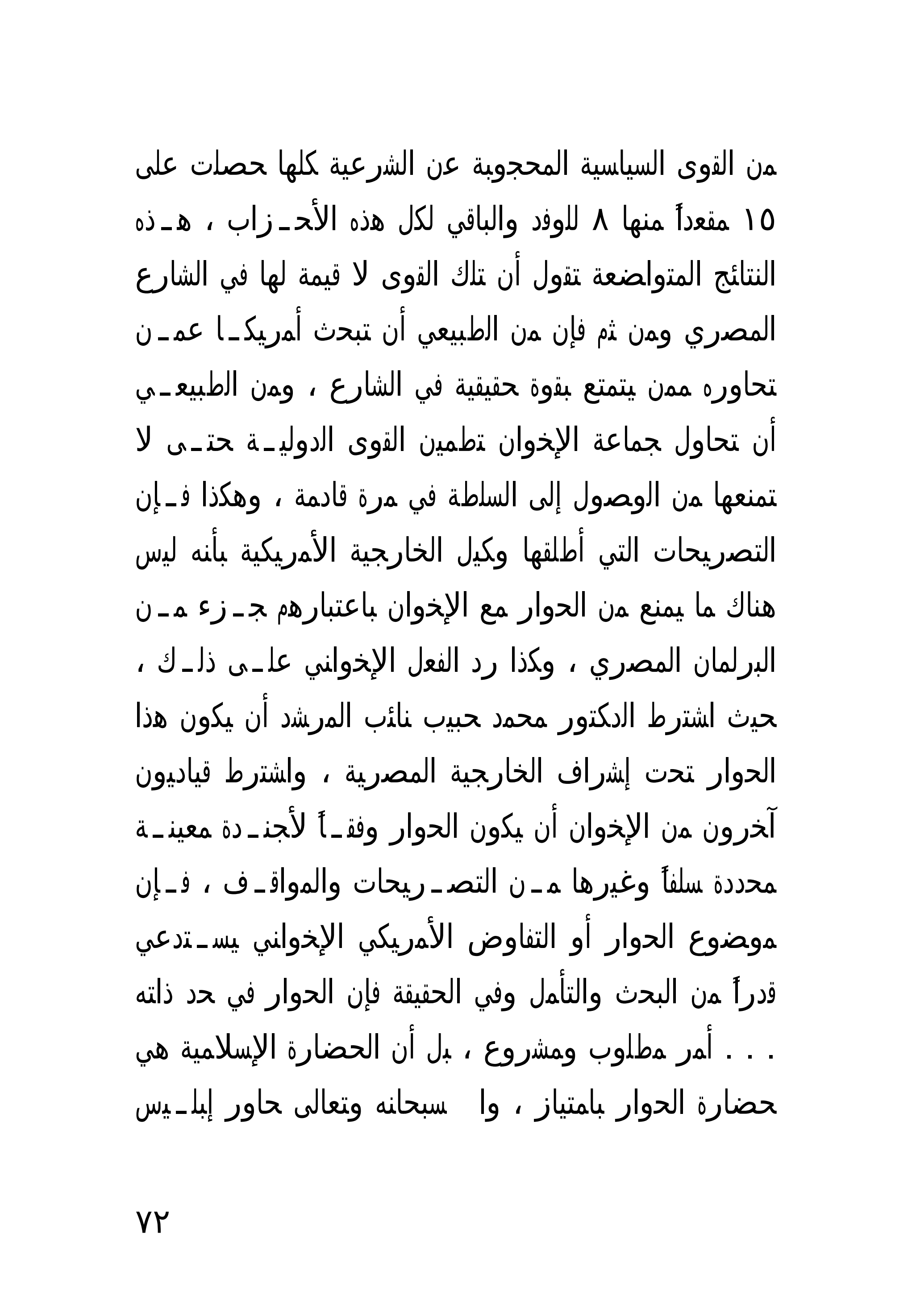
النظام المصري برمته في تلك الانتخابات من خلال البلطجة والاتهام بالتزوير ، لدرجة أن عدداً من القضاة شهدوا بـ ذلك التزوير عن طريق الكتابة في الصحف أو الكلام في القنوات التلفزيونية والفضائيات " المستشار الزيني نموذجاً " ، كمـا أرسل نادي القضاة أكثر من مذكرة اعتراض علـى وقـائع تزوير محددة ، ويرى هؤلاء أن ضميرهم لـم يسـمح لهـم بكتمان شهادة رأوها أمام أعينهم ، ولكن على الجانب الأخر فإن الحكومة المصرية حولت عدداً من القضاة إلى التحقيـق بتهمة الحديث إلى وسائل الإعـلام وعـدم اتبـاع الطريـق التقليدي للاحتجاج ، وهو ما يؤثر على إمكانية حدوث مذبحة للقضاة يطاح فيها بعدد ممن ترى الحكومة أنهم يعارضـونها وأنهم يمارسون السياسة وهذه ليست المرة الأولى في تاريخ القضاء المصري ، ولكن هذا المنحنى يدفع باتجاه مزيد مـن الأزمة السياسية للنظام المصري ويدفع القضاة إلـى تبـين قضية التغيير أو الإطاحة بالنظام مع القوى النقابية والسياسية الأخرى ، وكلها سيناريوهات مطروحة بقوة فـي مصـر ، وحتى لو أراد النظام المصري تجميد كل شـيء واسـتخدام القبضة الحديدية والديكتاتورية المباشرة كما ينصحه بعـض

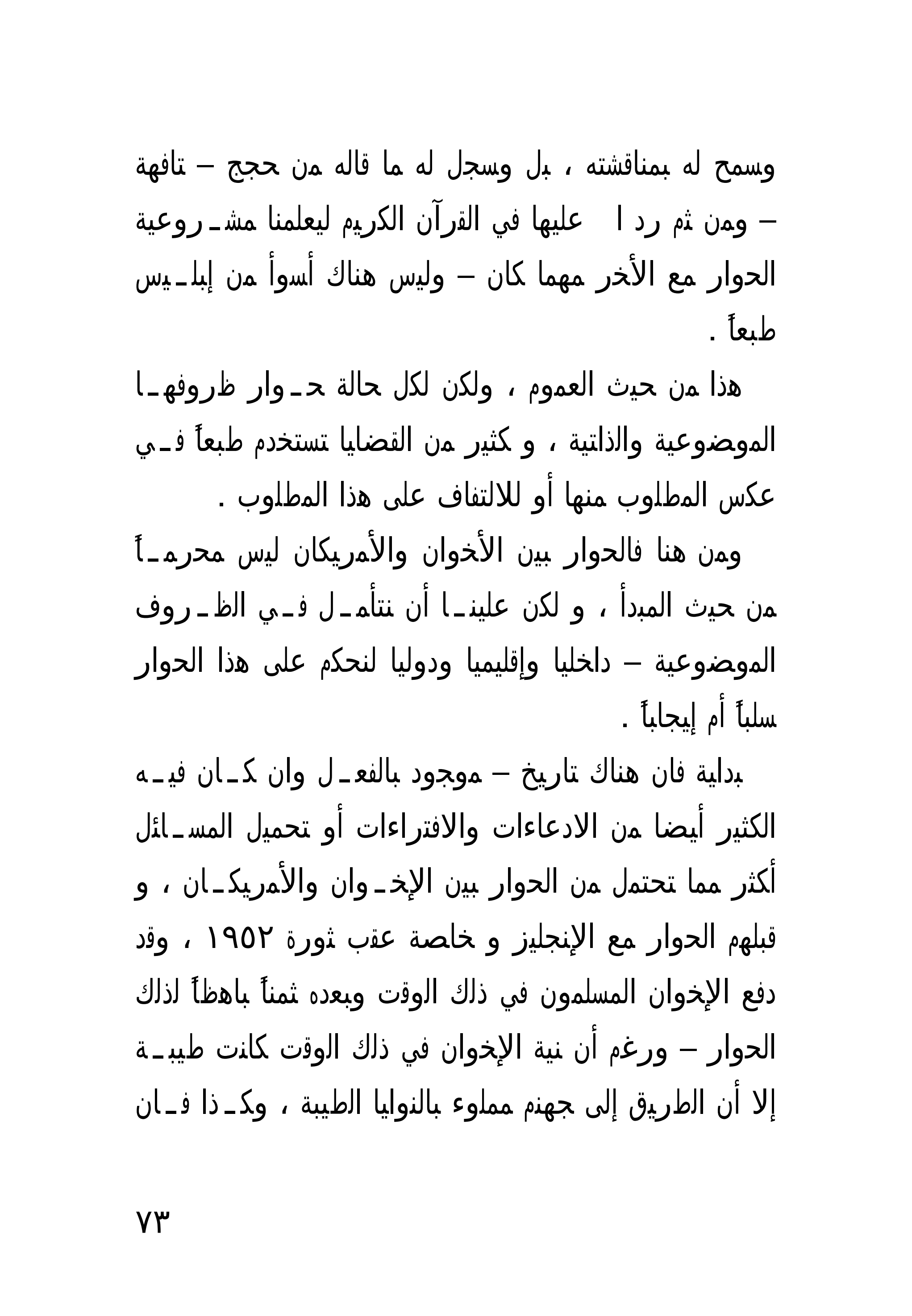
المثقفين العلمانيين ، فإن ذلك قد فات أوانــه ، وأن مســاحة الرفض والغضب الشعبي المصري باتــت أوســع مــن أن تحكمها يد النظام مهما فعل . . . .

وهكذا فإن مصر حبلى بالمفاجآت ! ! .

تقرير
بعد صعود الإخوان في الانتخابات
إيجابيات وسلبيات الحوار الأمريكاني الإخواني

بعد فوز الإخوان المسلمين بحوالي ٢٠,٣ % من مقاعد البرلمان المصري " ٨٨ مقعداً " ، مع الأخذ في الاعتبار أن حملة أمنية وإعلامية ضخمة مورست ضد الإخوان ، وهناك اتهامات باستخدام الحكومة المصرية نوع من التزوير والبلطجة ضد مرشحي الإخوان ، ومع الأخذ في الاعتبار أن الإخوان لم يترشحوا أصلاً في كل الدوائر واكتفوا بتقديم حوالي ١٥٠ مرشحاً ، مما يعني أنهم حققوا فوزاً كبيراً ، وأثبتوا أنهم هم القوة السياسية الوحيدة في الشارع المصري ، باعتبار أن الحزب الوطني هو حزب الحكومة وإذا رفعت الحكومة يدها عنه تلاشى فوراً ، ومن ثم لا يمكن اعتبار الحزب الوطني قوة سياسية حقيقية ، وكذا فإن النتائج المتواضعة التي حصلت عليها الأحزاب السياسية المصرية الرسمية وغير الرسمية حوالي ٢٠ حزباً سياسياً ، وعدد آخر


من القوى السياسية المحجوبة عن الشرعية كلها حصلت على ١٥ مقعداً منها ٨ للوفد والباقي لكل هذه الأحـزاب ، هـذه النتائج المتواضعة تقول أن تلك القوى لا قيمة لها في الشارع المصري ومن ثم فإن من الطبيعي أن تبحث أمريكـا عمـن تحاوره ممن يتمتع بقوة حقيقية في الشارع ، ومن الطبيعـي أن تحاول جماعة الإخوان تطمين القوى الدوليـة حتـى لا تمنعها من الوصول إلى السلطة في مرة قادمة ، وهكذا فـإن التصريحات التي أطلقها وكيل الخارجية الأمريكية بأنه ليس هناك ما يمنع من الحوار مع الإخوان باعتبارهم جـزء مـن البرلمان المصري ، وكذا رد الفعل الإخواني علـى ذلـك ، حيث اشترط الدكتور محمد حبيب نائب المرشد أن يكون هذا الحوار تحت إشراف الخارجية المصرية ، واشترط قياديون آخرون من الإخوان أن يكون الحوار وفقـاً لأجنـدة معينـة محددة سلفاً وغيرها مـن التصـريحات والمواقـف ، فـإن موضوع الحوار أو التفاوض الأمريكي الإخواني يسـتدعي قدراً من البحث والتأمل وفي الحقيقة فإن الحوار في حد ذاته . . . أمر مطلوب ومشروع ، بل أن الحضارة الإسلامية هي حضارة الحوار بامتياز ، وا سبحانه وتعالى حاور إبلـيس



وسمح له بمناقشته ، بل وسجل له ما قاله من حجج – تافهة – ومن ثم رد ا عليها في القرآن الكريم ليعلمنا مشـروعية الحوار مع الأخر مهما كان – وليس هناك أسوأ من إبلـيس طبعاً .

هذا من حيث العموم ، ولكن لكل حالة حـوار ظروفهـا الموضوعية والذاتية ، و كثير من القضايا تستخدم طبعاً فـي عكس المطلوب منها أو للالتفاف على هذا المطلوب .

ومن هنا فالحوار بين الأخوان والأمريكان ليس محرمـاً من حيث المبدأ ، و لكن علينـا أن نتأمـل فـي الظـروف الموضوعية – داخليا وإقليميا ودوليا لنحكم على هذا الحوار سلباً أم إيجاباً .

بداية فان هناك تاريخ – موجود بالفعـل وان كـان فيـه الكثير أيضا من الادعاءات والافتراءات أو تحميل المسـائل أكثر مما تحتمل من الحوار بين الإخـوان والأمريكـان ، و قبلهم الحوار مع الإنجليز و خاصة عقب ثورة ١٩٥٢ ، وقد دفع الإخوان المسلمون في ذلك الوقت وبعده ثمناً باهظاً لذلك الحوار – ورغم أن نية الإخوان في ذلك الوقت كانت طيبـة إلا أن الطريق إلى جهنم مملوء بالنوايا الطيبة ، وكـذا فـان

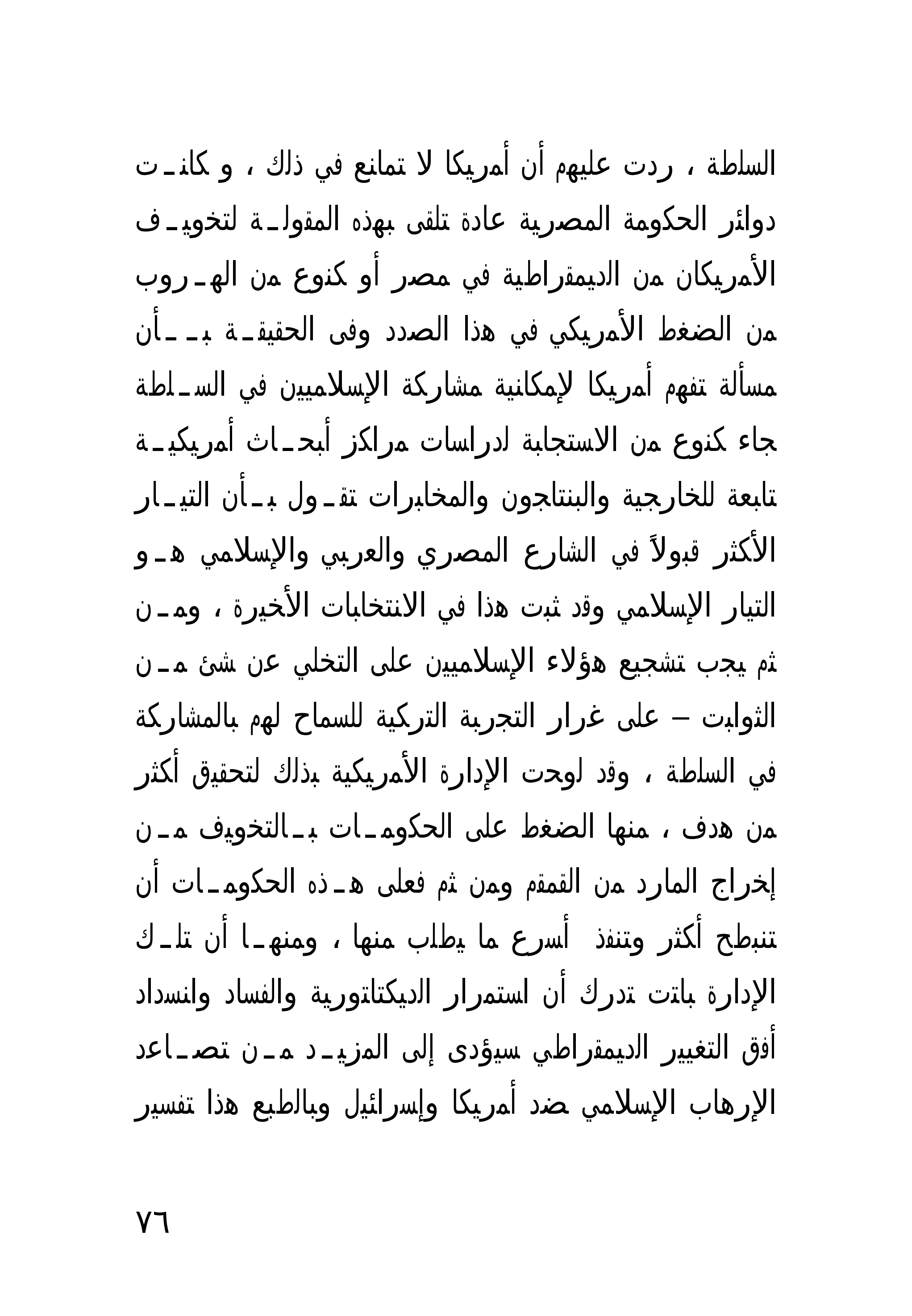
ذلك لا يعنى أن رجال ثورة ١٩٥٢ في هذا الموضوع كانوا على حق – فهم أنفسهم اتصلوا قبل ذلك وبعده بـالإنجليز و الأمريكان و الإسرائيليين أيضا ، وفى عموم الأمر فان تلـك الحادثة لا تبرر بالطبع كل تجاوزات ثورة ١٩٥٢ في حـق الأخوان المسلمين والشعب المصري عموماً .

المهم إن الإخوان المسلمين دفعوا ثمناً باهظاً وخاصة من سمعتهم ومصداقيتهم بسبب تلك الخطوة غيـر الضـرورية وغير المبررة و لا يجب بالطبع تكرار نفس الخطـأ ، فـلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

الحوار الإخوانى الأمريكاني ليس جديداً إذاً . . . والكثير من الروايات حول هذا الحوار أو الرسـائل التـي يحـاول الإخوان إرسالها إلى الأمريكان بأكثر مـن طريقـة بـدعوة ضرورة أن نطمئن الآخرين و ندعهم يفهموننا و لا يسـيئون الظن بنا أو الخوف منا – هذه الرسائل تم الحديث عنهـا و كشفها أكثر من مرة . ولكننـا لا نميـل إلـى السـير وراء الادعاءات حقيقية أو مفتراة . . . وفى الواقع العملي فـان الإخوان المسلمين أصلاً في العراق شاركوا في سلطة الحكم الانتقالي ، و هذه رسالة واضحة لأمريكا ، وحركة حمـاس

وهى الأكثر راديكالية في إطار حركة الأخـوان المسـلمين وافقت على المشاركة في الانتخابات التشريعية الفلسـطينية تحت سقف أوسلو ، وهو نوع من الرضـا الصـامت عـن أوسلو أي أنها رسالة بإمكانية القبول بأشكال مـن التهدئـة والقبول بمشروعات أمريكية ! ! ! ! وهو أمر لـه دلالاتـه وبديهي أن هناك فرق بين إفهام وتفهيم الآخـرين لمواقفنـا ومبادئنا و طبيعتنا وأهدافنا عن طريق الرسـائل الإعلاميـة المتاحة للجميع و بين المواقف العملية أو المفاوضـات بـين مسئولين من الطرفين .

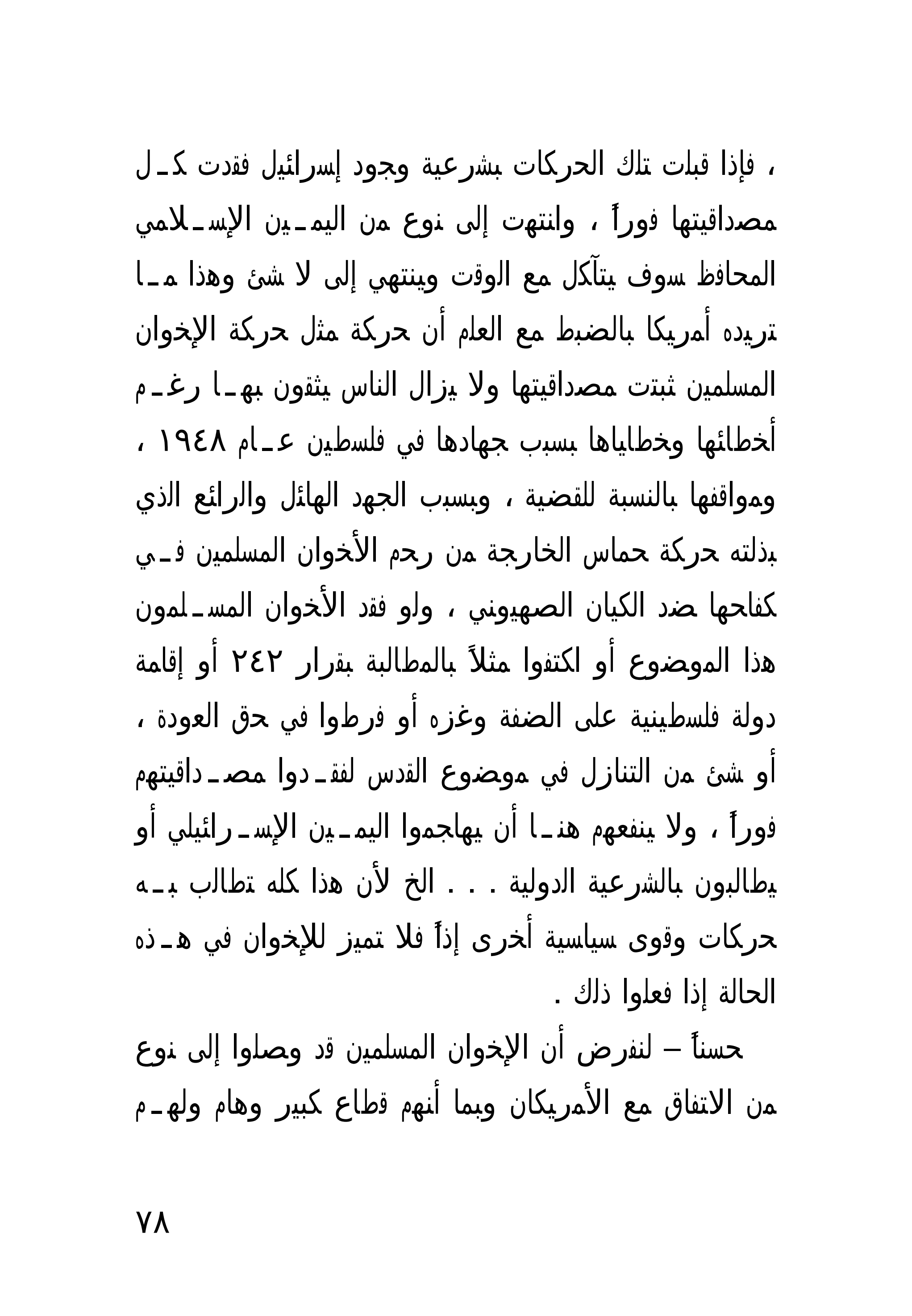
تصاعد الحديث عن إمكانية تفاهم أمريكي إخواني جعـل المسألة تقفز إلى الصدارة ، خاصة منذ أن صرحت السـيدة كونداليزا رايس وزيرة الخارجيـة الأمريكيـة بـأن الإدارة الأمريكية لا تمانع في وصول الإسلاميين المعتدلين و خاصة الإخوان المسلمين إلى السلطة في مصر أو مشاركتهم فيها ، وكانت سيدة أخرى هي مادلين أولبرايت وزيـرة الخارجيـة الأمريكية السابقة قد صرحت بشيء مثل هـذا فـي إحـدى اجتماعاتها – بالقاهرة – مع عدد من المثقفين المصريين ، و لما قالوا لها أن الديمقراطية تعنى وصول الإسـلاميين إلـى


السلطة ، ردت عليهم أن أمريكا لا تمانع في ذلك ، و كانـت دوائر الحكومة المصرية عادة تلقى بهذه المقولـة لتخويـف الأمريكان من الديمقراطية في مصر أو كنوع من الهـروب من الضغط الأمريكي في هذا الصدد وفى الحقيقـة بـأن مسألة تفهم أمريكا لإمكانية مشاركة الإسلاميين في السـلطة جاء كنوع من الاستجابة لدراسات مراكز أبحـاث أمريكيـة تابعة للخارجية والبنتاجون والمخابرات تقـول بـأن التيـار الأكثر قبولاً في الشارع المصري والعربي والإسلامي هـو التيار الإسلامي وقد ثبت هذا في الانتخابات الأخيرة ، ومـن ثم يجب تشجيع هؤلاء الإسلاميين على التخلي عن شئ مـن الثوابت – على غرار التجربة التركية للسماح لهم بالمشاركة في السلطة ، وقد لوحت الإدارة الأمريكية بذلك لتحقيق أكثر من هدف ، منها الضغط على الحكومـات بـالتخويف مـن إخراج المارد من القمقم ومن ثم فعلى هـذه الحكومـات أن تنبطح أكثر وتنفذ أسرع ما يطلب منها ، ومنهـا أن تلـك الإدارة باتت تدرك أن استمرار الديكتاتورية والفساد وانسداد أفق التغيير الديمقراطي سيؤدى إلى المزيـد مـن تصـاعد الإرهاب الإسلامي ضد أمريكا وإسرائيل وبالطبع هذا تفسير

جزئي فالذي يؤدى إلى تصاعد هذا الإرهاب هو ممارسـات أمريكا وإسرائيل قبل أي شئ آخر – ومن ثم حسب رؤيـة الأوساط الأمريكية فإن من الضروري إحـداث نـوع مـن الإصلاح في تلك الدول وتجديد شباب الطبقة الحاكمة وتبحث أمريكا عن بدائل ليبرالية أو قومية أو حتى يسارية ولكنهـا تكتشف في كل مرة أن تلك القوى بلا جمهور حقيقي وأنهـا لن تنجح في أداء المهمة .

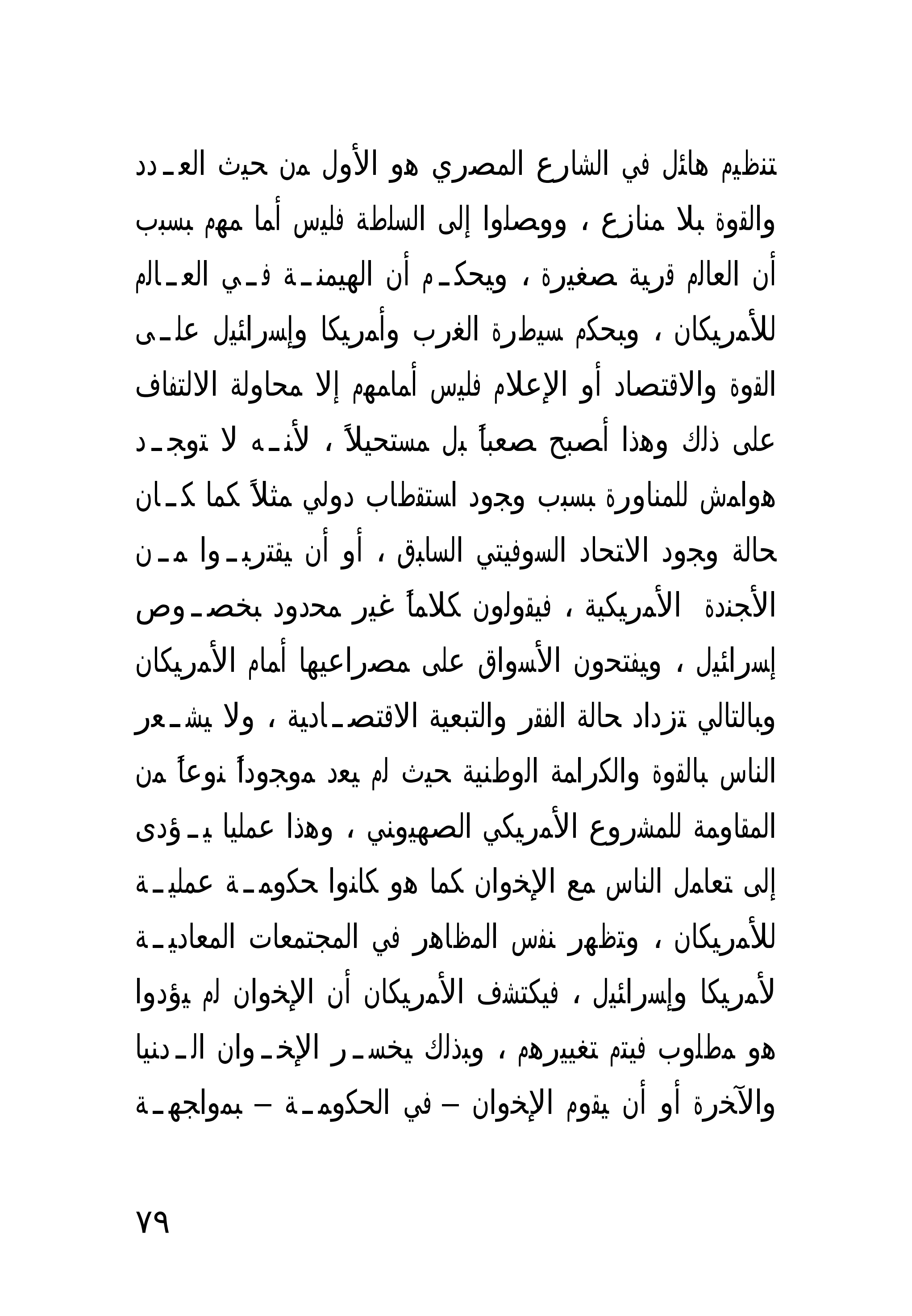
وهكذا فليس أمامها إلا شرب العلقم والمطلوب تخفيف هذا العلقم أو إلغاء مرارته أو إنهاء وجوده إن أمكن عن طريق مشاركته في السلطة .

تخفيف العلقم يتطلب استدراج تلك القـوى إلـى القبـول بالعولمة والرأسمالية ، والقبول بوجود إسـرائيل ! ! وهـذه شروط لا يمكن أن تتخلى عنها أمريكا ، وبـديهي أن حالـة تركيا هنا لا يمكنها أن تكون قياسـاً ناجحـاً ، فصـحيح أن الإسلاميين الأتراك قد تخلوا عن ثوابـت شـرعية بحجـة الضرورات تبيح المحظورات ، ولكن الموضوع الإسرائيلي ليس حرجاً ومحورياً بالنسبة إلى الشارع التركي وهو بالنسبة إلى الحركات الإسلامية في دول المواجهة موضوع محوري



، فإذا قبلت تلك الحركات بشرعية وجود إسرائيل فقدت كـل مصداقيتها فوراً ، وانتهت إلى نوع من اليمـين الإسـلامي المحافظ سوف يتآكل مع الوقت وينتهي إلى لا شئ وهذا مـا تريده أمريكا بالضبط مع العلم أن حركة مثل حركة الإخوان المسلمين ثبتت مصداقيتها ولا يزال الناس يثقون بهـا رغـم أخطائها وخطاياها بسبب جهادها في فلسطين عـام ١٩٤٨ ، ومواقفها بالنسبة للقضية ، وبسبب الجهد الهائل والرائع الذي بذلته حركة حماس الخارجة من رحم الأخوان المسلمين فـي كفاحها ضد الكيان الصهيوني ، ولو فقد الأخوان المسـلمون هذا الموضوع أو اكتفوا مثلاً بالمطالبة بقرار ٢٤٢ أو إقامة دولة فلسطينية على الضفة وغزه أو فرطوا في حق العودة ، أو شئ من التنازل في موضوع القدس لفقـدوا مصـداقيتهم فوراً ، ولا ينفعهم هنـا أن يهاجموا اليمـين الإسـرائيلي أو يطالبون بالشرعية الدولية . . . الخ لأن هذا كله تطالب بـه حركات وقوى سياسية أخرى إذاً فلا تميز للإخوان في هـذه الحالة إذا فعلوا ذلك .

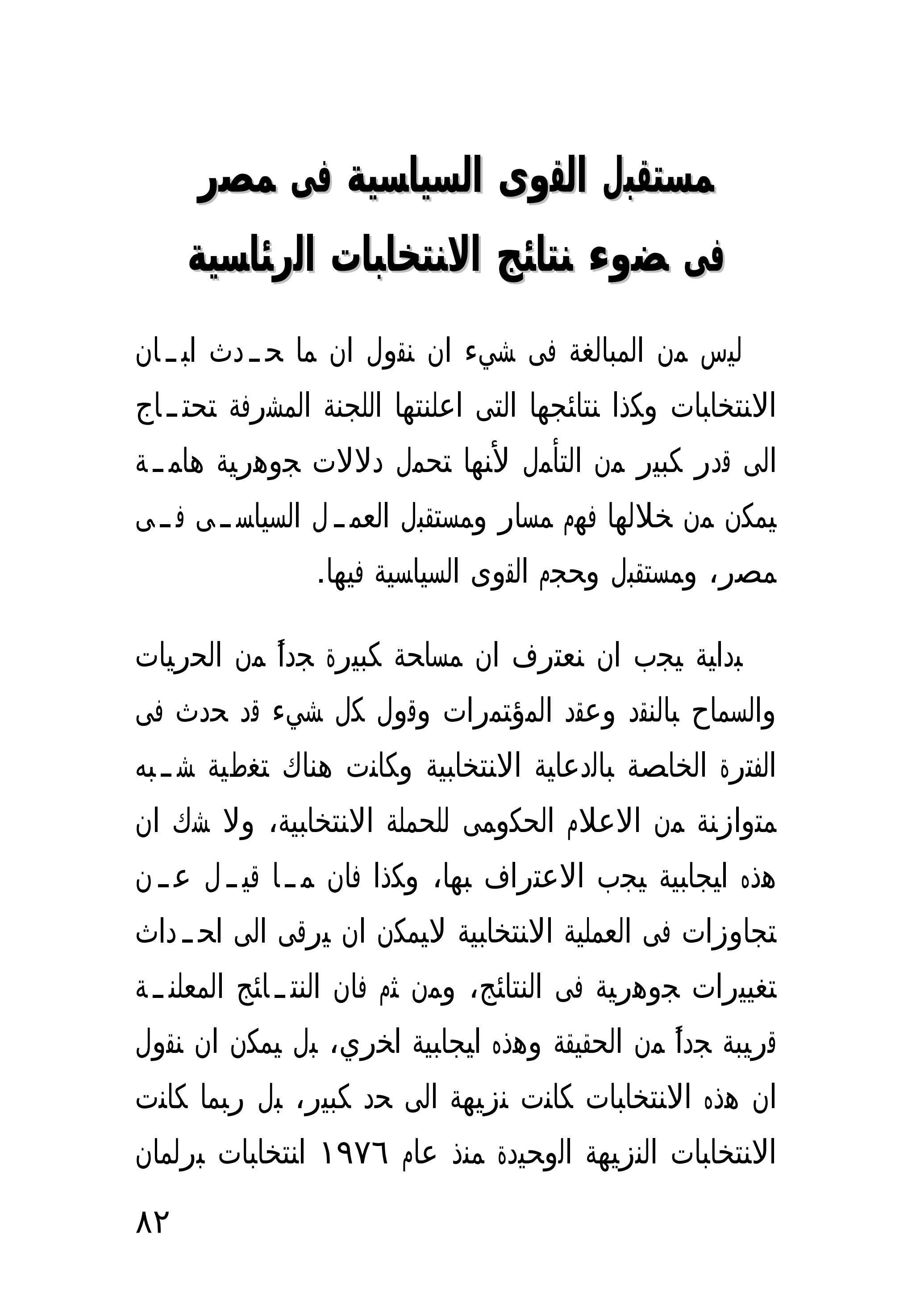
حسناً – لنفرض أن الإخوان المسلمين قد وصلوا إلى نوع من الاتفاق مع الأمريكان وبما أنهم قطاع كبير وهام ولهـم


تنظيم هائل في الشارع المصري هو الأول من حيث العـدد والقوة بلا منازع ، ووصلوا إلى السلطة فليس أما مهم بسبب أن العالم قرية صغيرة ، وبحكـم أن الهيمنـة فـي العـالم للأمريكان ، وبحكم سيطرة الغرب وأمريكا وإسرائيل علـى القوة والاقتصاد أو الإعلام فليس أمامهم إلا محاولة الالتفاف على ذلك وهذا أصبح صعباً بل مستحيلاً ، لأنـه لا توجـد هوامش للمناورة بسبب وجود استقطاب دولي مثلاً كما كـان حالة وجود الاتحاد السوفيتي السابق ، أو أن يقتربـوا مـن الأجندة الأمريكية ، فيقولون كلاماً غير محدود بخصـوص إسرائيل ، ويفتحون الأسواق على مصراعيها أمام الأمريكان وبالتالي تزداد حالة الفقر والتبعية الاقتصـادية ، ولا يشـعر الناس بالقوة والكرامة الوطنية حيث لم يعد موجوداً نوعاً من المقاومة للمشروع الأمريكي الصهيوني ، وهذا عمليا يـؤدى إلى تعامل الناس مع الإخوان كما هو كانوا حكومـة عمليـة للأمريكان ، وتظهر نفس المظاهر في المجتمعات المعاديـة لأمريكا وإسرائيل ، فيكتشف الأمريكان أن الإخوان لم يؤدوا هو مطلوب فيتم تغييرهم ، وبذلك يخسـر الإخـوان الـدنيا والآخرة أو أن يقوم الإخوان – في الحكومـة – بمواجهـة

أمريكا وإسرائيل فتضرب أمريكا البلدان ذاتها علـى غـرار أفغانستان والعراق . وهكذا فإن من الأفضل للإخوان طبعـاً أن يظلوا في المعارضة وأن يتحولوا إلى حركة تحرر وطني معادية لأمريكا وإسرائيل وللعولمة والرأسمالية فلا يعرضوا أنفسهم للضياع وسوء السمعة إلى أن تظهر استقطابات دولية تسمح بهامش من المناورة أو يقضى ا أمراً كان مفعـولاً . نحن إذاً أمام فخ أمريكي واضح لاستدراج الإخوان فإمـا أن يؤدوا المهمة الأمريكية بنجاح ويفقدوا شعبيتهم ومصـداقيتهم وهذا متوقع جداً ، وأمـا فالمصـير هـو مصـير العـراق وأفغانستان ، والأمريكان بحاجة شديدة إلى الإخوان في هـذا الصدد لأن الأمريكان لهم الآن أجندة إمبراطورية واضـحة تقتضي الهيمنة علـى العـالم والسـيطرة علـى المنـاطق الإستراتيجية وتأمين وجود إسرائيل ، وهذا كله لـن يتحقـق بسهولة طالما كانت هناك مقاومة إسلامية أثبتـت فعاليتهـا وقدرتها على إنهاء هذا المشروع الأمريكي الإمبراطوري أو تعطيله أو جعله بلا جدوى اقتصادية ، والأمريكان يعرفـون أنه لا يستطيع أن يروض هذا العفريت إلا الإخوان ومن هنا



جاءوا إليهم للحوار الذي هو ليس بريئاً وعلى الإخـوان ألا يقعوا في هذا الفخ وإلا خسروا الدنيا والآخرة .



مستقبل القوى السياسية فى مصر
فى ضوء نتائج الانتخابات الرئاسية

ليس من المبالغة فى شيء ان نقول ان ما حـدث ابـان الانتخابات وكذا نتائجها التى اعلنتها اللجنة المشرفة تحتـاج الى قدر كبير من التأمل لأنها تحمل دلالات جوهرية هامـة يمكن من خلالها فهم مسار ومستقبل العمـل السياسـى فـى مصر، ومستقبل وحجم القوى السياسية فيها.

بداية يجب ان نعترف ان مساحة كبيرة جداً من الحريات والسماح بالنقد وعقد المؤتمرات وقول كل شيء قد حدث فى الفترة الخاصة بالدعاية الانتخابية وكانت هناك تغطية شـبه متوازنة من الاعلام الحكومى للحملة الانتخابية، ولا شك ان هذه ايجابية يجب الاعتراف بها، وكذا فان مـا قيـل عـن تجاوزات فى العملية الانتخابية لايمكن ان يرقى الى احـداث تغييرات جوهرية فى النتائج، ومن ثم فان النتـائج المعلنـة قريبة جداً من الحقيقة وهذه ايجابية اخري، بل يمكن ان نقول ان هذه الانتخابات كانت نزيهة الى حد كبير، بل ربما كانت الانتخابات النزيهة الوحيدة منذ عام ١٩٧٦ انتخابات برلمان

١٩٧٦ فهل يرجع ذلك الى غياب مرشح اسلامى مثلاً، وهل يمكن ان نقول ان التزويـر لا يكـون الا ضـد مرشـحين اسلاميين مثلاً، ايا كـان الامـر فانهـا كانـت انتخابـات. نتائج الانتخابات كانت على النحو التالي، الـرئيس مبـارك حوالى ٨٨,٥%، أيمن نور مرشح حزب الغد ٧,٥%، نعمان جمعة مرشح حزب الوفد ٢,٩% والبـاقون حـوالى ١,١% ولكن الاهم والاخطر هنا ان نسبة الحضور كانـت حـوالى ٢٣% فقط اى ان حوالى ٧٧% من الناخبين المقيـدين فـى اللجان قد قاطعوا العملية الانتخابية، فهل يرجع ذلـك الـى دعوة عدد من القوى لمقاطعة الانتخابات الحزب الناصـرى ـ حزب التجمع ـ حركة كفاية ؟ أم انه العزوف المصـرى التقليدى عن المشاركة فى انتخابات محسومة سلفا، وهل عدم تزوير هذه الانتخابات سيشجع المصريين على المشاركة فيما بعد؟ الدلالة المهمة هنا هو ان عدد المقيدين فـى الجـداول حوالى ٣٢ مليون مصرى ـ مـن المفـروض ان يكـون المقيدون حوالى ٥٠ مليون مصرى أى ان هناك حوالى ١٨ مليونا آخرين قد قاطعوا العملية مسبقا او لم يشاركوا فيهـا، وهذا يعنى ان النسبة التى حصل عليها الرئيس مبارك مـن

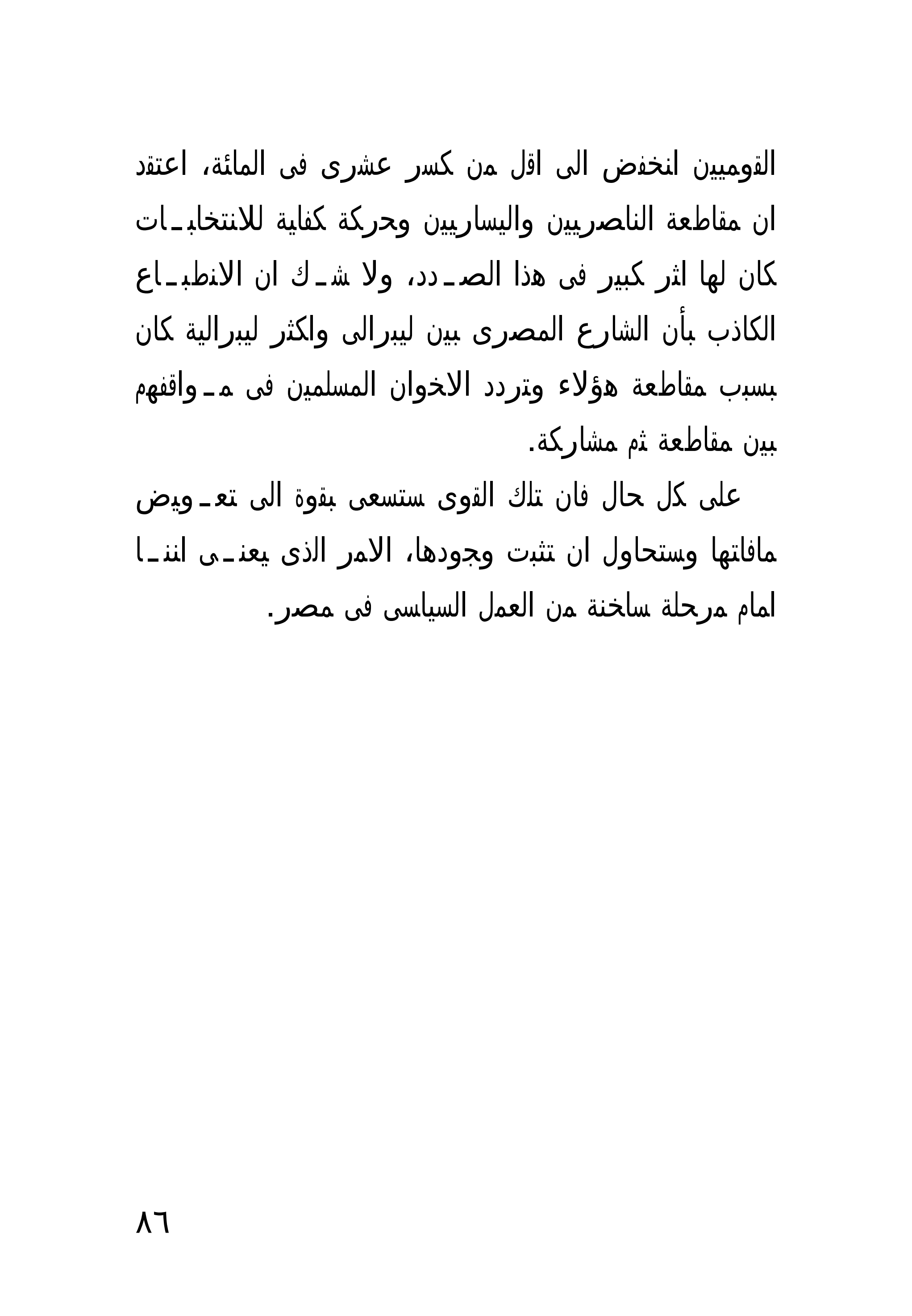
مجموع الناخبين عموما - وليس الحاضرين كما ينص القانون - حوالى ١٣% من هؤلاء، والباقون ٨٧% خارج الحلبة وهذا ولا شك امر له دلالاته الخطيرة

النسبة لحزب الوفد، فان نتائج هذه الانتخابات تعد ضربة قاصمة للحزب لانه اولاً حزب عريق، ولأن له امتدادات تاريخية، ثم انه حزب نشأ من ١٩٧٩ اى له اكثر من ٢٥ عاما فى الحياة السياسية، ومن ثم فان حصوله على ٣% من الاصوات هو بمثابة اعلان وفاة للحزب مالم تحدث معجزة، وهى اعلان وفاة لرئاسة الدكتور نعمان جمعة للحزب ايضا، مع الاخذ فى الاعتبار ان حزب الغد، وهو حزب ليبرالى مثل الوفد، بل ان مؤسسيه كانوا وفديين اصلاً بمن فيهم الدكتور ايمن نور الذى بدأ حياته السياسية فى الوفد، وهذا الحزب الذى نشأ عام ٢٠٠٣ فقط حصل على اكثر من ضعف اصوات الوفد، وهذا يعنى ان حزب الليبرالية الرئيسى سيكون الغد وليس الوفد وزعيم المعارضة الليبرالية هو ايمن نور.

بالنسبة لحزب الغد، فان حصول مرشحه على ٧,٥% هو انجاز كبير للحزب وللدكتور ايمن نور شخصيا، ولكن

السؤال هنا هل كانت اصـوات الاخـوان المسـلمين هـى المرجحة لكفة ايمن نور على حساب نعمان جمعة؟ فالاخوان المسلمون اعلنوا المشاركة فى الانتخابات واعلنوا انهـم لـن يؤيدوا الرئيس مبارك ثم اعلن الدكتور محمد حبيـب نائـب المرشد العام للاخوان المسلمين ان مرشح الغد هو الاقـرب اليهم، وهل لو خصمت اصوات الاخوان التى ذهبـت الـى ايمن نور هل كان سيتراجع الى اقل من نعمان جمعة؟ وهل هذا الصوت الانتخابى للاخوان قد تضاءل الـى درجـة ان جماهير الاخوان وحزب الغد تساوى فقط ٧,٥%؟ أم ان قوة الاخوان التقليدية كانت عادة تستمد من ضـعف الاحـزاب الاخري؟ وعندما تحرك الحزب الوطنى بجدية ظهر الحجـم الحقيقى للاخوان؟ لا شك ان تلك المفارقة ستكون فى اعتبار الاخوان فيما بعد، خاصة ان الصراع فى الشارع المصـرى فى الانتخابات كان بين ليبراليين مع غياب الصوت الاسلامى والقومى والوطني.

الذين قاطعوا الانتخابات يشعرون بشيء من الندم رغـم موقفهم المبدئي، فاذا كان الاستاذ رفعت العجرودى مرشـح حزب الوفاق القومى قد قدم برنامجـا قوميـا، فهـل حجـم



القوميين انخفض الى اقل من كسر عشرى فى المائة، اعتقد ان مقاطعة الناصريين واليساريين وحركة كفاية للانتخابات كان لها اثر كبير فى هذا الصدد، ولا شك ان الانطباع الكاذب بأن الشارع المصرى بين ليبرالى واكثر ليبرالية كان بسبب مقاطعة هؤلاء وتردد الاخوان المسلمين فى مواقفهم بين مقاطعة ثم مشاركة.

على كل حال فان تلك القوى ستسعى بقوة الى تعويض مافاتها وستحاول ان تثبت وجودها، الامر الذى يعنى اننا امام مرحلة ساخنة من العمل السياسى فى مصر.

قضاة مصر .. ورياح التغيير السياسي

د. محمد مورو

١٤٢٦/١١/١٦ ـ ٢٠٠٥/١٢/١٨

رغم أن القضاة في مصر ـ وفقاً للقانون ـ لا يشاركون في العمل السياسي وليس من حقهم الانضمام إلى الأحـزاب أو تفضيل حزب على آخر بالقول أو الفعل؛ إلا أن المراقبين يعتبرون سلوك القضاة في المرحلة القادمة سيكون هو العامل الأهم في عملية التغيير السياسي بمصر، ذلك أن القضاة لـو تمكنوا حقاً من الإشراف والسيطرة الكاملـة علـى العمليـة الانتخابية في مصر؛ فإنه سيكون من الصعب على الحكومة المصرية أن توقف رياح التغيير التي هبت بقوة على الواقـع المصري خاصة في الانتخابات البرلمانية الأخيـرة ٢٠٠٥ . ووفقاً للقانون الذي صدر منذ سنوات قليلـة فـإن القضـاة يشرفون على عمليـة التصـويت، وعلـى نقـل صـناديق الانتخابات، وعلى فرز الأصوات ثم تسليم نتيجة الفرز إلـى القاضي الرئيسي ليقوم بدوره بتجميعها ومن ثم إعلان النتائج

... وهذا القانون كان مطلباً دائمـاً للمعارضـة المصـرية، ورغم أنه يحقق جزءاً من الشفافية إلا أنه تم الالتفاف علـى العملية بأكثر من طريقة ومن ثم إجراء عملية تزوير هي أقل مما كان يحدث من قبل - قبل إشراف القضاة على العمليـة الانتخابية - ولكنها موجودة ومؤثرة على كل حال ، و تتمثل عملية الالتفاف على الإشراف القضائي على الانتخابات فـي عدد من الممارسات كالتالي:

- التلاعب في عملية قيد الناخبين في الجداول، ومن ثـم إجراء قيد جماعي قبيل الانتخابات لصالح أحد المرشحين .

- إجراء نوع من الأخطاء المتعمدة في أسماء النـاخبين المسجلين في الجداول، خاصة في المناطق التي تصـوت أو من المتوقع أن تصوت ضد مرشحي الحكومة .

- منع الناخبين من الوصول إلى أماكن التصـويت عـن طريق الحصار الأمني أو اسـتخدام البلطجـة، وبـديهي أن القاضي يسيطر على العملية الانتخابيـة داخـل اللجنـة ولا يستطيع أن يأمر الشرطة مثلاً بفتح الطريق في خارج اللجنة للناخبين لكي يصلوا إليها!! أو يأمرهم بإنهاء عمليات البلطجة

لمنع الناخبين من التصويت، وهكذا فإن وصول الناخب إلـى لجنة التصويت للإدلاء بصوته أمر تحدده الشـرطة ولـيس القاضي .

ـ إمكانية تعيين قاض معين ـ موالٍ للحكومة ـ كرئيس مسؤول عن التجميع وإعلان النتائج ـ ومن ثم يعلن نتـائج مخالفة للواقع، وقد حدثت أمور من هذا القبيل حسب روايـة نادي القضاة وروايـة رمـوز المعارضـة، حيـث قامـت المستشارة نهى الزيني بالإدلاء بشهادة خطيرة، وافقها عليها ١٥١ مستشارا ورئيس لجنة من مجموع ١٦٠ قاض كـانوا يشرفون على عملية الانتخاب في دائرة دمنهور ـ وقالـت هذه المستشارة "نهى الزيني" إن الفائز الحقيقي كان مرشـح الإخوان المسلمين جمال حشمت، ولكن القاضي الرئيس أعلن فوز الدكتور مصطفى الفقي ـ أحد رموز النظام الحـاكم ـ وقد كتبت المستشارة هذه الشهادة في صـحيفة مصـرية ـ ونقلت باقي الصحف هذه الشهادة ، وقالـت المستشـارة إن ضميرها لا يسمح بكتمان شهادة الحق، وقد قام نادي القضاة بالتحقيق في الموضوع وأدلى ١٥١ مستشارا بنفس الشـهادة التي قالتها المستشارة نهى الزيني ـ وتـرى دوائـر نـادي

القضاة أن من الضروري عدم استخدام قضاة يعملـون فـي الحكومة، أو لهم مصالح معينة مع بعض الـوزارات ، وأن من الضروري أن تكون عمليـة إعـلان النتـائج شـفافة .

وتروي دوائر المعارضة - وبخاصة الإخوانيـة، وتقـارير مراكز حقوق الإنسان أن ما تم في دمنهور قد تم في الـدقي ومدينة نصر والمنصورة وغيرها، الأمر الذي أثـار لغطـاً كبيراً يمكن أن يحدث صداماً بين الحكومة والقضاة حيث قام وزير العدل بتحويل حوالي ١٠ قضاة للتحقيق لأنهـم أدلـوا ببيانات صحفية وتليفزيونية وأن ذلك غير مسموح به للقاضي قانوناً، وقد رد القضاة على ذلك بأنهم وإن كانوا ممنـوعين من العمل السياسي بحكم القانون ، إلا أنهـم لا يسـتطيعون كتمان الشهادة،خاصة أن الوسائل التقليدية لتوصيل صـوتهم مسدودة .

انقسم القضاة في هذا الصدد إلى قسمين، القسـم الأكبـر والرئيسي يمثله نادي القضاة، والقسم الآخر يمثله المجلـس الأعلى للقضاة، والذي يترأسه وزير العـدل ويـرى نـادي القضاة أنه يمثل كل قضاة مصـر، وأن المجلـس الأعلـى للقضاء هو في النهاية يتم بتعيين حكومي، ومن ثم فالضـغط

عليه والتأثير عليه وارد جداً، وقد تبادل الطرفان الاتهامات، وعلى نتيجة هذا الصراع سوف يتحدد إلى حد كبير مستقبل الإشراف القضائي على الانتخابات ومن ثم مستقبل العملية السياسية برمتها في مصر .

والغريب في هذا الصدد أن عدداً من صحف الحكومة نادت بإلغاء الإشراف القضائي على الانتخابات بدعوى المحافظة على الثوب الأبيض من البقع، وتنزيهاً للقضاة عن عملية صعبة متداخلة، ولكن الأوساط السياسية والثقافية المعارضة، ترى أن تلك كلمة حق يراد بها باطل، لأن صلابة القضاة في التصدي للتزوير الحكومي، أزعجت الحكومة بالفعل، وأن الحديث عن إلغاء إشراف القضاء على العملية الانتخابية هو نوع من العودة إلى الديكتاتورية . نادي القضاة بدوره كان الطرف الأهم في المسألة . فقد طالب القضاة الاستمرار في الإشراف على كل مراحل العملية الانتخابية في برلمان ٢٠٠٥ حتى لا يحدث فراغ دستوري ولكنه نبه إلى أن القضاة قد عانوا من كثير من التجاوزات على يد الشرطة، وأن اللجنة العليا للانتخابات لم تستجب مطلقاً لملاحظات القضاة، ولكن النادي هدد

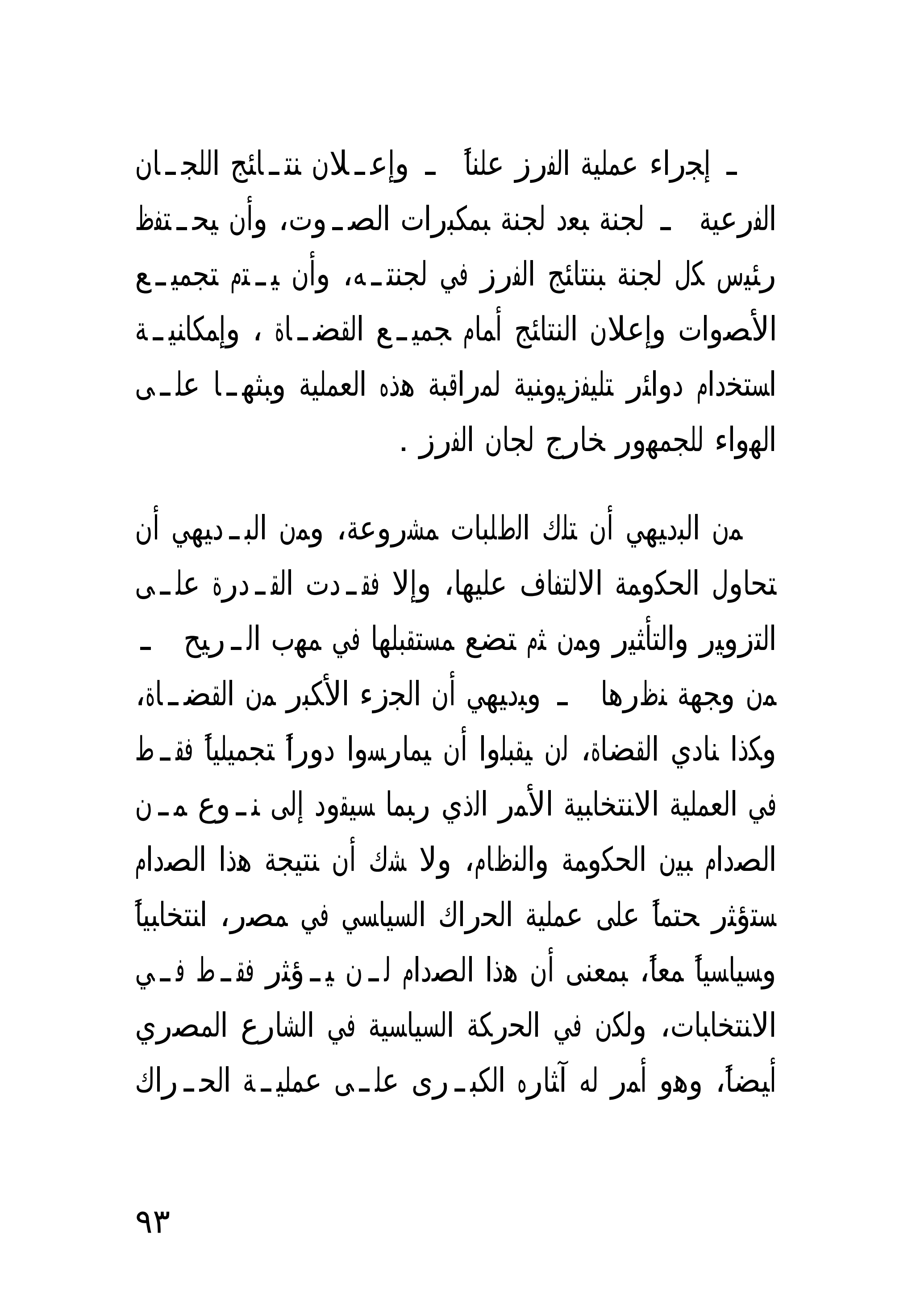
بالانسحاب من العمليات الانتخابية القادمة ما لم تتم الاستجابة لكل مطالبه بشأن تحقيق إشراف حقيقي للقضاة على العمليـة الانتخابية بكل مراحلها، وداخل وخـارج اللجـان وتتمثـل مطالب القضاة في هذا الصدد في:

ـ الإشراف الكامل على عملية قيد الناخبين في الجـداول والتي تتم سنوياً بصرف النظر عن إجراء الانتخابـات مـن عدمه في ذلك الوقت .

ـ تجهيز كشوف الناخبين قبل الانتخابات بإشراف قضائي كامل ، حتى لا تتم عمليات قيد جماعي لصالح مرشح معين، أو يتم إحداث أخطاء مقصودة في تلـك الكشـوف لأهـداف معينة .

ـ أن تكون كشوف الناخبين في الجولة الأولى للانتخابات هي ذاتها في عملية الإعادة .

ـ إنشاء شرطة قضائية تلتزم بأداء القضاة خارج اللجان وأن يتم إعطاء الناخب الفرصة في الوصـول إلـى لجـان الانتخاب دون التعرض للمنع أو البلطجة .



ـ إجراء عملية الفرز علناً ـ وإعـلان نتـائج اللجـان الفرعية ـ لجنة بعد لجنة بمكبرات الصـوت، وأن يحـتفظ رئيس كل لجنة بنتائج الفرز في لجنتـه، وأن يـتم تجميـع الأصوات وإعلان النتائج أمام جميـع القضـاة ، وإمكانيـة استخدام دوائر تليفزيونية لمراقبة هذه العملية وبثهـا علـى الهواء للجمهور خارج لجان الفرز .

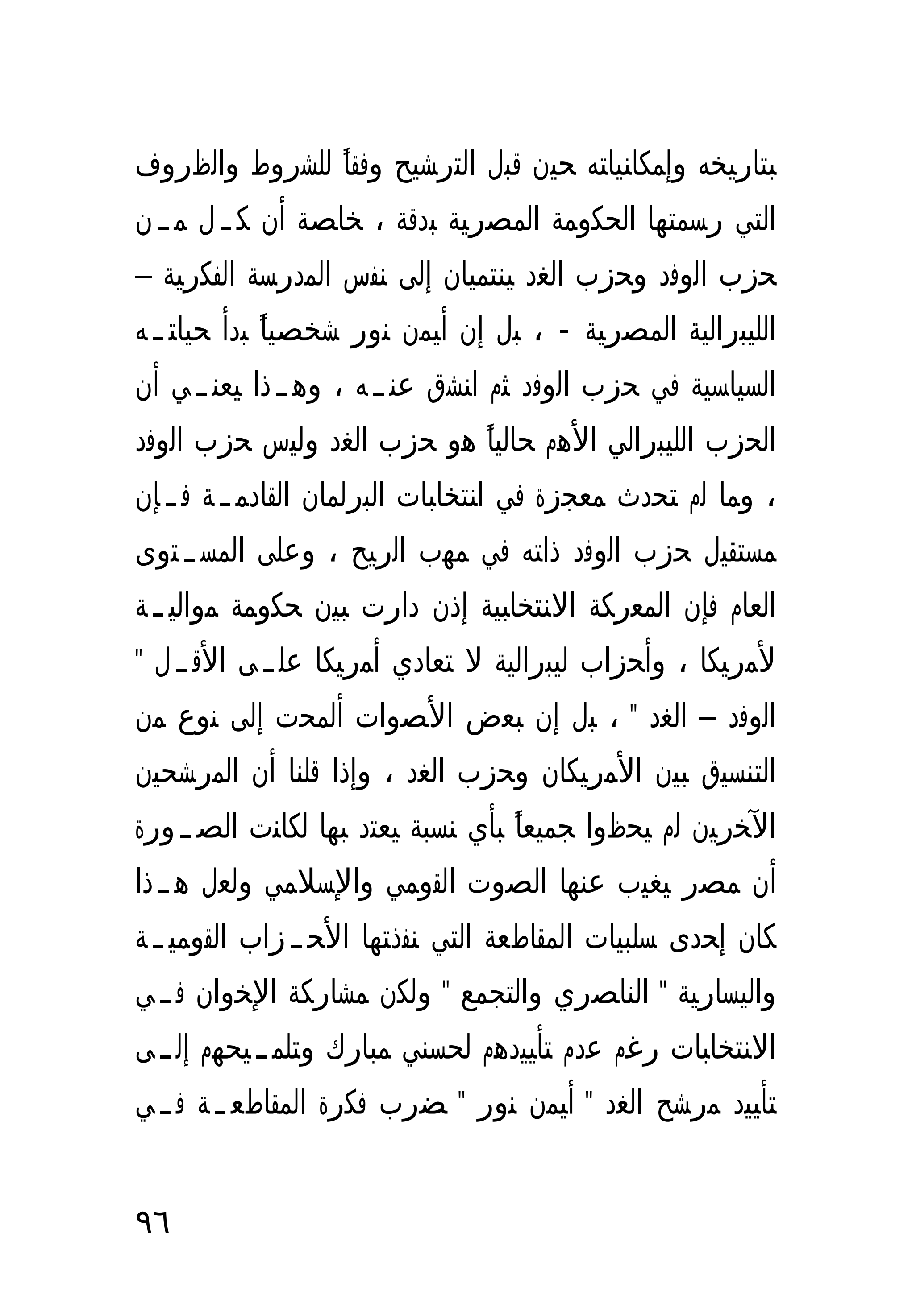
من البديهي أن تلك الطلبات مشروعة، ومن البـديهي أن تحاول الحكومة الالتفاف عليها، وإلا فقـدت القـدرة علـى التزوير والتأثير ومن ثم تضع مستقبلها في مهب الـريح ـ من وجهة نظرها ـ وبديهي أن الجزء الأكبر من القضـاة، وكذا نادي القضاة، لن يقبلوا أن يمارسوا دوراً تجميلياً فقـط في العملية الانتخابية الأمر الذي ربما سيقود إلى نـوع مـن الصدام بين الحكومة والنظام، ولا شك أن نتيجة هذا الصدام ستؤثر حتماً على عملية الحراك السياسي في مصر، انتخابياً وسياسياً معاً، بمعنى أن هذا الصدام لـن يـؤثر فقـط فـي الانتخابات، ولكن في الحركة السياسية في الشارع المصري أيضاً، وهو أمر له آثاره الكبـرى علـى عمليـة الحـراك

السياسي، وربما يفعل القضاة مـا لـم تسـتطع الأحـزاب والنقابات والقوى السياسية عموماً أن تفعله .

الدلالات العامة والخاصة للانتخابات الرئاسية المصرية

إذا كانت الانتخابات الرئاسية المصرية هي بالضرورة من حيث ما حدث فيها ومـن حيـث نتائجهـا تعطـي دلالات ومؤشرات لابد من رصدها لأي مهتم بالشأن المصري ومن ثم العربي والإسلامي والعالمي ، فإن من الضـرورة تأمـل بعض المعطيات والمواقف والرؤى .

انتهت الانتخابات إلى نتائج متوقعة ، فقد فـاز الـرئيس المصري حسني مبارك بحوالي ٨٨ % من أصوات الـذين أدلوا بأصواتهم في حين جاء الدكتور أيمن نور في المركـز الثاني – وهذا أمر له دلالة – والدكتور نعمان جمعـة فـي المركز الثالث رغم كونه رئيس حزب سياسي عريق وكبير وهو الأمر الذي يعتبر خسارة كبيرة لحزب الوفد وللـدكتور نعمان جمعة شخصياً ، فحزب الغد الذي جاء مرشـحه فـي المركز الثاني حزب لم يمر على إنشائه إلا أقل من سـنتين بالمقارنة بحزب الوفد الذي نشأ عام ١٩٧٩ وله امتدادات من حيث النشأة إلى ما بعد ثورة ١٩١٩ وهذا يعني أن الـدكتور نعمان جمعة قد وضع نفسه وحزبـه فـي مرتبـة لا تليـق



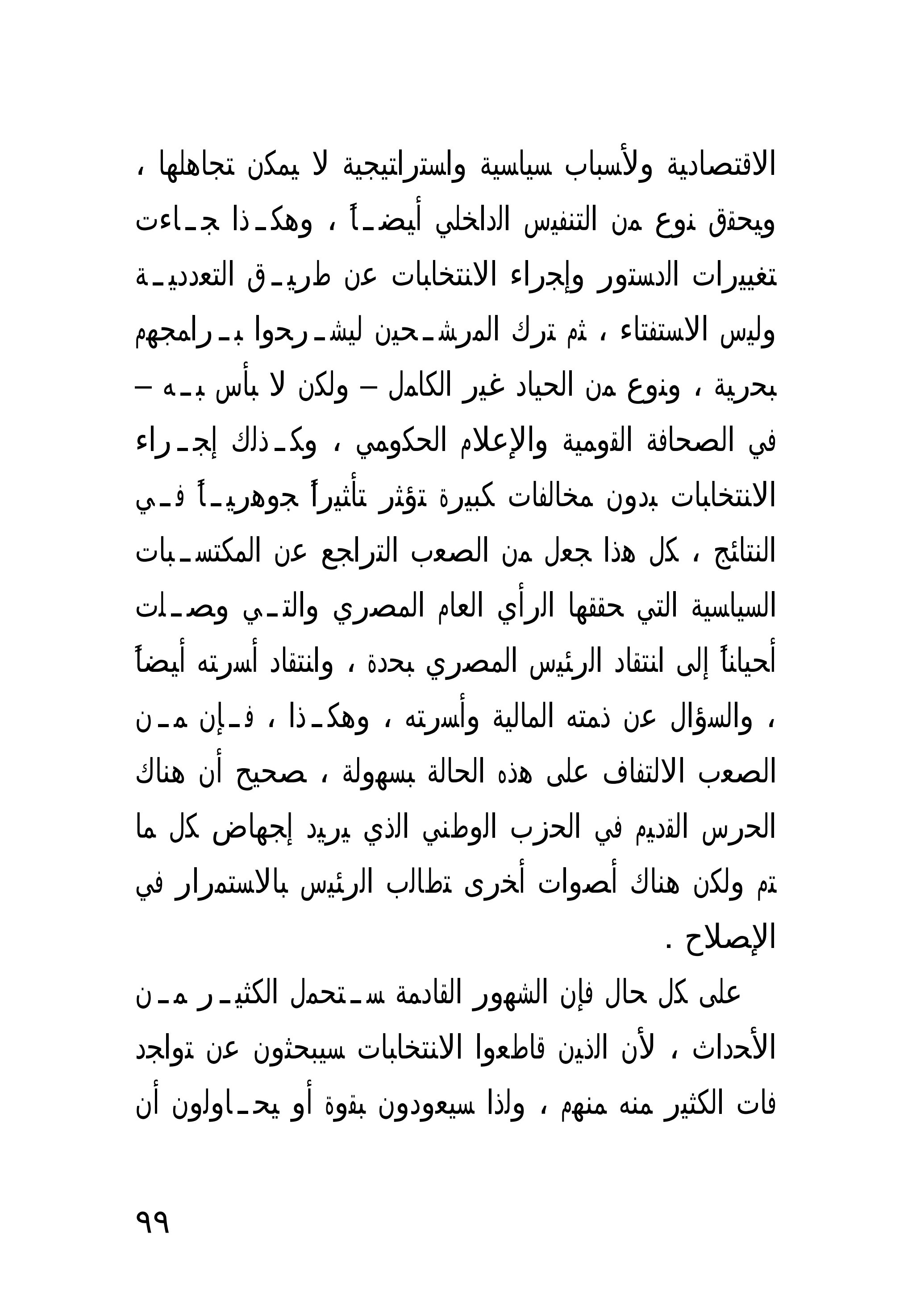
بتاريخه وإمكانياته حين قبل الترشيح وفقاً للشروط والظروف التي رسمتها الحكومة المصرية بدقة ، خاصة أن كـل مـن حزب الوفد وحزب الغد ينتميان إلى نفس المدرسة الفكرية – الليبرالية المصرية - ، بل إن أيمن نور شخصياً بدأ حياتـه السياسية في حزب الوفد ثم انشق عنـه ، وهـذا يعنـي أن الحزب الليبرالي الأهم حالياً هو حزب الغد وليس حزب الوفد ، وما لم تحدث معجزة في انتخابات البرلمان القادمـة فـإن مستقبل حزب الوفد ذاته في مهب الريح ، وعلى المسـتوى العام فإن المعركة الانتخابية إذن دارت بين حكومة مواليـة لأمريكا ، وأحزاب ليبرالية لا تعادي أمريكا علـى الأقـل " الوفد – الغد " ، بل إن بعض الأصوات ألمحت إلى نوع من التنسيق بين الأمريكان وحزب الغد ، وإذا قلنا أن المرشحين الآخرين لم يحظوا جميعاً بأي نسبة يعتد بها لكانت الصـورة أن مصر يغيب عنها الصوت القومي والإسلامي ولعل هـذا كان إحدى سلبيات المقاطعة التي نفذتها الأحـزاب القوميـة واليسارية " الناصري والتجمع " ولكن مشاركة الإخوان فـي الانتخابات رغم عدم تأييدهم لحسني مبارك وتلمـيحهم إلـى تأييد مرشح الغد " أيمن نور " ضرب فكرة المقاطعـة فـي

مقتل من ناحية ، ولم يجعل المرشحين الآخـرين يغيـرون برامجهم أو يهتمون بالقضايا الإسلامية والقومية بل كشـف عن أن حزب الرئيس استطاع رغم عدم تصويت الإخـوان لمبارك أن يحظى بأغلبية كاسحة وهو ما يلقي بظلال حـول قيمة الإخوان وحجمهم في الواقع المصري ، فصحيح أنهـم أقوى القوى السياسية على الساحة ولكن حجمهـم - إذا مـا أخذنا نتائج الانتخابات في اعتبارنا - يتراوح بين ١٠ - ٢٠ % ، وهو أمر كان الإخوان في غنى عنه ، لو أنهـم وفـوا بوعودهم مع المعارضة عندما أقسموا على المقاطعة ثم نكثوا في القسم .

بعد أن فاز الرئيس المصري حسني مبارك بدورة رئاسية جديدة ، فإن المطروح بقوة هل تكون هذه بداية لتغيير عميق في بنية التركيبة السياسية والاجتماعيـة والاقتصـادية أم أن مرحلة الانتخابات كانت مجرد استثناء على القاعدة .

بداية فإن التغيير الذي حدث ومن المتوقع أن يحدث كـان نوع من الاستجابة الضرورية لأوضاع داخلية شديدة التأزم ، فالجمود السياسي منذ عام ١٩٥٢ واحتكار السلطة ، وانسداد أفق التغيير السياسي السلمي وظهور جماعات من العنـف ،

أو نوع جديد من العنف يسمى الجيل الثالث كتعبير عن حالة الانسداد السياسي وأن هذا العنف غير معروف مسبقاً لأجهزة الأمن ، ومعظمهم حالات غير مترابطة وأحيانـاً عشـوائية وهو ما يعطي المسألة خطورة أمنية أكبـر علـى مسـتوى الاستقرار وإن كانت لا تهدد النظام بالكامل ، في نفس الوقت فإن هناك حوالي ٢٠ ألف معتقل سياسي إسلامي ، وغيـاب متعمد لظهور أي حزب إسلامي ، مـع تـردي الأوضـاع السياسية والاجتماعية بحيث أن عدم التغيير وفتح ثقب فـي الجدار المصمت كان يعني نوعاً من الانتحار للنظام السياسي برمته ، كما أن الضغط الأمريكي الخارجي كان لـه أثـره بالتأكيد حيث ترى أمريكا أن من الضروري إحداث نوع من التسريب المحسوب للضغط بحيث لا ينفجر المرجل ، وفـي نفس الوقت لا يكون التغيير في اتجاه الراديكالية الإسلامية ، واستمرار نظام قادر على ضبط الأمة والإمسـاك بتلابيـب المجتمع بحيث لا تنفجر القوى الراديكالية في وجه إسـرائيل أو المصالح الأمريكية مثلاً وهكذا كان لابد للنظام المصـري أن يحدث تغييراً يحقق مطالب الأمريكيين لأنه غيـر قـادر طبعاً على رفض مطالبهم على طول الخط نظراً للمعونـات



الاقتصادية ولأسباب سياسية واستراتيجية لا يمكن تجاهلها ، ويحقق نوع من التنفيس الداخلي أيضـاً ، وهكـذا جـاءت تغييرات الدستور وإجراء الانتخابات عن طريـق التعدديـة وليس الاستفتاء ، ثم ترك المرشـحين ليشـرحوا بـرامجهم بحرية ، ونوع من الحياد غير الكامل – ولكن لا بأس بـه – في الصحافة القومية والإعلام الحكومي ، وكـذلك إجـراء الانتخابات بدون مخالفات كبيرة تؤثر تأثيراً جوهريـاً فـي النتائج ، كل هذا جعل من الصعب التراجع عن المكتسـبات السياسية التي حققها الرأي العام المصري والتـي وصـلت أحياناً إلى انتقاد الرئيس المصري بحدة ، وانتقاد أسرته أيضاً ، والسؤال عن ذمته المالية وأسرته ، وهكـذا ، فـإن مـن الصعب الالتفاف على هذه الحالة بسهولة ، صحيح أن هناك الحرس القديم في الحزب الوطني الذي يريد إجهاض كل ما تم ولكن هناك أصوات أخرى تطالب الرئيس بالاستمرار في الإصلاح .

على كل حال فإن الشهور القادمة سـتحمل الكثيـر مـن الأحداث ، لأن الذين قاطعوا الانتخابات سيبحثون عن تواجد فات الكثير منه منهم ، ولذا سيعودون بقوة أو يحـاولون أن

يعودوا إلى الساحة ، وحزب الغد سيحاول أن يؤكد أنه حزب المعارضة الرئيسي ، وحزب الوفد سيحاول إنقاذ نفسه مـن الموت ، والإخوان المسلمون سيبحثون عن استعادة دورهـم كقوة سياسية أكبر من الآخرين وهو ما تم التشكيك فيه على ضوء نتائج الانتخابات الرئاسية ، والرئيس مبارك والحـزب الوطني ذاته سيبحثون عن تأكيد مشروعيته التي حصل عليها بالانتخاب .

والانتخابات البرلمانية قادمة ، ومصر حبلى بالمفاجآت .

ملاحظات على الانتخابات البرلمانية في مصر

د. محمد مورو / القاهرة ١٤٢٦/١٠/١٤ ـ ٢٠٠٥/١١/١٦

إذا أخذنا نتائج الانتخابات البرلمانية المصرية في مرحلتها الأولى؛ إذ إن تلك الانتخابات تجرى على ثـلاث مراحـل، نظراً لضرورة الإشراف القضائي الكامل عليها، فإن الكثيـر مـن المؤشـرات العامـة والخاصـة يمكـن اسـتنتاجها. بداية فإن هناك اتهامات كثيرة حول سلامة العملية الانتخابية ذاتها، والتجاوزات مختلفة عن التجاوزات التقليديـة؛ فلـيس هناك تزوير مباشر، ولا انتخاب بالجملة كما كان يحدث عادة نظراً للإشراف القضائي الكامل عليها، ولكن هنـاك طـرق استجدت منها:

ـ عملية قيد جماعي لعمال وموظفي مصـنع معـين أو أقارب مرشح معين من دوائر أخرى، وذلك قبيل الانتخابات لترشيح مرشح الحكومة طبعاً.

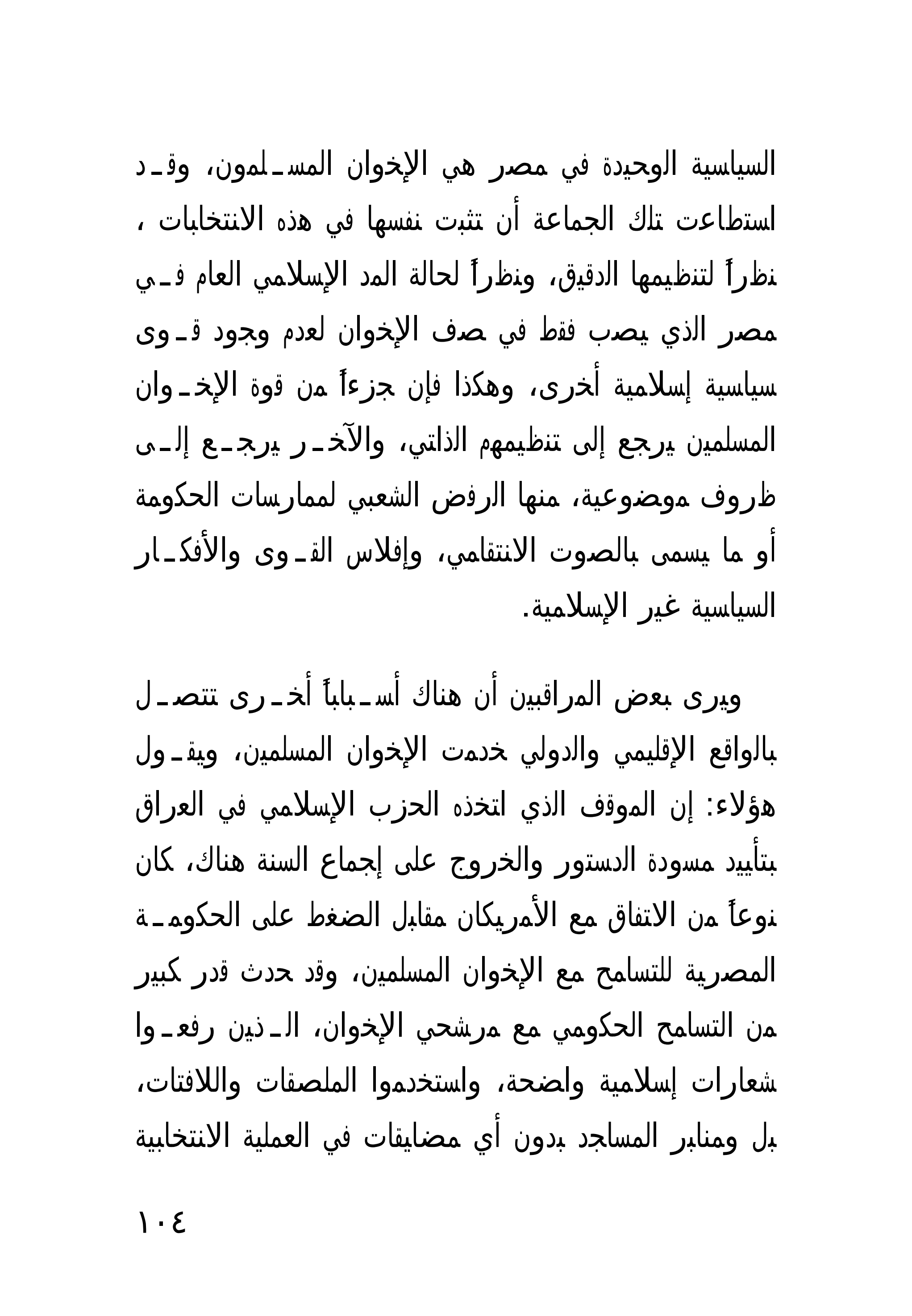
ـ الأخطاء في كشوف الناخبين، مما يحرم عدداً كبيـراً منهم من المشاركة رغم وجوده في كشوف الناخبين أو إدلائه بصوته فيما سبق من انتخابات، وهذا يحدث في الأماكن التي يكون فيها للمرشحين غير الحكوميين تواجد واضـح، علـى عكس كشوف الناخبين الصحيحة في اللجان التي لمرشـحي الحكومة فيها تواجد قوي.

ـ عمليات البلطجة وشراء الأصوات على نطاق واسـع، والرشاوى الانتخابية، وهذه يقوم بها المرشحون الأغنياء، أو تقديم رشاوى انتخابية حكومية في شكل خدمات معينة قبيـل الانتخابات، أو إلغاء أحكام قضائية في مخالفات المبـاني، أو السماح بإدخال الكهرباء والماء للمناطق والمساكن العشوائية، وهو الأمر الذي كان مستحيلاً بدون تدخل حكـومي وصـل أحياناً إلى صدور أوامر رئاسية بذلك.

في إطار المشاركة الشعبية فإن عدد الحاضرين وصل إلى ٢٤ % فقط، رغم وجود عدد كبير من المرشـحين، وهـذا يعني أن هناك ٧٦ % من الناخبين منصرفين عـن العمليـة السياسية بكاملها، مع العلم أن الناخبين المقيدين نحـو (٣٠)

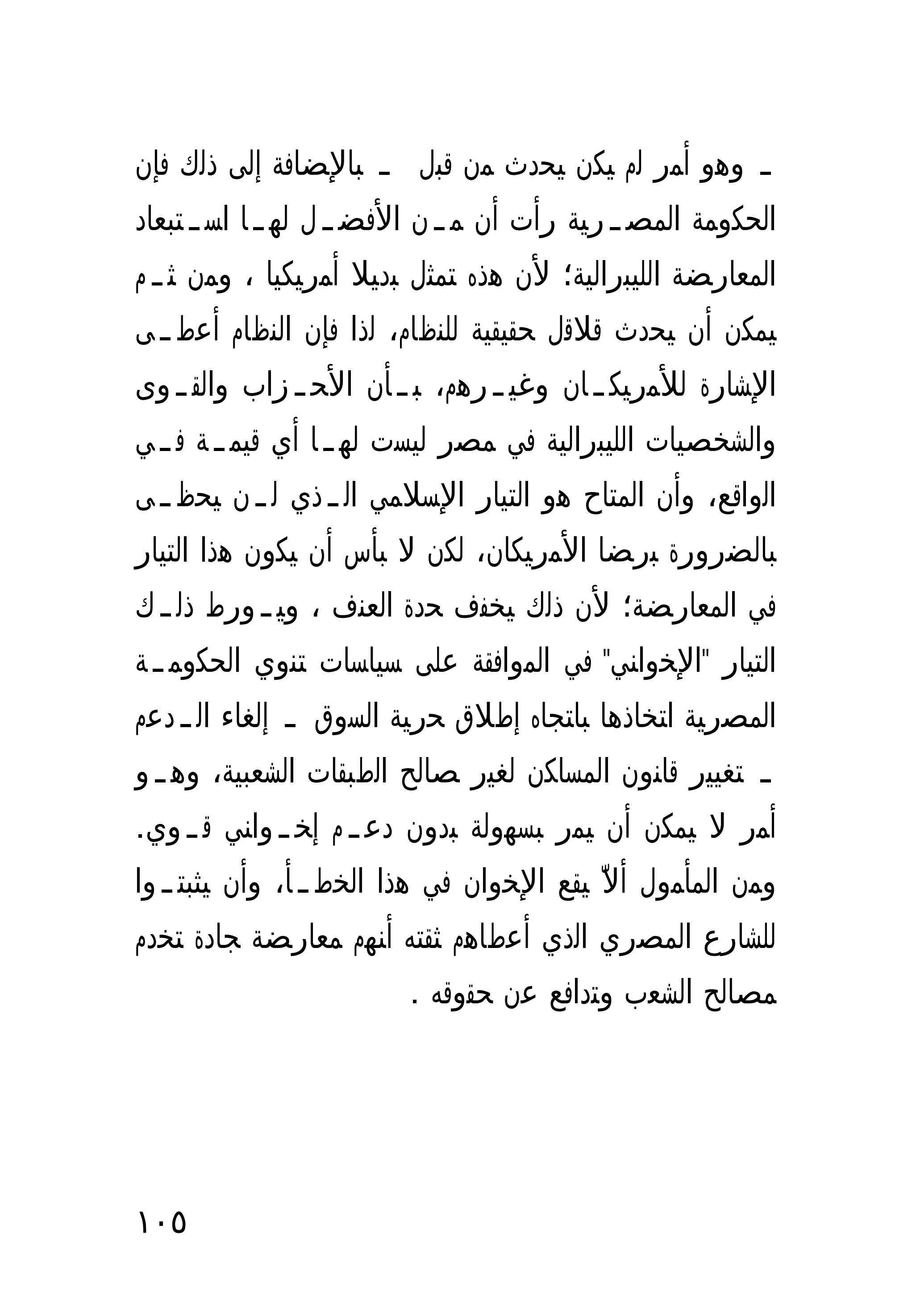
مليون ناخب في حين أن من هم في سن الانتخـاب حـوالي (٥٠) مليون في مصر، أي أن هناك ٤٠ % أصلاً لم يسجلوا أنفسهم في كشوف الناخبين، وهذا يعني أن الأغلبية الشـعبية المصرية ما زالت خارج العملية السياسية، وهـو أمـر لـه دلالاته بالطبع.

على نطاق نتائج الانتخابات - الأوليـة وفقـاً للمرحلـة الأولى فإن معظم المقاعد ذهبـت إلـى الحـزب الـوطني والمستقلين في حين حصل الإخوان المسلمون على نسبة ٢٠ %، وقوى سياسـية والجبهـة الوطنيـة، وجبهـة التغييـر الديموقراطي، وحركة كفاية ...الخ لم تحصل إلا على نتيجة أقل من ٢ % وهذا يعني أن تلك القوى السياسية (وفـد - ناصري - تجمع - أحزاب مختلفـة - حركـة كرامـة - حزب العمل المجمد - حركة كفاية...الخ) لم يعد لها وجود حقيقي في الشارع المصري، وأنهـا حركـة نخبـة داخـل الصالونات المغلقة، الأمر الذي يقتضي البحـث عـن خلـل واضح في بنية تلك الأحزاب وخطابها السياسي، وأن القـوة الحقيقية في مصر تنحصر تماماً في الحكومـة ممثلـة فـي الحزب الوطني ، والإخوان المسلمين . والمحصلة أن القـوة



السياسية الوحيدة في مصر هي الإخوان المسـلمون، وقـد استطاعت تلك الجماعة أن تثبت نفسها في هذه الانتخابات ، نظراً لتنظيمها الدقيق، ونظراً لحالة المد الإسلامي العام فـي مصر الذي يصب فقط في صف الإخوان لعدم وجود قـوى سياسية إسلامية أخرى، وهكذا فإن جزءاً من قوة الإخـوان المسلمين يرجع إلى تنظيمهم الذاتي، والآخـر يرجـع إلـى ظروف موضوعية، منها الرفض الشعبي لممارسات الحكومة أو ما يسمى بالصوت الانتقامي، وإفلاس القـوى والأفكـار السياسية غير الإسلامية.

ويرى بعض المراقبين أن هناك أسـباباً أخـرى تتصـل بالواقع الإقليمي والدولي خدمت الإخوان المسلمين، ويقـول هؤلاء: إن الموقف الذي اتخذه الحزب الإسلامي في العراق بتأييد مسودة الدستور والخروج على إجماع السنة هناك، كان نوعاً من الاتفاق مع الأمريكان مقابل الضغط على الحكومـة المصرية للتسامح مع الإخوان المسلمين، وقد حدث قدر كبير من التسامح الحكومي مع مرشحي الإخوان، الـذين رفعـوا شعارات إسلامية واضحة، واستخدموا الملصقات واللافتات، بل ومنابر المساجد بدون أي مضايقات في العملية الانتخابية



ـ وهو أمر لم يكن يحدث من قبل ـ بالإضافة إلى ذلك فإن الحكومة المصـرية رأت أن مـن الأفضـل لهـا اسـتبعاد المعارضة الليبرالية؛ لأن هذه تمثل بديلا أمريكيا ، ومن ثـم يمكن أن يحدث قلاقل حقيقية للنظام، لذا فإن النظام أعطـى الإشارة للأمريكـان وغيـرهم، بـأن الأحـزاب والقـوى والشخصيات الليبرالية في مصر ليست لهـا أي قيمـة فـي الواقع، وأن المتاح هو التيار الإسلامي الـذي لـن يحظـى بالضرورة برضا الأمريكان، لكن لا بأس أن يكون هذا التيار في المعارضة؛ لأن ذلك يخفف حدة العنف ، ويـورط ذلـك التيار "الإخواني" في الموافقة على سياسات تنوي الحكومـة المصرية اتخاذها باتجاه إطلاق حرية السوق ـ إلغاء الـدعم ـ تغيير قانون المساكن لغير صالح الطبقات الشعبية، وهـو أمر لا يمكن أن يمر بسهولة بدون دعـم إخـواني قـوي. ومن المأمول ألاّ يقع الإخوان في هذا الخطـأ، وأن يثبتـوا للشارع المصري الذي أعطاهم ثقته أنهم معارضة جادة تخدم مصالح الشعب وتدافع عن حقوقه .

تقرير

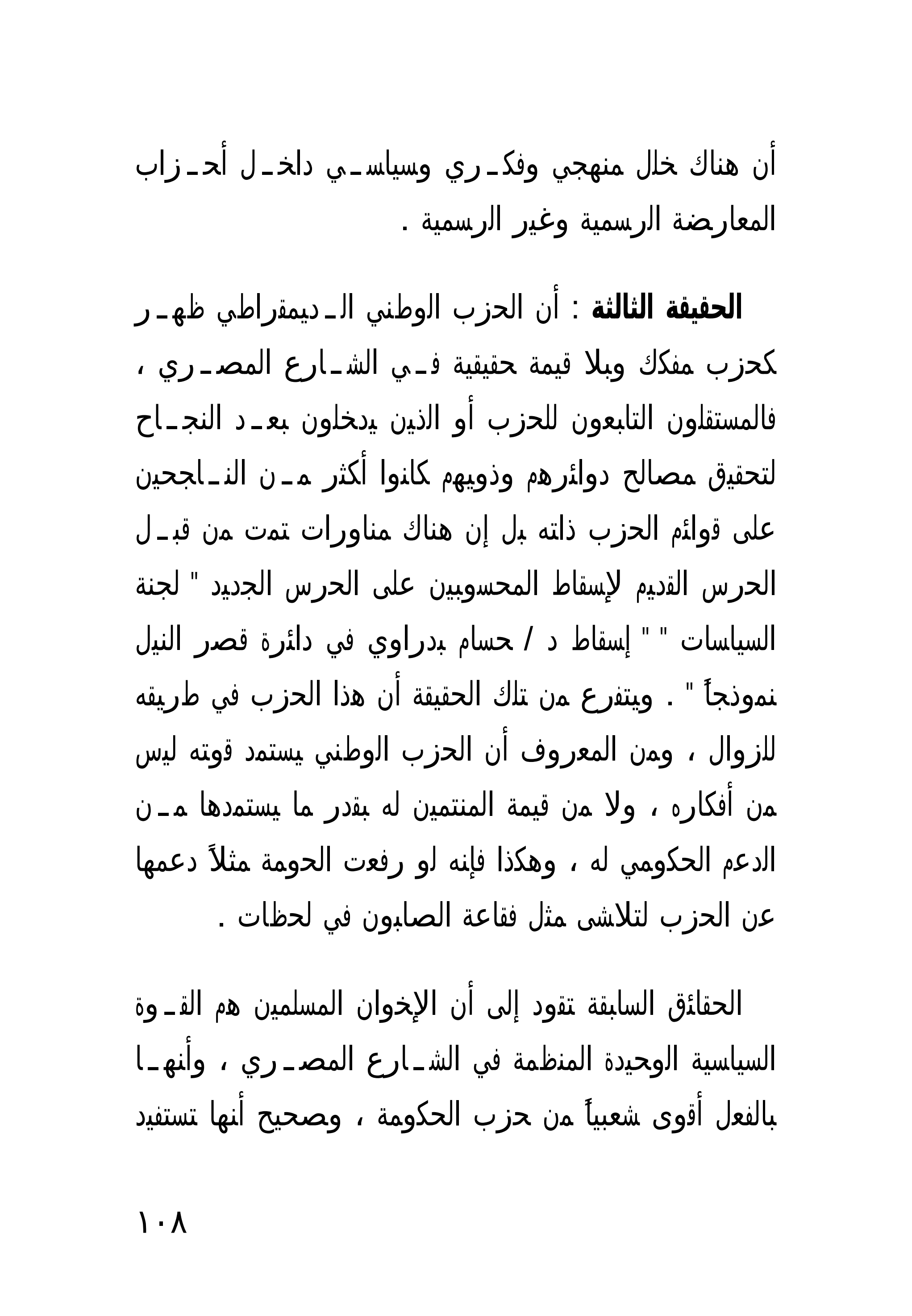
تحليل نتائج الانتخابات البرلمانية المصرية صعود الإخوان المسلمين

إذا جاز لنا أن نأخذ نتائج المرحلة الأولى من الانتخابـات البرلمانية المصرية كعينة لاستخلاص دلالات عامة وخاصة ، على أساس أنها تمثل ثلث المعركة الانتخابية أولاً ، وثلث المقاعد ثانياً – وجرت فـي العاصـمة ، ومحافظـات مـن الوجهين البحري والقبلي ، فإن كثيراً من الحقائق الجديـدة ، أو قل التي تم الكشف عنها ، أي أنها كانت موجودة بالفعـل وجاءت الانتخابات لتكشف فقط عنها أو ترفـع مـن فوقهـا الغطاء .

الحقيقة الأولى : هي أن الإخوان المسلمين هم حالياً القوة السياسية الوحيدة في مصر ، فهم أولاً قد حصلوا علـى ٣٤ مقعداً من أصل ٥٠ مرشح لهم ، أي بنسبة ٦٨ % من عـدد مرشحيهم وهذا يعني أنهم لو رشحوا مرشحين لهم في كـل المقاعد لفازوا بنفس النسبة أو قريبـاً منهـا ، أي يمكـنهم

الحصول على الأغلبية المطلقة ، وهذا بالطبع أمر له دلالاته ، وبديهي أن الإخوان المسلمين لم يغامروا بذلك ولن يغامروا به في المستقبل القريب لإدراكهم أن ذلك معناه تداعيات هـم في غنى عنها ، أو ليسوا مستعدين لها . وقد ظهر الإخـوان المسلمون في هذه الانتخابات كقوة منظمة تنظيماً جيداً جداً ، ولديهم إمكانيات مالية عالية وثبت أنهم أقوى من الحكومة .

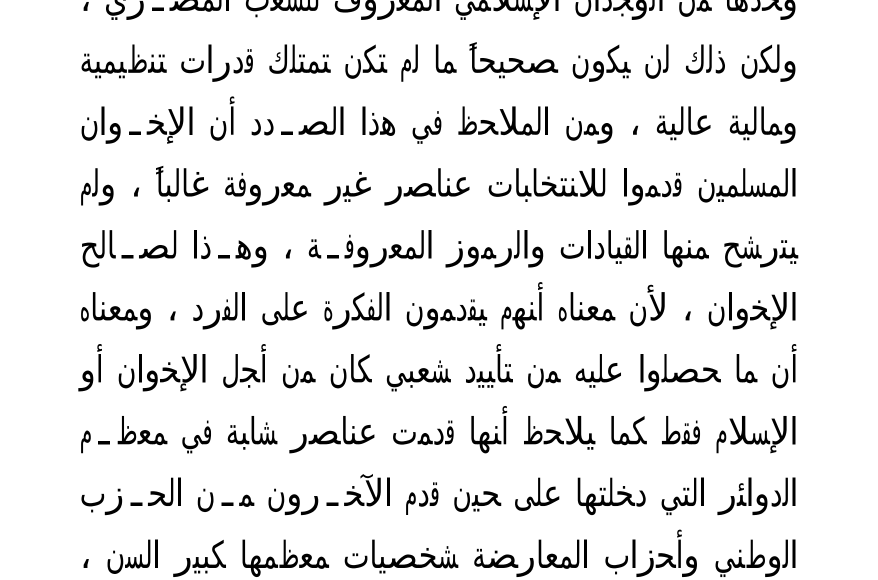
الحقيقة الثانية : هي أن القوى السياسية – الشرعية مثل الأحزاب وغير الشرعية مثل حركات كرامة وكفاية والجبهة الوطنية وغيرها ، حصلت على عدد أقل من أصـابع اليـد الواحدة من المقاعد في تلك الجولة ، وهـذا يعنـي أن تلـك القوى غائبة تماماً عن الشارع أو مرفوضة منـه . وأن مـا كانت تحصل عليه سابقاً من مقاعد وتواجد كان نوعـاً مـن المنح الحكومية ، ويرجع ذلك لعدة أسباب أولها أن الشـارع المصري إسلامي تماماً . فهو يرفض الأطروحات العلمانيـة تماماً ، ومن ثم أعطى الإخوان على قاعدة شعار الإسلام هو الحل ، وقد يقول بعض رموز المعارضة أن هناك نوع مـن التزوير والضغوط والتجاوزات ، وهذا صحيح ، ولكن معنى أن مرشحي الإخوان تجاوزوا ذلك كله وحققوا هذا الإنجـاز



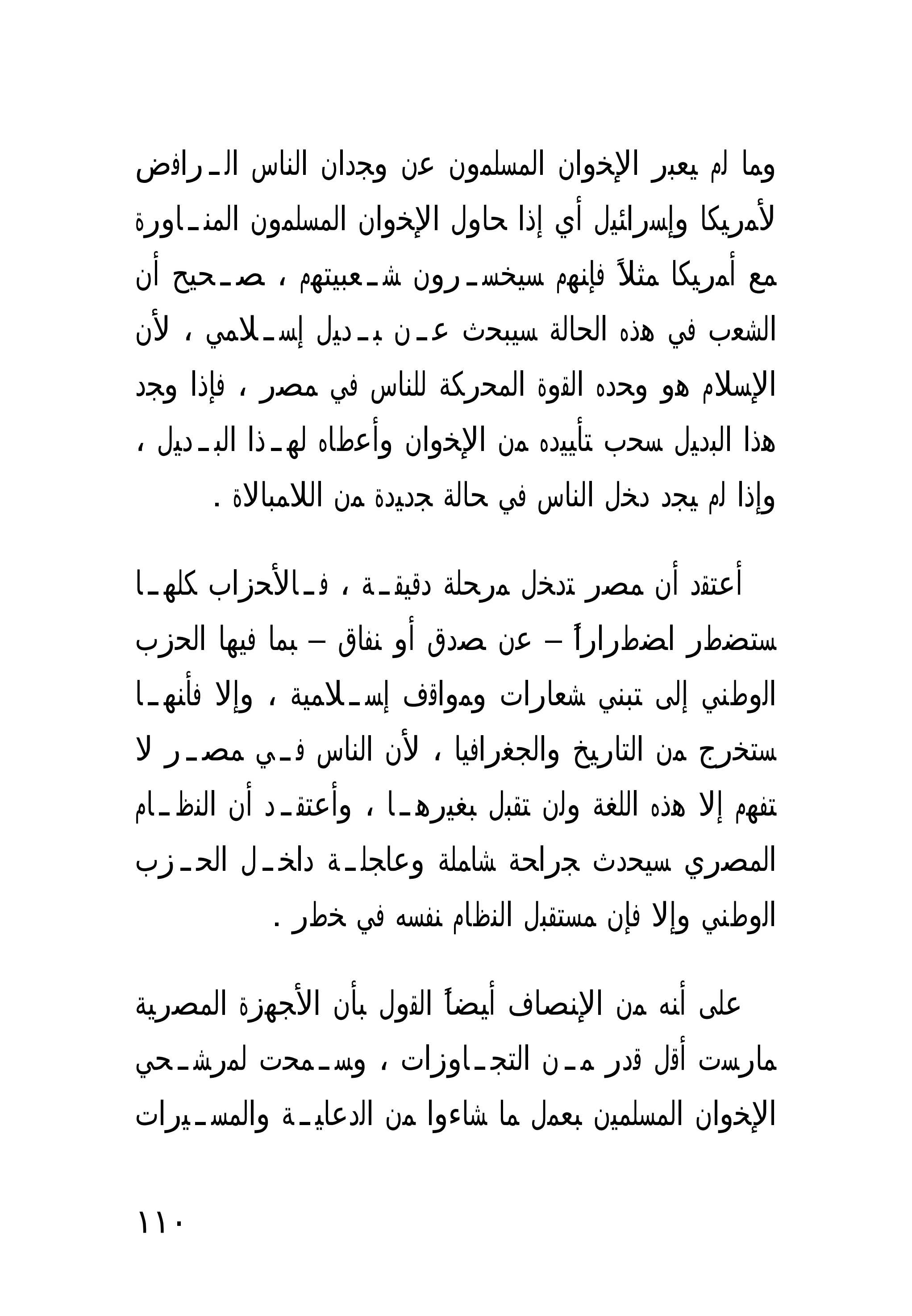
أن هناك خلل منهجي وفكـري وسياسـي داخـل أحـزاب المعارضة الرسمية وغير الرسمية .

الحقيقة الثالثة : أن الحزب الوطني الـديمقراطي ظهـر كحزب مفكك وبلا قيمة حقيقية فـي الشـارع المصـري ، فالمستقلون التابعون للحزب أو الذين يدخلون بعـد النجـاح لتحقيق مصالح دوائرهم وذويهم كانوا أكثر مـن النـاجحين على قوائم الحزب ذاته بل إن هناك مناورات تمت من قبـل الحرس القديم لإسقاط المحسوبين على الحرس الجديد " لجنة السياسات " " إسقاط د / حسام بدراوي في دائرة قصر النيل نموذجاً " . ويتفرع من تلك الحقيقة أن هذا الحزب في طريقه للزوال ، ومن المعروف أن الحزب الوطني يستمد قوته ليس من أفكاره ، ولا من قيمة المنتمين له بقدر ما يستمدها مـن الدعم الحكومي له ، وهكذا فإنه لو رفعت الحومة مثلاً دعمها عن الحزب لتلاشى مثل فقاعة الصابون في لحظات .

الحقائق السابقة تقود إلى أن الإخوان المسلمين هم القـوة السياسية الوحيدة المنظمة في الشـارع المصـري ، وأنهـا بالفعل أقوى شعبياً من حزب الحكومة ، وصحيح أنها تستفيد



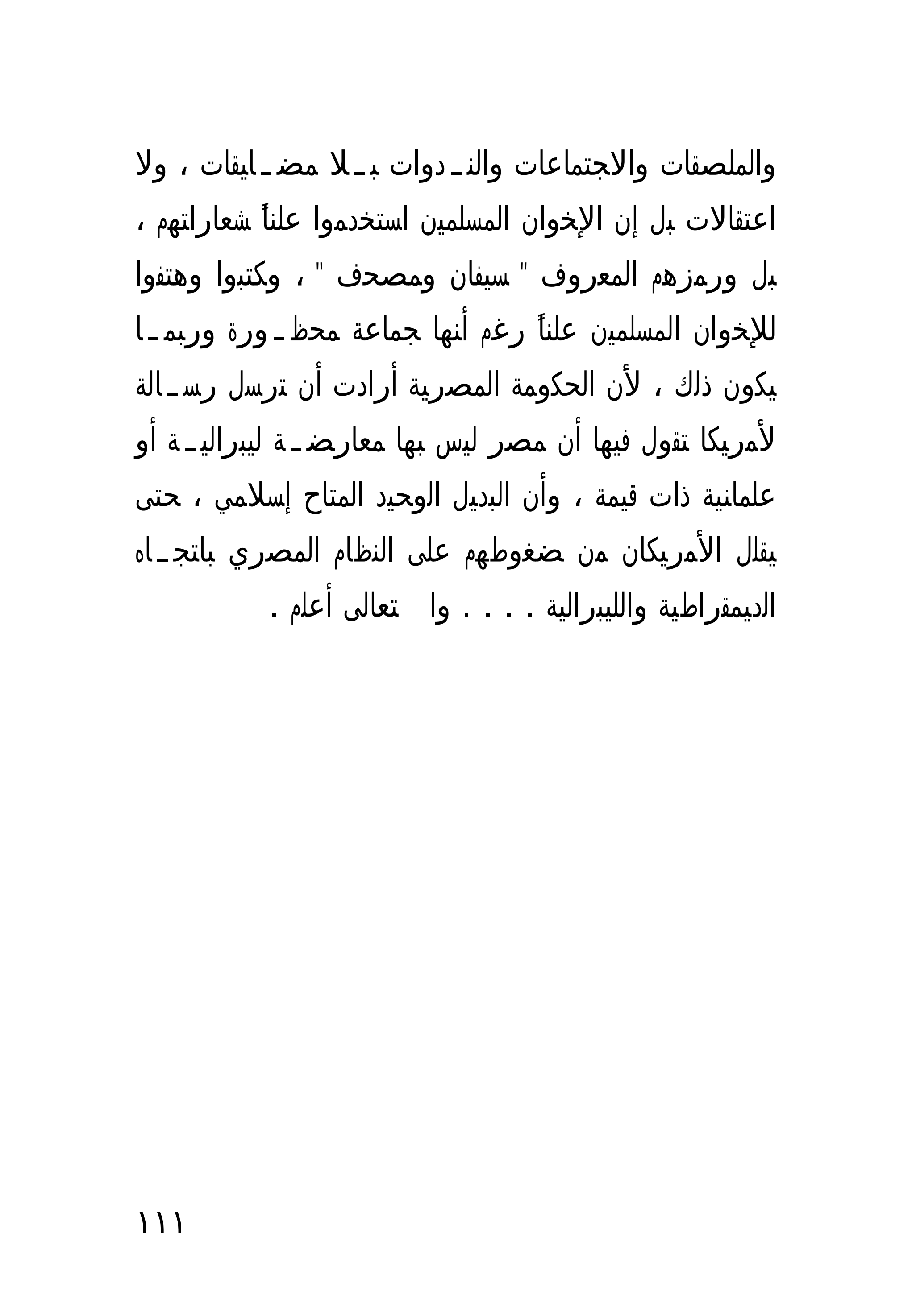
وحدها من الوجدان الإسلامي المعروف للشعب المصـري ، ولكن ذلك لن يكون صحيحاً ما لم تكن تمتلك قدرات تنظيمية ومالية عالية ، ومن الملاحظ في هذا الصـدد أن الإخـوان المسلمين قدموا للانتخابات عناصر غير معروفة غالباً ، ولم يترشح منها القيادات والرموز المعروفـة ، وهـذا لصـالح الإخوان ، لأن معناه أنهم يقدمون الفكرة على الفرد ، ومعناه أن ما حصلوا عليه من تأييد شعبي كان من أجل الإخوان أو الإسلام فقط كما يلاحظ أنها قدمت عناصر شابة في معظـم الدوائر التي دخلتها على حين قدم الآخـرون مـن الحـزب الوطني وأحزاب المعارضة شخصيات معظمها كبير السن ، وهذا يعني أن الإخوان المسلين قوة شابة ! ! ، ولها مستقبل بالطبع فإن التأييد الشعبي الـذي حصـل عليـه الإخـوان المسلمون من الشعب المصري ليس شيكاً على بياض ، فهم أمام امتحان صعب فالشعب المصري يعطي رسـالة ضـد الفساد وضد الانبطاح أمام أمريكا وإسرائيل ، وما لـم يقـم نواب الجماعة ، والجماعة عموماً بموقف واضح من الفساد وتقديم إنجازات حقيقية للشارع المصري ، وكـذا الوقـوف بصلابة أمام المشروع الأمريكي الصهيوني فـي المنطقـة ،



وما لم يعبر الإخوان المسلمون عن وجدان الناس الـرافض لأمريكا وإسرائيل أي إذا حاول الإخوان المسلمون المنـاورة مع أمريكا مثلاً فإنهم سيخسـرون شـعبيتهم ، صـحيح أن الشعب في هذه الحالة سيبحث عـن بـديل إسـلامي ، لأن الإسلام هو وحده القوة المحركة للناس في مصر ، فإذا وجد هذا البديل سحب تأييده من الإخوان وأعطاه لهـذا البـديل ، وإذا لم يجد دخل الناس في حالة جديدة من اللامبالاة .

أعتقد أن مصر تدخل مرحلة دقيقـة ، فـالأحزاب كلهـا ستضطر اضطراراً – عن صدق أو نفاق – بما فيها الحزب الوطني إلى تبني شعارات ومواقف إسـلامية ، وإلا فأنهـا ستخرج من التاريخ والجغرافيا ، لأن الناس فـي مصـر لا تفهم إلا هذه اللغة ولن تقبل بغيرهـا ، وأعتقـد أن النظـام المصري سيحدث جراحة شاملة وعاجلـة داخـل الحـزب الوطني وإلا فإن مستقبل النظام نفسه في خطر .

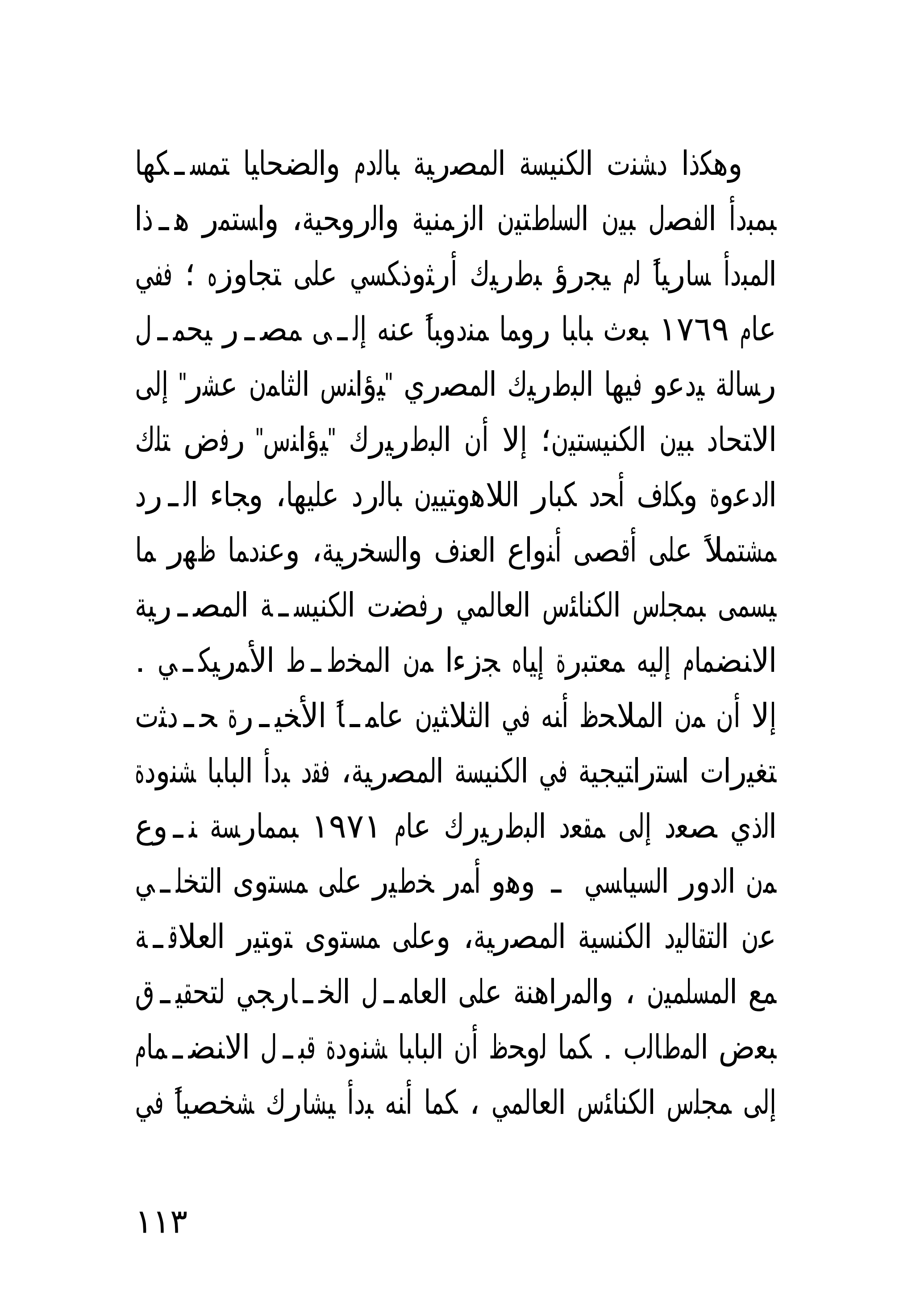
على أنه من الإنصاف أيضاً القول بأن الأجهزة المصرية مارست أقل قدر مـن التجـاوزات ، وسـمحت لمرشـحي الإخوان المسلمين بعمل ما شاءوا من الدعايـة والمسـيرات

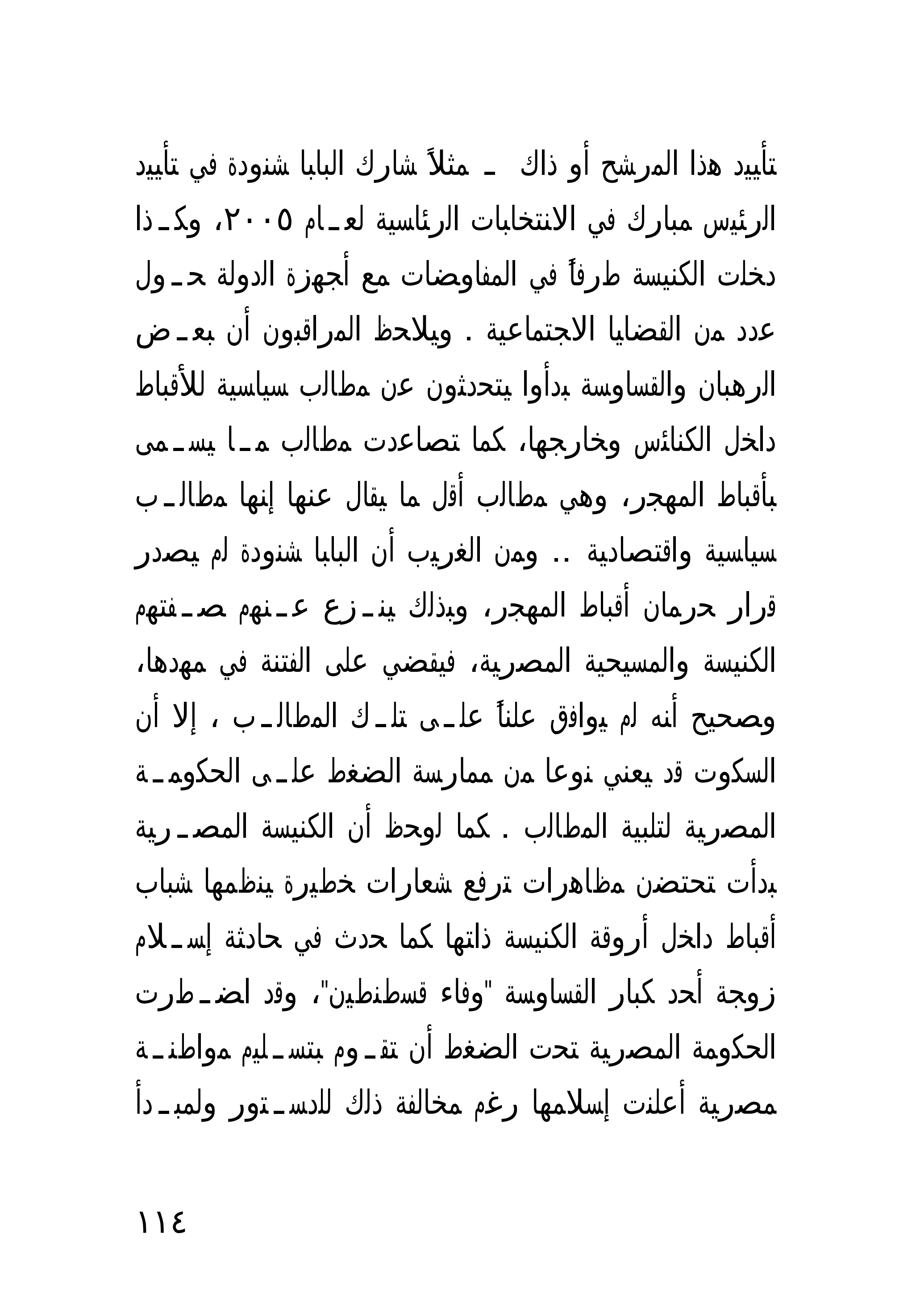


والملصقات والاجتماعات والنـدوات بـلا مضـايقات ، ولا اعتقالات بل إن الإخوان المسلمين استخدموا علناً شعاراتهم ، بل ورمزهم المعروف " سيفان ومصحف " ، وكتبوا وهتفوا للإخوان المسلمين علناً رغم أنها جماعة محظـورة وربمـا يكون ذلك ، لأن الحكومة المصرية أرادت أن ترسل رسـالة لأمريكا تقول فيها أن مصر ليس بها معارضـة ليبراليـة أو علمانية ذات قيمة ، وأن البديل الوحيد المتاح إسلامي ، حتى يقال الأمريكان من ضغوطهم على النظام المصري باتجـاه الديمقراطية والليبرالية . . . . وا تعالى أعلم .

الكنيسة المصرية .. ودعاة الفتنة الطائفية !!

من التقاليد المعروفة، والتي كانت تشكل سمة رئيسية من سمات الكنيسة المصـرية هـي عـدم تـدخل الكنيسـة ـ والبطريرك ـ في الأمور الدنيوية، السياسـية والاجتماعيـة والاقتصادية، وأن يقتصر دور الكنيسة والبابا على الأمـور الروحية . وقد أصبح هذا الأمر أحد أهم مميـزات الكنيسـة المصرية، لأنها انتزعت هذا التقليد بدماء كثير من الضـحايا من رعاياها ورهبانها، ويحتفظ التاريخ القـديم للكنيسـة أن الأب أثناسيوس أصر على عدم الخلط بين السلطة الزمنيـة والسلطة الروحيـة وكتـب إلـى الإمبراطـور الرومـاني قسطانيوس قائلاً:"لا تقحم نفسك في المسـائل الكنسـية ولا تصدر إلينا أمراً بشأن هذه الكنائس.. " وكانـت النتيجـة أن تعرض الأب اثناسيوس للمطاردة من قبل سـلطات الدولـة الرومانية، التي وضعت جائزة لمن يأتي برأسه، واسـتمرت تلك المطاردة ٢٠ عاماً .


وهكذا دشنت الكنيسة المصرية بالدم والضحايا تمسـكها بمبدأ الفصل بين السلطتين الزمنية والروحية، واستمر هـذا المبدأ سارياً لم يجرؤ بطريك أرثوذكسي على تجاوزه ؛ ففي عام ١٧٦٩ بعث بابا روما مندوباً عنه إلـى مصـر يحمـل رسالة يدعو فيها البطريك المصري "يؤانس الثامن عشر" إلى الاتحاد بين الكنيستين؛ إلا أن البطريرك "يؤانس" رفض تلك الدعوة وكلف أحد كبار اللاهوتيين بالرد عليها، وجاء الـرد مشتملاً على أقصى أنواع العنف والسخرية، وعندما ظهر ما يسمى بمجلس الكنائس العالمي رفضت الكنيسـة المصـرية الانضمام إليه معتبرة إياه جزءا من المخطـط الأمريكـي . إلا أن من الملاحظ أنه في الثلاثين عامـاً الأخيـرة حـدثت تغيرات استراتيجية في الكنيسة المصرية، فقد بدأ البابا شنودة الذي صعد إلى مقعد البطريرك عام ١٩٧١ بممارسة نـوع من الدور السياسي - وهو أمر خطير على مستوى التخلـي عن التقاليد الكنسية المصرية، وعلى مستوى توتير العلاقـة مع المسلمين ، والمراهنة على العامـل الخـارجي لتحقيـق بعض المطالب . كما لوحظ أن البابا شنودة قبـل الانضـمام إلى مجلس الكنائس العالمي ، كما أنه بدأ يشارك شخصياً في



تأييد هذا المرشح أو ذاك - مثلاً شارك البابا شنودة في تأييد الرئيس مبارك في الانتخابات الرئاسية لعـام ٢٠٠٥، وكـذا دخلت الكنيسة طرفاً في المفاوضات مع أجهزة الدولة حـول عدد من القضايا الاجتماعية . ويلاحظ المراقبون أن بعـض الرهبان والقساوسة بدأوا يتحدثون عن مطالب سياسية للأقباط داخل الكنائس وخارجها، كما تصاعدت مطالب مـا يسـمى بأقباط المهجر، وهي مطالب أقل ما يقال عنها إنها مطالـب سياسية واقتصادية .. ومن الغريب أن البابا شنودة لم يصدر قرار حرمان أقباط المهجر، وبذلك ينـزع عـنهم صـفتهم الكنيسة والمسيحية المصرية، فيقضي على الفتنة في مهدها، وصحيح أنه لم يوافق علناً علـى تلـك المطالـب ، إلا أن السكوت قد يعني نوعا من ممارسة الضغط علـى الحكومـة المصرية لتلبية المطالب . كما لوحظ أن الكنيسة المصـرية بدأت تحتضن مظاهرات ترفع شعارات خطيرة ينظمها شباب أقباط داخل أروقة الكنيسة ذاتها كما حدث في حادثة إسـلام زوجة أحد كبار القساوسة "وفاء قسطنطين"، وقد اضـطرت الحكومة المصرية تحت الضغط أن تقـوم بتسـليم مواطنـة مصرية أعلنت إسلامها رغم مخالفة ذلك للدسـتور ولمبـدأ

حرية العقيدة! على أن المسألة لم تقتصر على ذلك، بل تعدته إلى ما يمكن أن نطلق عليه الدخول في المساحات الحرجـة، فقد رصدت الصحافة المصرية إنتاج شريط سينمائي عليـه مسرحية كوميدية تتطاول على المسلمين، وأن ذلك الشـريط باركه البابا، وقامت بإنتاجه كنائس رسمية .

الشريط بعنوان "كنت أعمى والآن أبصر"، وتم تقديمه في الكنائس، وفي مقدمته كتب منتجو الفيلم أن الشريط نال بركة صوت قداسة البابا شنودة الثالث، وأن العمل تم تحت رعاية كل من " أبونا أوغسطينوس فؤاد - وأبونا أنطونيوس فهمي" وأن الجهة التي نفذت هذا العمل هي كنيسة الشهيدة العظيمة مار جرجس بالقـاهرة، وكنيسـة القـديس العظـيم الأنبـا أنطونيوس بمحرم بك بالإسكندرية، وأن الكورال التابع لتلك الكنيسة هو الذي قام بتمثيل وإخـراج وإنتـاج العـرض . الشريط يتطاول على العقائد الإسلامية، ويسخر مـن قاعـدة الناسخ والمنسوخ، ويصور المسلمين على أنهم ذئاب ....الخ وبديهي أن هذا لا علاقة له بموضوع الحرية الفنية والفكرية ، ولو كان العمل إنتاجا فرديا أو شخصـيا أو حتـى إنتـاج مؤسسة من خارج الكنيسة لتذرع البعض بـذلك، ولكـن أن

يحمل العمل اسم كنيسة معينة ويباركه البابا شنودة فهذا مصدر الخطر الكبير ، ويطرح أكثر من علامة استفهام حول الدوافع والأهداف الحقيقية لهذا العمل !!

وبالطبع فإن مثل هذا العمل يجب أن يتصدى له عقلاء المسيحيين قبل المسلمين حتى لا يثير فتنة كبرى، فالمسلمون لن يصبروا طويلاً على التهكم على دينهم، ومن يفعل ذلك فإنما يضر مصر، ويضر المسيحيين قبل أي طرف آخر . ويرى المراقبون أن الدخول في تلك المساحات الخطيرة يعتمد على عدد من المتغيرات التي حدثت في الآونة الأخيرة وهي:

- صعود نجم الولايات المتحدة، ومحاولتها استخدام ورقة الأقليات في مصر.

- الضعف الذي أظهرته الدولة أكثر من مرة في أكثر من قضية مع الكنيسة.

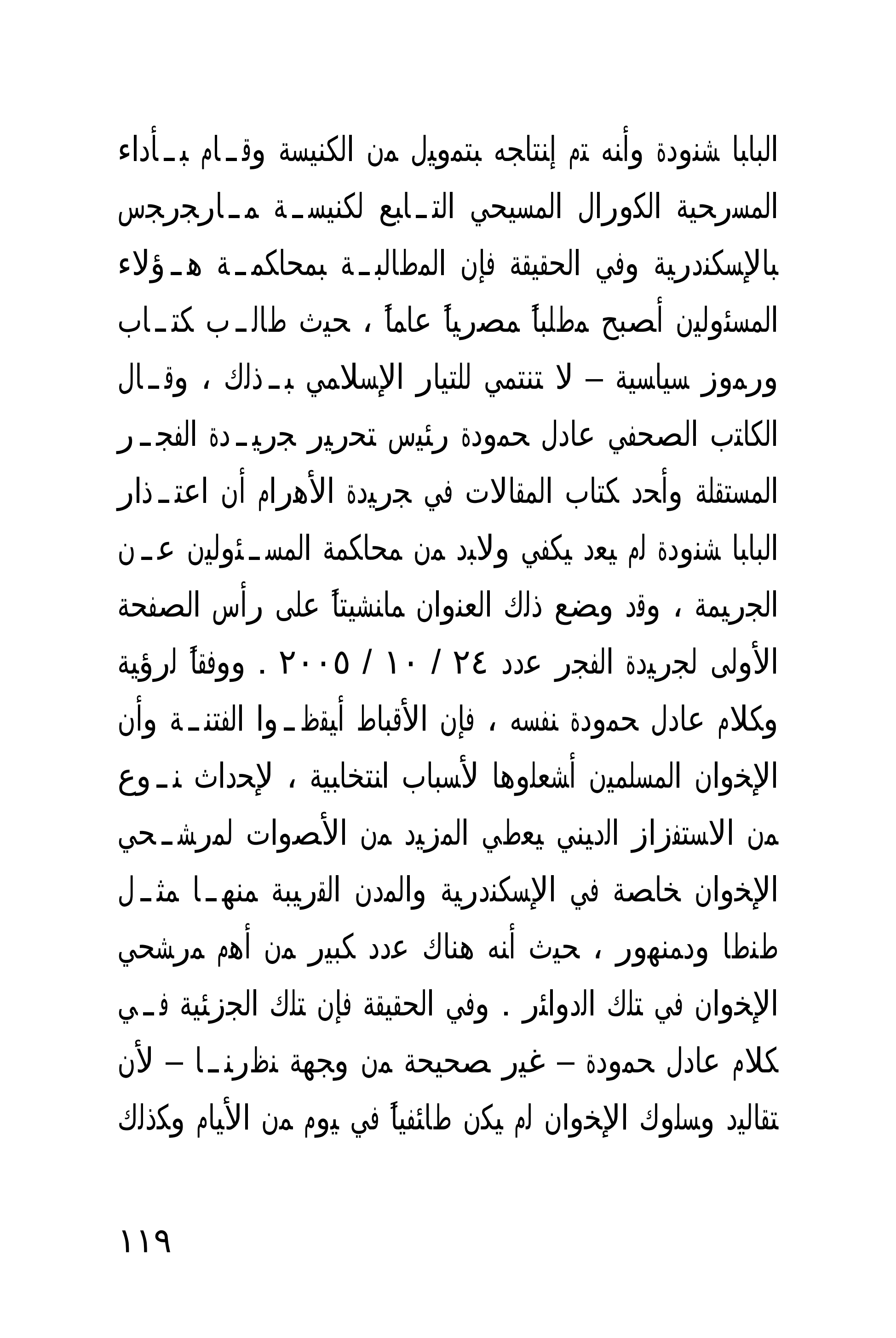
ـ الاعتماد على أن الكنيسة أيدت الرئيس مبـارك فـي الانتخابات الأخيرة، ومن ثم فإن لها فضلاً عليه لا يسـتطيع تجاهله.

ولكنها كما نرى كلها عوامل مؤقتة، ويمكن أن تتغير في أي لحظة، ومن ثم فإن عقلاء المسيحيين دعوا إلى وقف هذا الاستفزاز وناشدوا البابا شنودة التدخل شخصـياً لمحاكمـة المنتجين لهذا العمل والمروجين له.

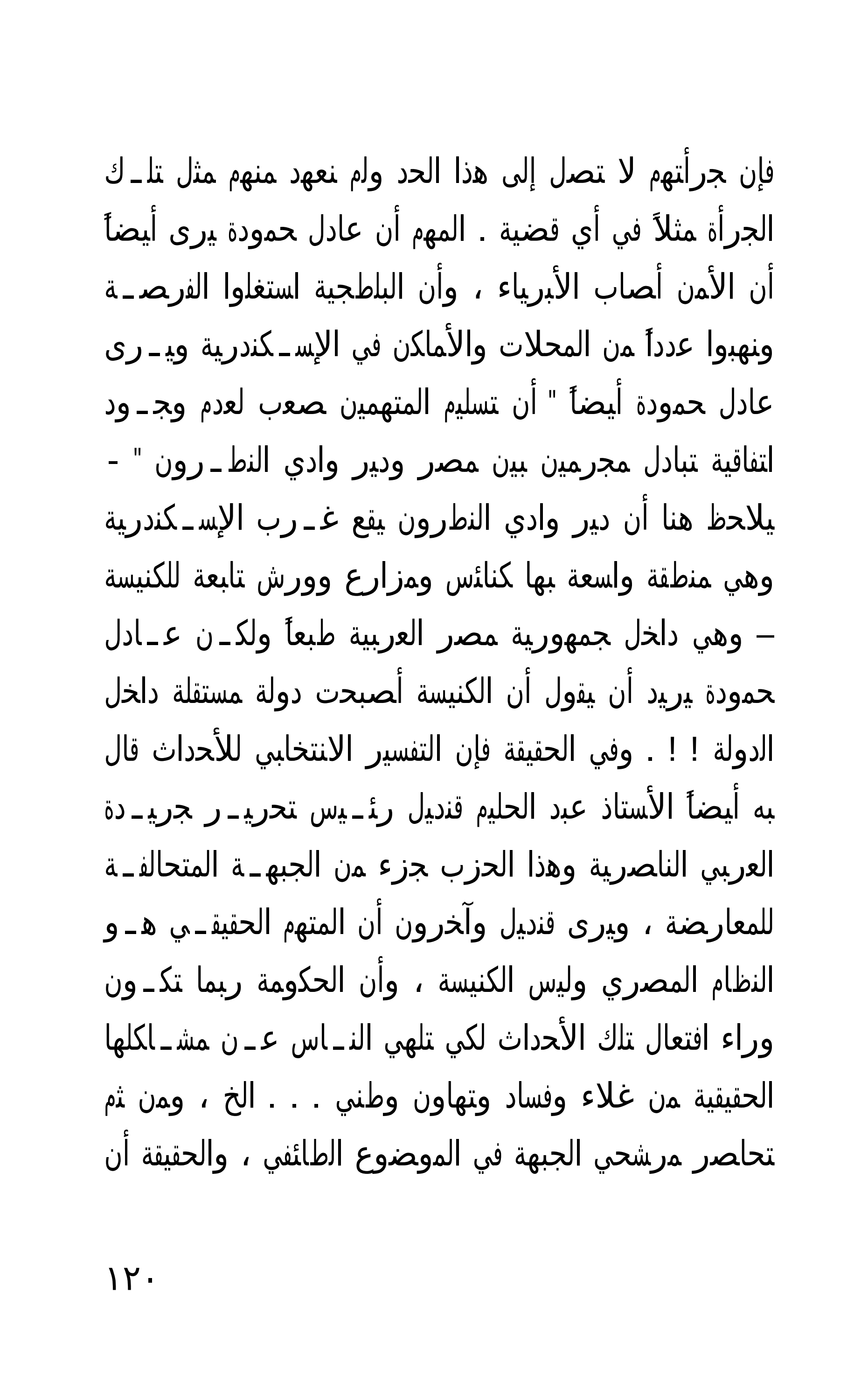
تقرير

فتنة طائفية أم فتنة انتخابية

تصاعدت في الآونة الأخيرة مسألة الصدام بين متظاهرين مسلمين أمام كنيسة مارجرجس بالإسكندرية وبـين رمـوز الكنيسة المصرية بسبب تداول شريط مسيحي يرى فيه هؤلاء المعترضون أن به مساساً بالعقائد الدينية الإسلامية وسخرية من الإسلام والمسلمين وامتهاناً لقدسية القرآن الكريم . وقـد اندلعت مظاهرات فـي يـوم الجمعـة ١٤ / ١٠ / ٢٠٠٥ وتجددت تلك المظاهرات يوم الجمعـة التـالي ٢١ / ١٠ / ٢٠٠٥ ، وقد تضمنت تلك المظاهرات عمليات إتلاف لعـدد من المنشآت والممتلكات ، كما تضمنت صراعاً مع الشرطة المصرية وسقط قتلى وجرحى مـن المتظـاهرين وقـوات الشرطة على حد سواء . ويطالب المتظـاهرون بمحاكمـة المسئولين الذين أنتجوا هذا الشريط ، واعتذار واضـح مـن البابا شنودة بطريرك الكرازة المرقسية فـي مصـر ، وقـد رفض البابا شنودة هذا الاعتذار حتى الآن ، كما لم تظهـر بوادر لمحاكمة المسئولين الكنسيين الذين أنتجوا الشـريط ، وقد تضمن الشريط المسرحي مقدمات تقول أنه نـال بركـة



البابا شنودة وأنه تم إنتاجه بتمويل من الكنيسة وقام بأداء المسرحية الكورال المسيحي التابع لكنيسة مارجرجس بالإسكندرية وفي الحقيقة فإن المطالبة بمحاكمة هؤلاء المسئولين أصبح مطلباً مصرياً عاماً ، حيث طالب كتاب ورموز سياسية – لا تنتمي للتيار الإسلامي بذلك ، وقال الكاتب الصحفي عادل حمودة رئيس تحرير جريدة الفجر المستقلة وأحد كتاب المقالات في جريدة الأهرام أن اعتذار البابا شنودة لم يعد يكفي ولابد من محاكمة المسئولين عن الجريمة ، وقد وضع ذلك العنوان مانشيتاً على رأس الصفحة الأولى لجريدة الفجر عدد ٢٤ / ١٠ / ٢٠٠٥ . ووفقاً لرؤية وكلام عادل حمودة نفسه ، فإن الأقباط أيقظوا الفتنة وأن الإخوان المسلمين أشعلوها لأسباب انتخابية ، لإحداث نوع من الاستفزاز الديني يعطي المزيد من الأصوات لمرشحي الإخوان خاصة في الإسكندرية والمدن القريبة منها مثل طنطا ودمنهور ، حيث أنه هناك عدد كبير من أهم مرشحي الإخوان في تلك الدوائر . وفي الحقيقة فإن تلك الجزئية في كلام عادل حمودة – غير صحيحة من وجهة نظرنا – لأن تقاليد وسلوك الإخوان لم يكن طائفياً في يوم من الأيام وكذلك

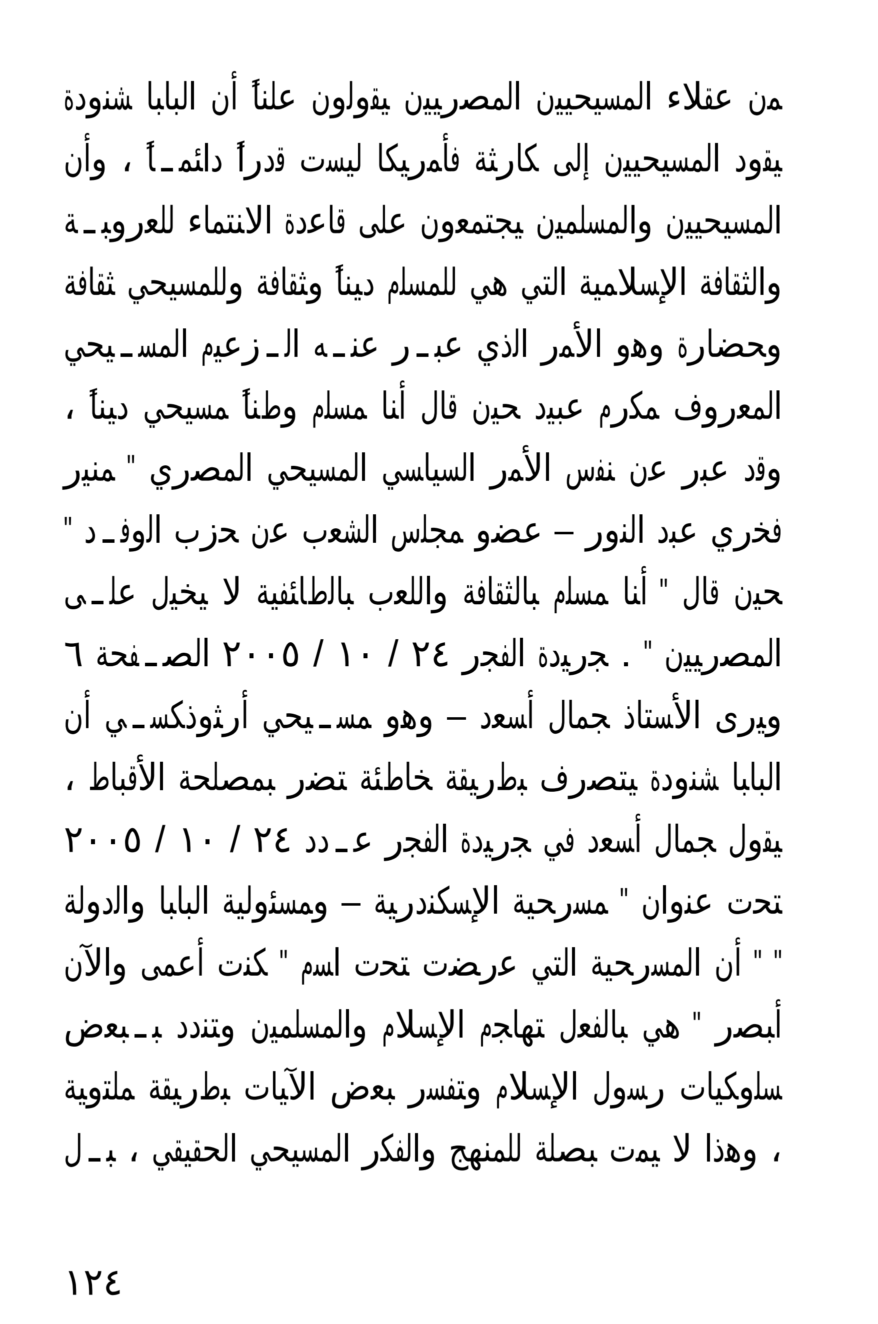


فإن جرأتهم لا تصل إلى هذا الحد ولم نعهد منهم مثل تلـك الجرأة مثلاً في أي قضية . المهم أن عادل حمودة يرى أيضاً أن الأمن أصاب الأبرياء ، وأن البلطجية استغلوا الفرصـة ونهبوا عدداً من المحلات والأماكن في الإسـكندرية ويـرى عادل حمودة أيضاً " أن تسليم المتهمين صعب لعدم وجـود اتفاقية تبادل مجرمين بين مصر ودير وادي النطـرون " - يلاحظ هنا أن دير وادي النطرون يقع غـرب الإسـكندرية وهي منطقة واسعة بها كنائس ومزارع وورش تابعة للكنيسة – وهي داخل جمهورية مصر العربية طبعاً ولكـن عـادل حمودة يريد أن يقول أن الكنيسة أصبحت دولة مستقلة داخل الدولة ! ! . وفي الحقيقة فإن التفسير الانتخابي للأحداث قال به أيضاً الأستاذ عبد الحليم قنديل رئـيس تحريـر جريـدة العربي الناصرية وهذا الحزب جزء من الجبهـة المتحالفـة للمعارضة ، ويرى قنديل وآخرون أن المتهم الحقيقـي هـو النظام المصري وليس الكنيسة ، وأن الحكومة ربما تكـون وراء افتعال تلك الأحداث لكي تلهي النـاس عـن مشـاكلها الحقيقية من غلاء وفساد وتهاون وطني . . . الخ ، ومن ثم تحاصر مرشحي الجبهة في الموضوع الطائفي ، والحقيقة أن

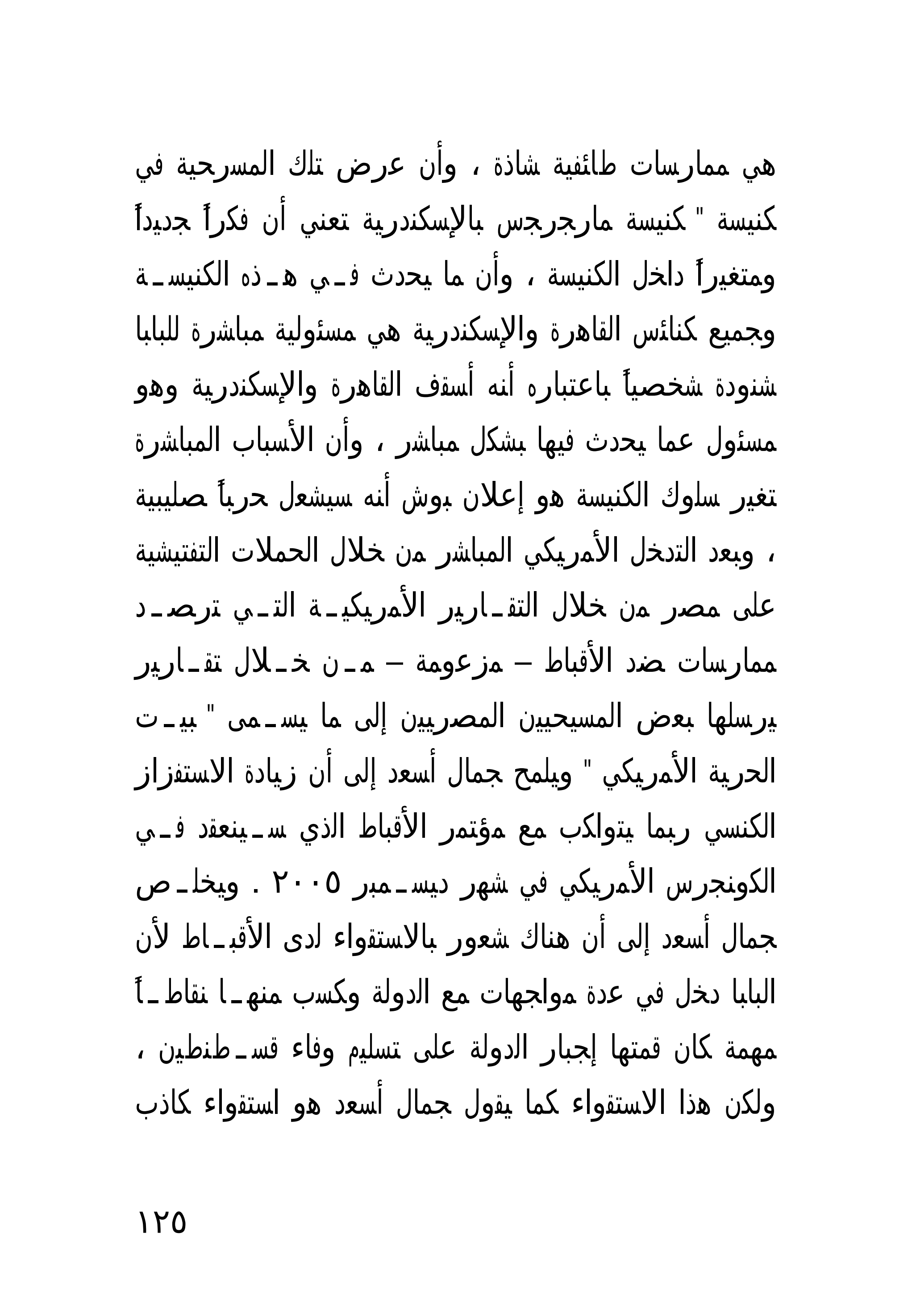
قنديل أيضاً لم يسقط المسئولين في الاستقطاب الطائفي عـن البابا شنودة ولكنه جعل الجزء الأهم فـي الموضـوع هـو التفسير الانتخابي ، ولكن المسألة بالطبع لا يمكن فهمها بهذه الطريقة فالحكومة المصرية لا تحتمل أن تفعل بنفسها مثـل هذه الأمور ثم إن التراكمات الطائفية والاسـتفزاز الكنسـي للمسلمين كبير جداً ، وسوف يخرج اليوم أو غـداً ، بهـذه الطريقة أو تلك ، إذاً المسألة تعبر عن واقع حقيقي ، ولـنكن صرحاء ونملك من الشجاعة ما يكفي لدفع الجرس في رقبـة القط وليس تسكين الجروح غير النظيفة ، فالكنيسة مارسـت وتمارس ضغطاً هائلاً على الحكومة ، وتتصرف كمؤسسـة سياسية يقودها البابا ، وهذا بالطبع مخالف للدستور المصري وهو أيضاً مخالف لتقاليـد الكنيسـة المصـرية الراسـخة والمعروفة في عدم التدخل في الأمور الدنيويـة والاقتصـار على المهمة الروحية وقد كان ذلك سلوك تقليدي للكنيسة في كل عهودها حتى عهد البابا شنودة الذي حول الكنيسة إلـى حزب سياسي ، وهو أمر خطير ، لأن معنى ذلـك تقسـيم مصر إلى حزب مسيحي يقوده البابا شنودة ورجال الكنيسـة يمثل ٦ % من الشعب المصري ، وحزب إسـلامي يقـوده

رئيس الجمهورية يمثل ٩٤ % من الشعب المصري ، وهذا الاستفزاز الكنسي بالطبع يتراكم وقد سجلت محكمة القضـاء الإداري في حكمها الصادر برفض طعن البابا شنودة ، أنـه يقوم بدور سياسي وله علاقات خارجية غير مقبولة " حكـم محكمة القضاء الإداري في الدعوى رقـم ٩٣٤ لسـنة ٢٦ قضائية المقاومة من البابا شنودة ضـد رئـيس الجمهوريـة بصفته ورئيس الوزراء بصفته – ويمكن أن نرصد في هـذا الصدد أيضاً أن الكنيسة المصرية نجحت في إلـزام أجهـزة الدولة بالبحث عن وفاء قسطنطين وآخرين ، وهم مسيحيون قد أعلنوا إسلامهم ومن ثم تسليم هـؤلاء للكنيسـة ، وكـأن الكنيسة أولاً تفاوض الدولة كطرف مسـتقل ، وهـي ثانيـاً تمارس مهمة محاكم التفتيش وهو أمر رآه المسلمون أمـراً خطيراً حيث أنه تسليم مواطن مسلم إلى جهة لإكراههم على الكفر ، والعجيب أن دعاة حقوق الإنسان ومنظمات المجتمع المدني ، والكثير من القوى السياسية قد سكتت علـى هـذا الإكراه في الدين ، ومخالفة مبدأ حرية العقيدة في حين أنهـا تقيم الدنيا ولا تقعدها في أمور أقل من ذلك بكثير – مصادرة كتاب مثلاً – وفي الإطار نفسه هدد أكثر من راعي كنيسـة

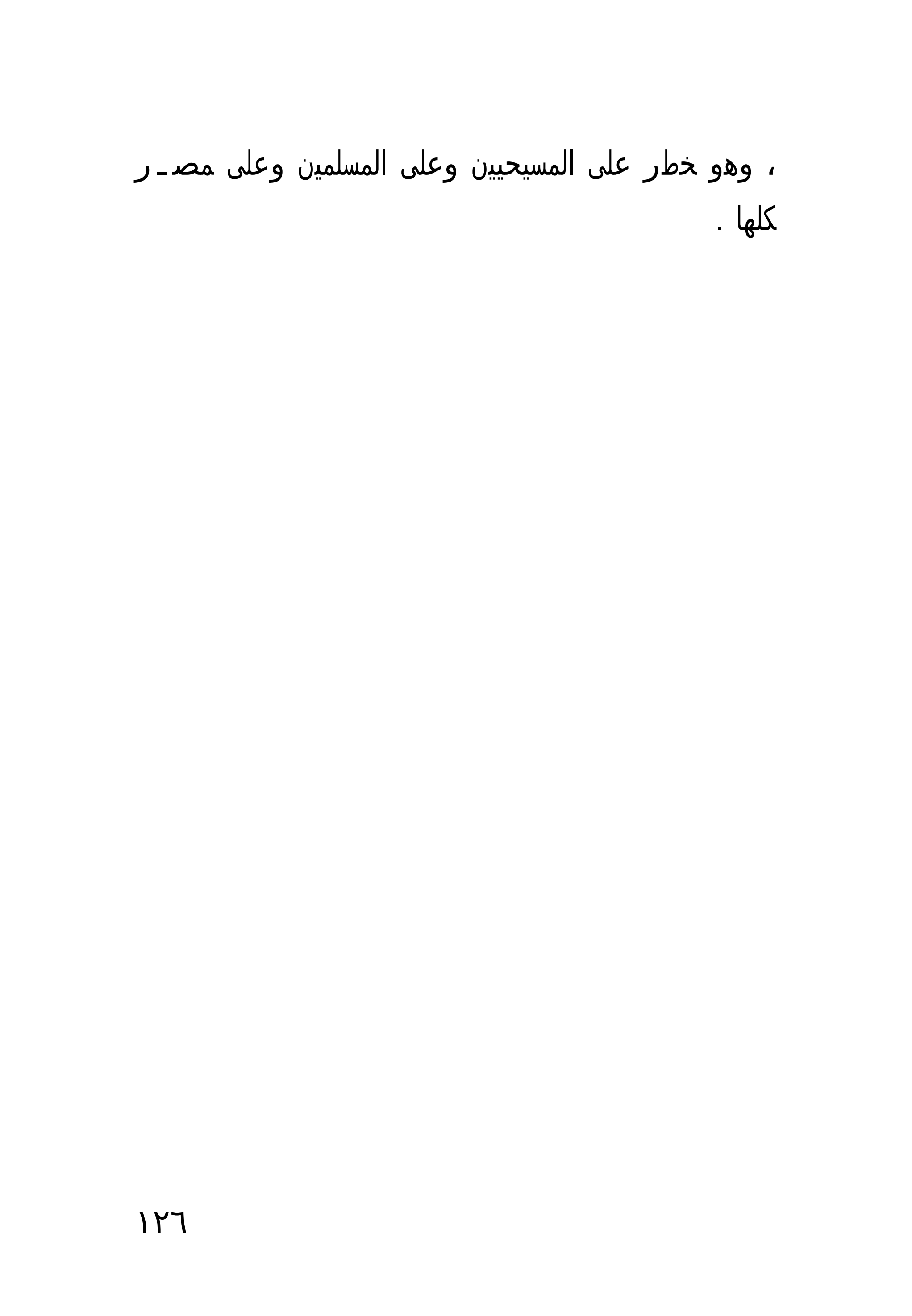
وكاهن " راعي كنيسة الكشح نموذجاً – باللجوء إلى الولايات المتحدة ومنظمة بيت الحريـة وإبلاغهـم ضـد مسـئولين مصريين في أحداث الكشح ، وهـو نـوع مـن الاسـتقواء بالأجنبي يترك أثره بالطبع على نفسية المسـلمين ويحـدث نوعاً من الاستفزاز يظل يتراكم حتى ينفجر فـي النهايـة ، ويعتمد هؤلاء على أن الحكومة المصـرية ضـعيفة أمـام الولايات المتحدة لأسباب سياسية واقتصادية ومن ثم يمكـن الضغط عليها والحصول منها على مكاسب سياسية وطائفية ، أضف إلى ذلك ممارسات ما يسمى بأقباط المهجر ، وأقل ما يقال فيها أنها مطالب تمثل نوعاً من الخيانة العظمى ، ومـع ذلك لم تتبرأ منهم الكنيسة ، ولم تصـدر قـرارات حرمـان بشأنهم ، وهكذا فإن التراكم والاستفزاز موجود ، وبديهي أن المسلمين ليسوا حجارة أو حديداً وكذلك فـإن الدولـة لـن تستطيع أن تظل مهزومة أمام الأقباط دائماً ، وكلها عوامـل يمكن أن تكون سبباً موضوعياً للفتنة الطائفية ، والصحيح أن الاعتماد على الأمريكان والاستقواء بهم خطـأ اسـتراتيجي تمارسه الكنيسة ،فلن يحمي المسيحيين المصريين إلا علاقتهم الطيبة بالمسلمين ، وتمسكهم بالمبادئ الوطنية وهناك الكثير



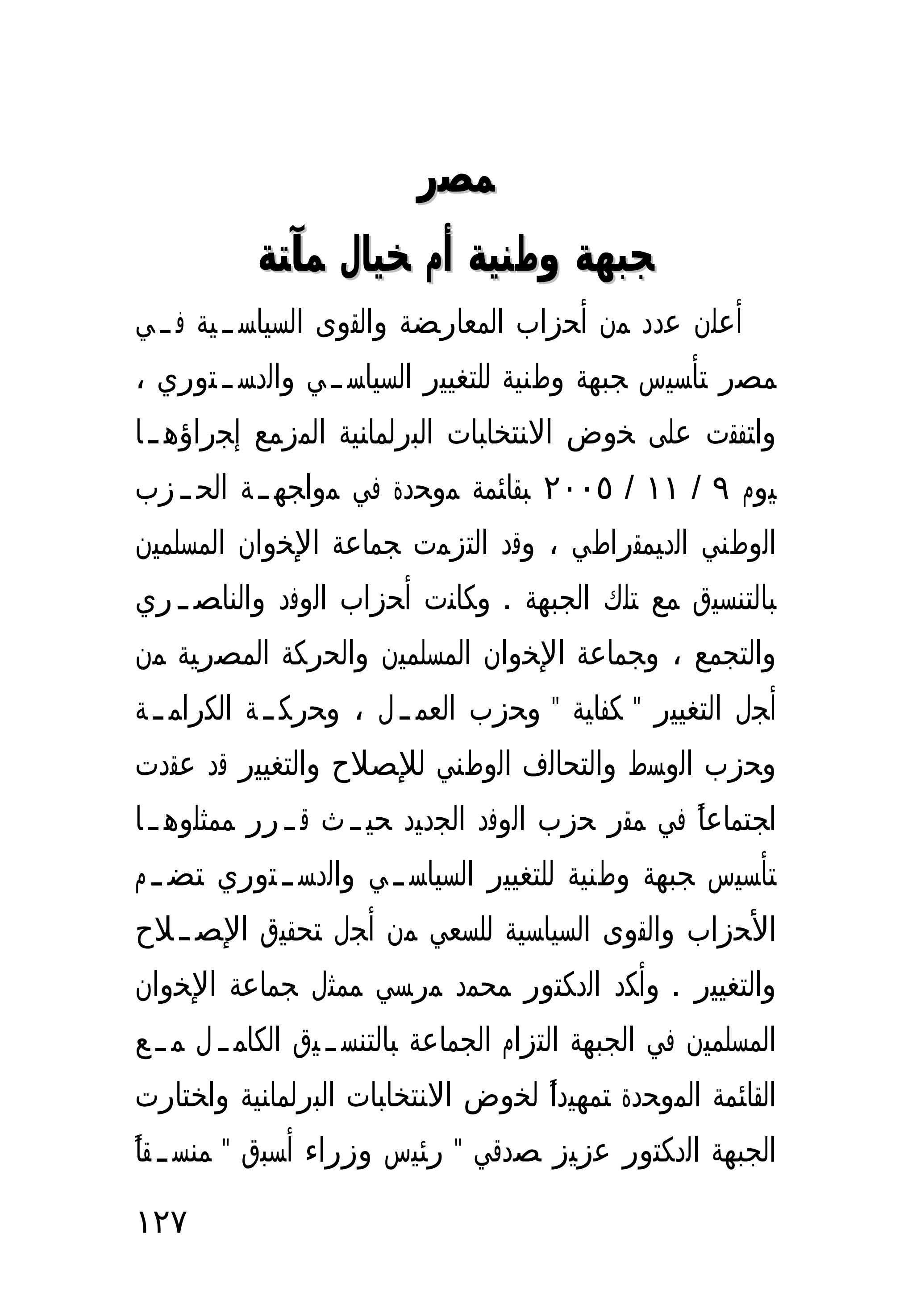
من عقلاء المسيحيين المصريين يقولون علناً أن البابا شنودة يقود المسيحيين إلى كارثة فأمريكا ليست قدراً دائمـاً ، وأن المسيحيين والمسلمين يجتمعون على قاعدة الانتماء للعروبـة والثقافة الإسلامية التي هي للمسلم ديناً وثقافة وللمسيحي ثقافة وحضارة وهو الأمر الذي عبـر عنـه الـزعيم المسـيحي المعروف مكرم عبيد حين قال أنا مسلم وطناً مسيحي ديناً ، وقد عبر عن نفس الأمر السياسي المسيحي المصري " منير فخري عبد النور – عضو مجلس الشعب عن حزب الوفـد " حين قال " أنا مسلم بالثقافة واللعب بالطائفية لا يخيل علـى المصريين " . جريدة الفجر ٢٤ / ١٠ / ٢٠٠٥ الصـفحة ٦ ويرى الأستاذ جمال أسعد – وهو مسـيحي أرثوذكسـي أن البابا شنودة يتصرف بطريقة خاطئة تضر بمصلحة الأقباط ، يقول جمال أسعد في جريدة الفجر عـدد ٢٤ / ١٠ / ٢٠٠٥ تحت عنوان " مسرحية الإسكندرية – ومسئولية البابا والدولة " " أن المسرحية التي عرضت تحت اسم " كنت أعمى والآن أبصر " هي بالفعل تهاجم الإسلام والمسلمين وتندد بـبعض سلوكيات رسول الإسلام وتفسر بعض الآيات بطريقة ملتوية ، وهذا لا يمت بصلة للمنهج والفكر المسيحي الحقيقي ، بـل



هي ممارسات طائفية شاذة ، وأن عرض تلك المسرحية في كنيسة " كنيسة مارجرجس بالإسكندرية تعني أن فكراً جديداً ومتغيراً داخل الكنيسة ، وأن ما يحدث فـي هـذه الكنيسـة وجميع كنائس القاهرة والإسكندرية هي مسئولية مباشرة للبابا شنودة شخصياً باعتباره أنه أسقف القاهرة والإسكندرية وهو مسئول عما يحدث فيها بشكل مباشر ، وأن الأسباب المباشرة تغير سلوك الكنيسة هو إعلان بوش أنه سيشعل حرباً صليبية ، وبعد التدخل الأمريكي المباشر من خلال الحملات التفتيشية على مصر من خلال التقـارير الأمريكيـة التـي ترصـد ممارسات ضد الأقباط – مزعومة – مـن خـلال تقـارير يرسلها بعض المسيحيين المصريين إلى ما يسـمى " بيـت الحرية الأمريكي " ويلمح جمال أسعد إلى أن زيادة الاستفزاز الكنسي ربما يتواكب مع مؤتمر الأقباط الذي سـينعقد فـي الكونجرس الأمريكي في شهر ديسـمبر ٢٠٠٥ . ويخلـص جمال أسعد إلى أن هناك شعور بالاستقواء لدى الأقبـاط لأن البابا دخل في عدة مواجهات مع الدولة وكسب منهـا نقاطـاً مهمة كان قمتها إجبار الدولة على تسليم وفاء قسـطنطين ، ولكن هذا الاستقواء كما يقول جمال أسعد هو استقواء كاذب



، وهو خطر على المسيحيين وعلى المسلمين وعلى مصـر كلها .

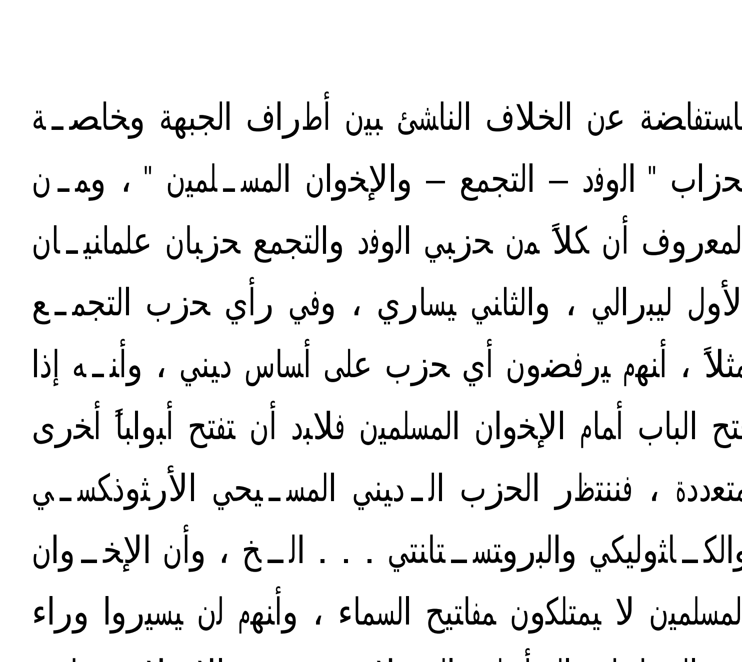


مصر

جبهة وطنية أم خيال مآتة

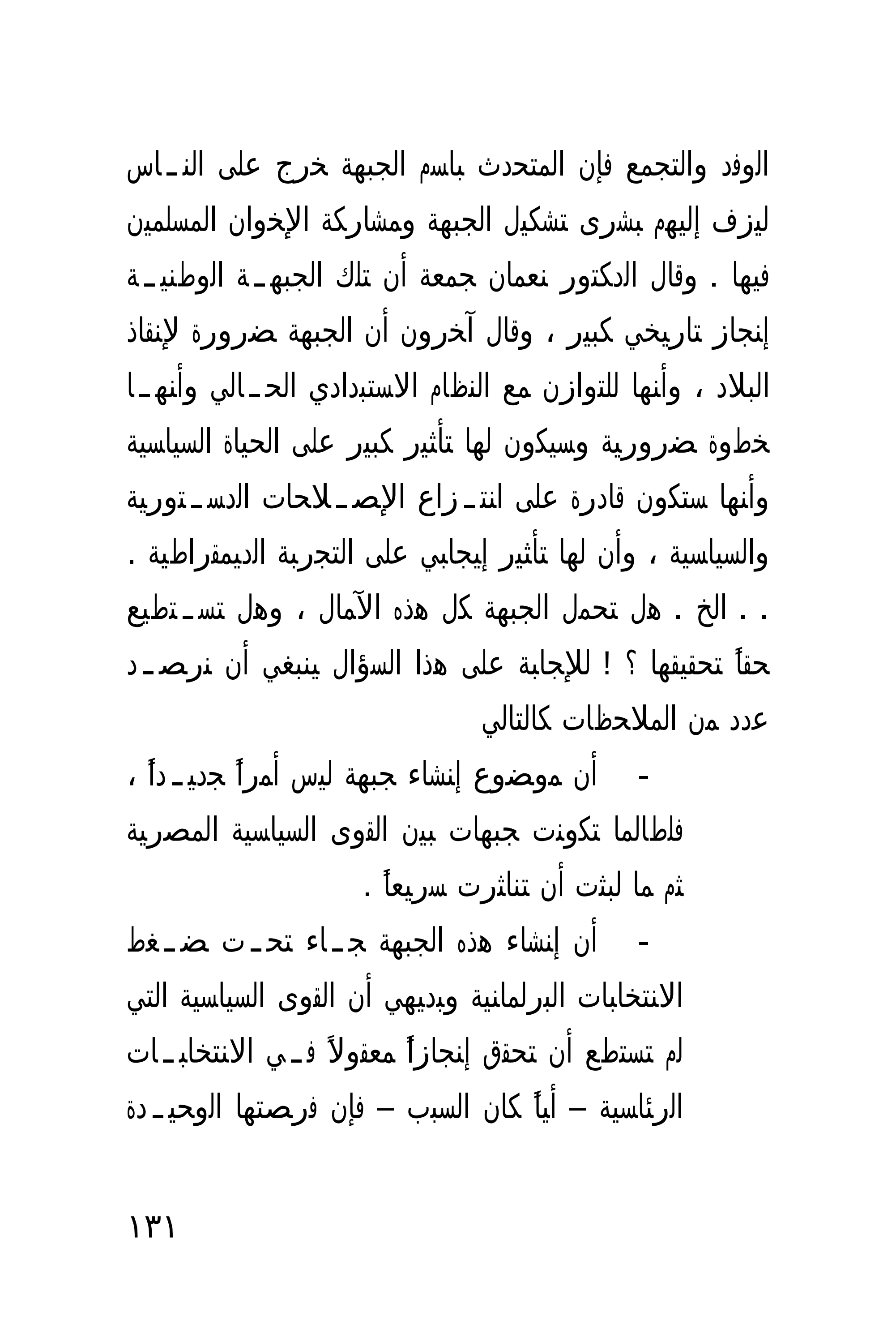
أعلن عدد من أحزاب المعارضة والقوى السياسـية فـي مصر تأسيس جبهة وطنية للتغيير السياسـي والدسـتوري ، واتفقت على خوض الانتخابات البرلمانية المزمع إجراؤهـا يوم ٩ / ١١ / ٢٠٠٥ بقائمة موحدة في مواجهـة الحـزب الوطني الديمقراطي ، وقد التزمت جماعة الإخوان المسلمين بالتنسيق مع تلك الجبهة . وكانت أحزاب الوفد والناصـري والتجمع ، وجماعة الإخوان المسلمين والحركة المصرية من أجل التغيير " كفاية " وحزب العمـل ، وحركـة الكرامـة وحزب الوسط والتحالف الوطني للإصلاح والتغيير قد عقدت اجتماعاً في مقر حزب الوفد الجديد حيـث قـرر ممثلوهـا تأسيس جبهة وطنية للتغيير السياسـي والدسـتوري تضـم الأحزاب والقوى السياسية للسعي من أجل تحقيق الإصـلاح والتغيير . وأكد الدكتور محمد مرسي ممثل جماعة الإخوان المسلمين في الجبهة التزام الجماعة بالتنسـيق الكامـل مـع القائمة الموحدة تمهيداً لخوض الانتخابات البرلمانية واختارت الجبهة الدكتور عزيز صدقي " رئيس وزراء أسبق " منسـقاً

عاماً لها والدكتور نعمان جمعة متحدثاً رسمياً " رئيس حزب الوفد الجديد " . كيف تم الوصول إلى هذه الصيغة ، وهـل هي جبهة حقيقية أم مجرد نوع من الهروب إلـى الأمـام ، وكيف ولماذا تردد الإخوان المسلمون فـي الانضـمام إلـى الجبهة ثم انضموا إليها ، وما هي المياه التي جـرت تحـت الجسر وصولاً إلى تلك الصيغة ، وهل احترمت الأطـراف فعلاً تلك الصيغة وسوف تحترمها . هـذه وغيرهـا أسـئلة مطروحة بقوة على الساحة المصرية بعد الإعلان عن تلـك الجبهة . الإعلان عن الجبهة جاء مفاجأة للكثيرين ، حيث أن الأخبار الأولى كانت قد تسربت بالفعل ليلة إعلان الجبهـة " ٥ رمضـان ١٤٢٦ هـ ـ ، ٨ أكتـوبر ٢٠٠٥ مـ ـ " أن المفاوضات قد فشلت مع جماعة الإخوان المسلمين للانضمام إلى تلك الجبهة ، بل إن صحفاً حزبية ومستقلة " مثل صحيفة العربي الناطقة بلسان الحزب الناصري ، وصحيفة الأسبوع المستقلة والتي يشارك رموزها في تلك الجبهة " ، كانتا قـد صدرتا في اليوم التالي أي يوم ٨ أكتوبر تحمل مانشيتات من نوع " هل يعطل الإخوان قيام الجبهة المعارضة ، والفرصة التاريخية الضائعة وغيرهـا " ، وتحـدثت تلـك الصـحف



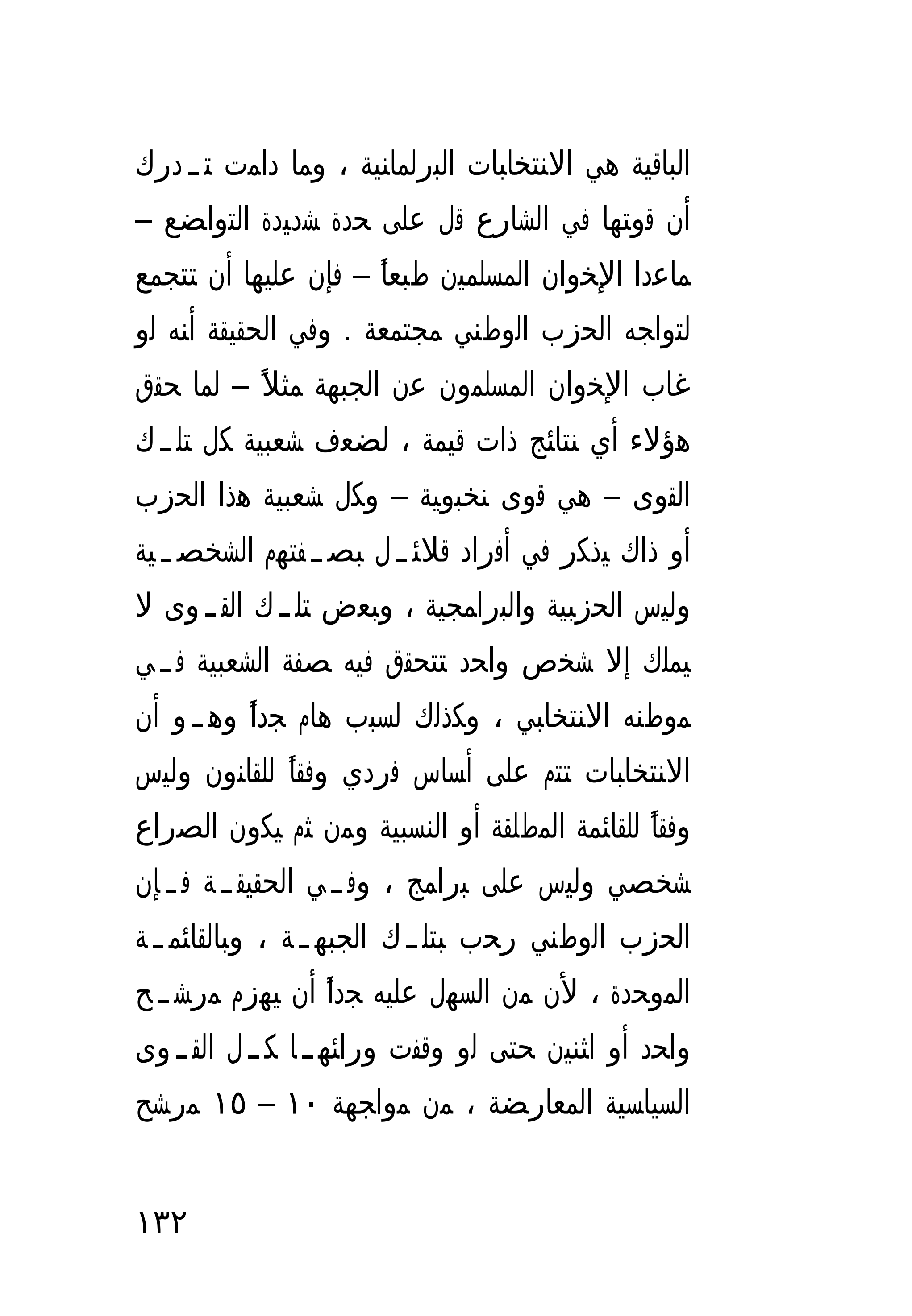
باستفاضة عن الخلاف الناشئ بين أطراف الجبهة وخاصة أحزاب " الوفد – التجمع – والإخوان المسلمين " ، ومن المعروف أن كلاً من حزبي الوفد والتجمع حزبان علمانيان الأول ليبرالي ، والثاني يساري ، وفي رأي حزب التجمع مثلاً ، أنهم يرفضون أي حزب على أساس ديني ، وأنه إذا فتح الباب أمام الإخوان المسلمين فلابد أن تفتح أبواباً أخرى متعددة ، فننتظر الحزب الديني المسيحي الأرثوذكسي والكاثوليكي والبروتستانتي . . . الخ ، وأن الإخوان المسلمين لا يمتلكون مفاتيح السماء ، وأنهم لن يسيروا وراء هذه الجماعات المتأسلمة التي لا تعرف عند الاختلاف مفاهيم الصح والخطأ ولكن مفردات الحلال والحرام وهي مفردات تسبب الصدام بالضرورة حتى بين أطراف تلك الجماعات ذاتها ، وأن من الضروري أن ينشأ الحزب على أساس وطني وليس على تنظيم دولي " يقصد الدكتور رفعت السعيد المتحدث بلسان حزب التجمع التنظيم الدولي للإخوان المسلمين " . " ونفس الآراء تقريباً طرحها أكثر من مرة الدكتور نعمان جمعة رئيس حزب الوفد خاصة إبان خوض معركة الرئاسة في مصر ضد الرئيس حسني مبارك وقد نال

فيها أقل من ٤ % من أصوات الناخبين " . وبصرف النظر عن الرأي في جماعة الإخوان المسلمين ، فإن ما يقوله الوفد والتجمع غير صحيح ، فالإخوان مثلاً لا يعتبـرون أنفسـهم جماعة المسلمين ، بل جماعة من المسلمين لهـا أطروحـة سياسية وبرنامج فيه الخطأ والصواب ويمكن مناقشـة ذلـك وتطويره أو التخلي عن أجزاء منه ، ومن ناحية ثانية فـإن الحديث عن حزب مسيحي فهو موجود بالفعل ويترأسه البابا شنودة بطريرك الكرازة المرقسية شخصـياً ، وقـد دخلـت الكنيسة في مفاوضات سياسية مع الدولة أكثر من مرة ، وكذا فإن الكنيسة أعلنت مثلاً تأييدها لانتخاب الرئيس المصـري حسني مبارك إبان الانتخابات الرئاسية الأخيرة . وكذلك فإن من المعروف أن هناك أحزاباً مسيحية في إيطاليـا وألمانيـا حكمت البلاد كثيراً ، بل في الولايات المتحدة الأمريكية فإن اليمين الديني واليمين المحافظ هم الذين يحكمـون الولايـات المتحدة إلى اليوم ومنذ عدة سنوات ، وفي الهند كذلك هنـاك حزب ديني متطرف يدخل الانتخابات ويفوز أحيانـاً أمـام حزب المؤتمر العلماني ولـم يعتبـر أحـد ذلـك مخالفـة للديمقراطية المزعومة . ورغم هذه الاعتراضات التي يراها



الوفد والتجمع فإن المتحدث باسم الجبهة خرج على النـاس ليزف إليهم بشرى تشكيل الجبهة ومشاركة الإخوان المسلمين فيها . وقال الدكتور نعمان جمعة أن تلك الجبهـة الوطنيـة إنجاز تاريخي كبير ، وقال آخرون أن الجبهة ضرورة لإنقاذ البلاد ، وأنها للتوازن مع النظام الاستبدادي الحـالي وأنهـا خطوة ضرورية وسيكون لها تأثير كبير على الحياة السياسية وأنها ستكون قادرة على انتـزاع الإصـلاحات الدسـتورية والسياسية ، وأن لها تأثير إيجابي على التجربة الديمقراطية . . . الخ . هل تحمل الجبهة كل هذه الآمال ، وهل تسـتطيع حقاً تحقيقها ؟ ! للإجابة على هذا السؤال ينبغي أن نرصـد عدد من الملاحظات كالتالي

- أن موضوع إنشاء جبهة ليس أمراً جديـداً ، فلطالما تكونت جبهات بين القوى السياسية المصرية ثم ما لبثت أن تناثرت سريعاً .
- أن إنشاء هذه الجبهة جـاء تحـت ضـغط الانتخابات البرلمانية وبديهي أن القوى السياسية التي لم تستطع أن تحقق إنجازاً معقولاً فـي الانتخابـات الرئاسية – أياً كان السبب – فإن فرصتها الوحيـدة



الباقية هي الانتخابات البرلمانية ، وما دامت تـدرك أن قوتها في الشارع قل على حدة شديدة التواضع – ماعدا الإخوان المسلمين طبعاً – فإن عليها أن تتجمع لتواجه الحزب الوطني مجتمعة . وفي الحقيقة أنه لو غاب الإخوان المسلمون عن الجبهة مثلاً – لما حقق هؤلاء أي نتائج ذات قيمة ، لضعف شعبية كل تلـك القوى – هي قوى نخبوية – وكل شعبية هذا الحزب أو ذاك يذكر في أفراد قلائـل بصـفتهم الشخصـية وليس الحزبية والبرامجية ، وبعض تلـك القـوى لا يملك إلا شخص واحد تتحقق فيه صفة الشعبية فـي موطنه الانتخابي ، وكذلك لسبب هام جداً وهـو أن الانتخابات تتم على أساس فردي وفقاً للقانون وليس وفقاً للقائمة المطلقة أو النسبية ومن ثم يكون الصراع شخصي وليس على برامج ، وفـي الحقيقـة فـإن الحزب الوطني رحب بتلـك الجبهـة ، وبالقائمـة الموحدة ، لأن من السهل عليه جداً أن يهزم مرشـح واحد أو اثنين حتى لو وقفت ورائهـا كـل القـوى السياسية المعارضة ، من مواجهة ١٠ – ١٥ مرشح

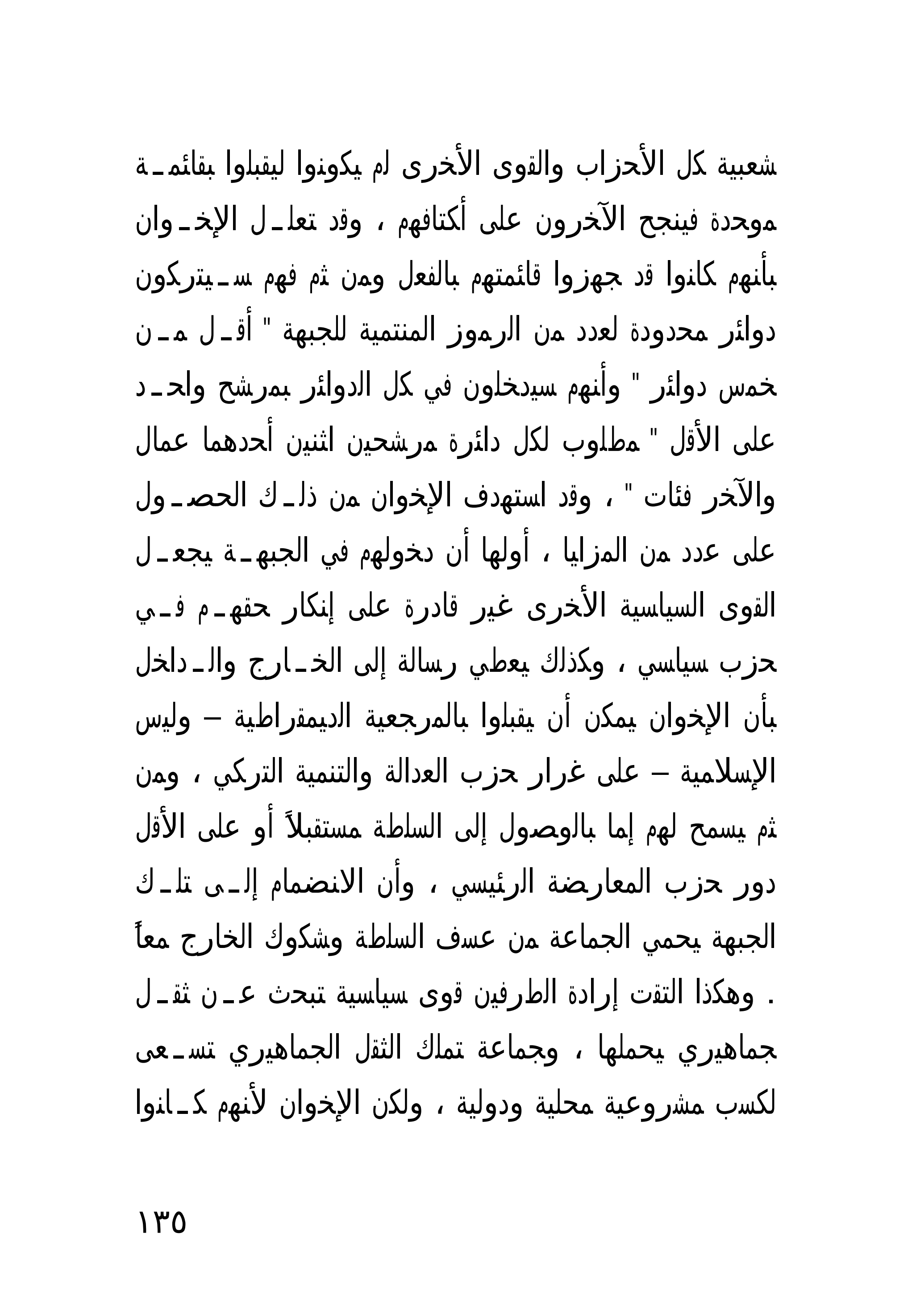
يختلط فيهم الحابل بالنابل وتصبح المعادلات العائلية والقبلية والمناطقية أكثر تعقيداً .

- تتكون تلك الجبهة من عدد مـن الأحـزاب السياسية الشرعية وفقاً للقانون مثل الوفد والناصري والتجمع ، وهذه لا يجمع بينها شيء سوى رخصـة التواجد العلني والقانوني فهناك خلاف كبيـر جـداً وجوهري في البرامج والإنكار بين الوفد الليبرالي ، والتجمع اليساري ، والحزب الناصـري ذو العـداء التاريخي مع الوفد مثلاً ! ! . وكذا انضم إلى تلـك الجبهة حزب العمل " المجمد " وهو حزب يميل إلى المرجعية الإسلامية وكان قد تم تجميد نشاطه منـذ عدة سنوات عقب معركة رواية " وليمـة لأعشـاب البحر " ، وكذا حركة الكرامـة " ناصـرية تحـت التأسيس " وحزب الوسط " انشقاق علـى الإخـوان المسلمين " تحت التأسيس " " وحركة كفايـة التـي نشأت على قاعدة معارضة إعادة ترشـيح الـرئيس حسني مبارك وتضم رموز من مختلـف الأحـزاب والاتجاهات وتريد أن تبحث عن دور بعـد انتهـاء

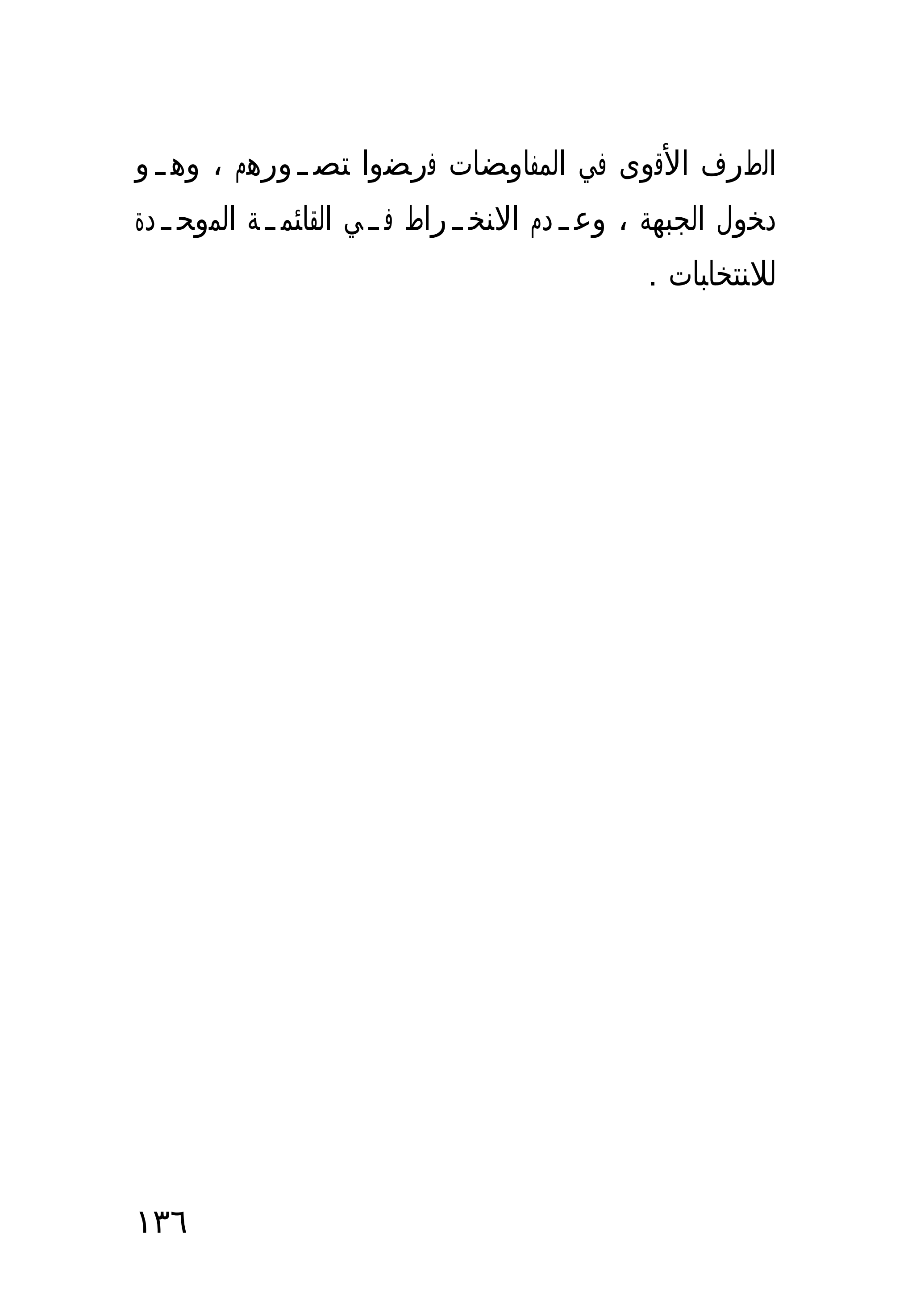
الدور الذي قامت من أجله ، كل هذه القوى الحزبية المشروعة ، أو تحت التأسيس أو الحركـات تتميـز بالنخبوية وانعدام الامتداد السياسي والتنظيمـي لهـا خارج مقراتها ، وليس هناك في تلك القوى حركـة ذات شعبية ما عدا جماعة الإخوان المسلمين ، ولعل هذا هو السبب الحقيقي وراء ابتلاع الأحزاب والقوى الرافضة للإخوان لسانها وقبول دخول الإخوان إلـى الجبهة بأي ثمن وفي الحقيقة فـإن شـكل وطريقـة دخول الإخوان يستحق قدراً من التأمل .

الإخوان على هامش الجبهة

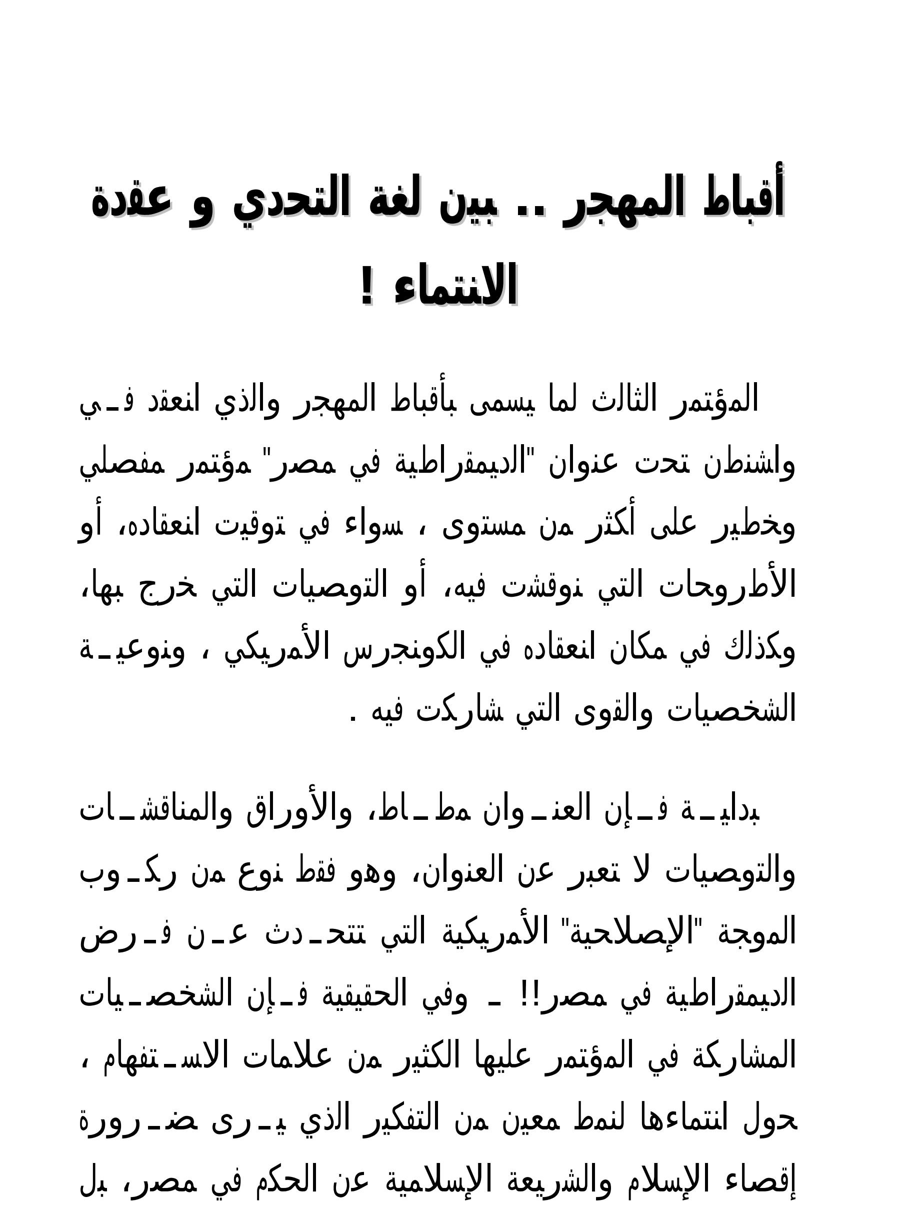
يمكن لأي مراقب غير دقيـق أن يتصـور أن الإخـوان المسلمين قد دخلوا بالفعل في الجبهـة ، ولكـن الحقيقـة أن الإخوان قبلوا الدخول على هامش الجبهة لا أكثـر ولا أقـل فالإخوان أعلنوا الانضمام إلى الجبهة ولكنهم تمسكوا بشـرط عدم الانخراط في القائمـة الموحـدة للانتخابـات ، وأنهـم سيخوضون الانتخابات وفقاً لقائمتهم التي كانوا قد أعدوها من فترة طويلة وجهزوا لهـا الإمكانيـات والدعايـة ومسـرح الأحداث ، ومن البديهي أن الإخوان الذين يدركون ضـعف



شعبية كل الأحزاب والقوى الأخرى لم يكونوا ليقبلوا بقائمـة موحدة فينجح الآخرون على أكتافهم ، وقد تعلـل الإخـوان بأنهم كانوا قد جهزوا قائمتهم بالفعل ومن ثم فهم سـيتركون دوائر محدودة لعدد من الرموز المنتمية للجبهة " أقـل مـن خمس دوائر " وأنهم سيدخلون في كل الدوائر بمرشح واحـد على الأقل " مطلوب لكل دائرة مرشحين اثنين أحدهما عمال والآخر فئات " ، وقد استهدف الإخوان من ذلـك الحصـول على عدد من المزايا ، أولها أن دخولهم في الجبهـة يجعـل القوى السياسية الأخرى غير قادرة على إنكار حقهـم فـي حزب سياسي ، وكذلك يعطي رسالة إلى الخـارج والـداخل بأن الإخوان يمكن أن يقبلوا بالمرجعية الديمقراطية – وليس الإسلامية – على غرار حزب العدالة والتنمية التركي ، ومن ثم يسمح لهم إما بالوصول إلى السلطة مستقبلاً أو على الأقل دور حزب المعارضة الرئيسي ، وأن الانضمام إلـى تلـك الجبهة يحمي الجماعة من عسف السلطة وشكوك الخارج معاً . وهكذا التقت إرادة الطرفين قوى سياسية تبحث عـن ثقـل جماهيري يحملها ، وجماعة تملك الثقل الجماهيري تسـعى لكسب مشروعية محلية ودولية ، ولكن الإخوان لأنهم كـانوا



الطرف الأقوى في المفاوضات فرضوا تصـورهم ، وهـو دخول الجبهة ، وعـدم الانخـراط فـي القائمـة الموحـدة للانتخابات .



أقباط المهجر .. بين لغة التحدي و عقدة الانتماء !

المؤتمر الثالث لما يسمى بأقباط المهجر والذي انعقد في واشنطن تحت عنوان "الديمقراطية في مصر" مؤتمر مفصلي وخطير على أكثر من مستوى ، سواء في توقيت انعقاده، أو الأطروحات التي نوقشت فيه، أو التوصيات التي خرج بها، وكذلك في مكان انعقاده في الكونجرس الأمريكي ، ونوعية الشخصيات والقوى التي شاركت فيه .

بداية فإن العنوان مطاط، والأوراق والمناقشات والتوصيات لا تعبر عن العنوان، وهو فقط نوع من ركوب الموجة "الإصلاحية" الأمريكية التي تتحدث عن فرض الديمقراطية في مصر!! - وفي الحقيقية فإن الشخصيات المشاركة في المؤتمر عليها الكثير من علامات الاستفهام ، حول انتماءها لنمط معين من التفكير الذي يرى ضرورة إقصاء الإسلام والشريعة الإسلامية عن الحكم في مصر، بل اعتبر بعض الأقباط - في داخل مصر وخارجها بالتزامن

مع المؤتمر - ضرورة إقصاء الإخوان المسلمين عن العملية السياسية، باعتبار ذلك خطا أحمر، وإلا فالبديل هـو تـرك المسيحيين لمصر (الدكتور ميلاد حنا في جريـدة العربـي المصرية ٢١ /١١ / ٢٠٠٥) وإذا كان الأمر كذلك فالعنوان الصحيح للمؤتمر هو تحدي المسلمين والتحذير منهم . فهـذه الشخصيات هي من نمط فكري يرى العلمانية هـي الحـل الأمثل، ويعادي المشروع الإسلامي جملة وتفصيلاً . والأكثر خطورة أن الشخصيات التي ارتبطت بهـذا المـؤتمر لهـا علاقات مشبوهة بدوائر صـهيونية وأمريكيـة معروفـة .
بدأ نشاط ما يسمى بأقباط المهجر منذ عام ١٩٨٠ ، وتزامن هذا مع صدام البابا شنودة مع الرئيس الراحل أنور السادات، وكان هؤلاء عادة يتحركون سياسياً في واشنطن وغيرها من العواصم ، في كل مرة يزور فيها رئيس مصري الولايـات المتحدة، ويستخدمون صفحات إعلانية في الصحف الأمريكية لإحراج الرئيس المصري، والمؤتمر القبطي الأول عقد فـي ٣١ مايو ١٩٨٠ وكان تحت عنوان "المؤتمر القبطي العـام"، وعقدت بعد ذلك مؤتمرات في أكثر من مكان ، كان آخرهـا المؤتمر الذي انعقد العام الماضي في زيورخ بسويسرا، وقد

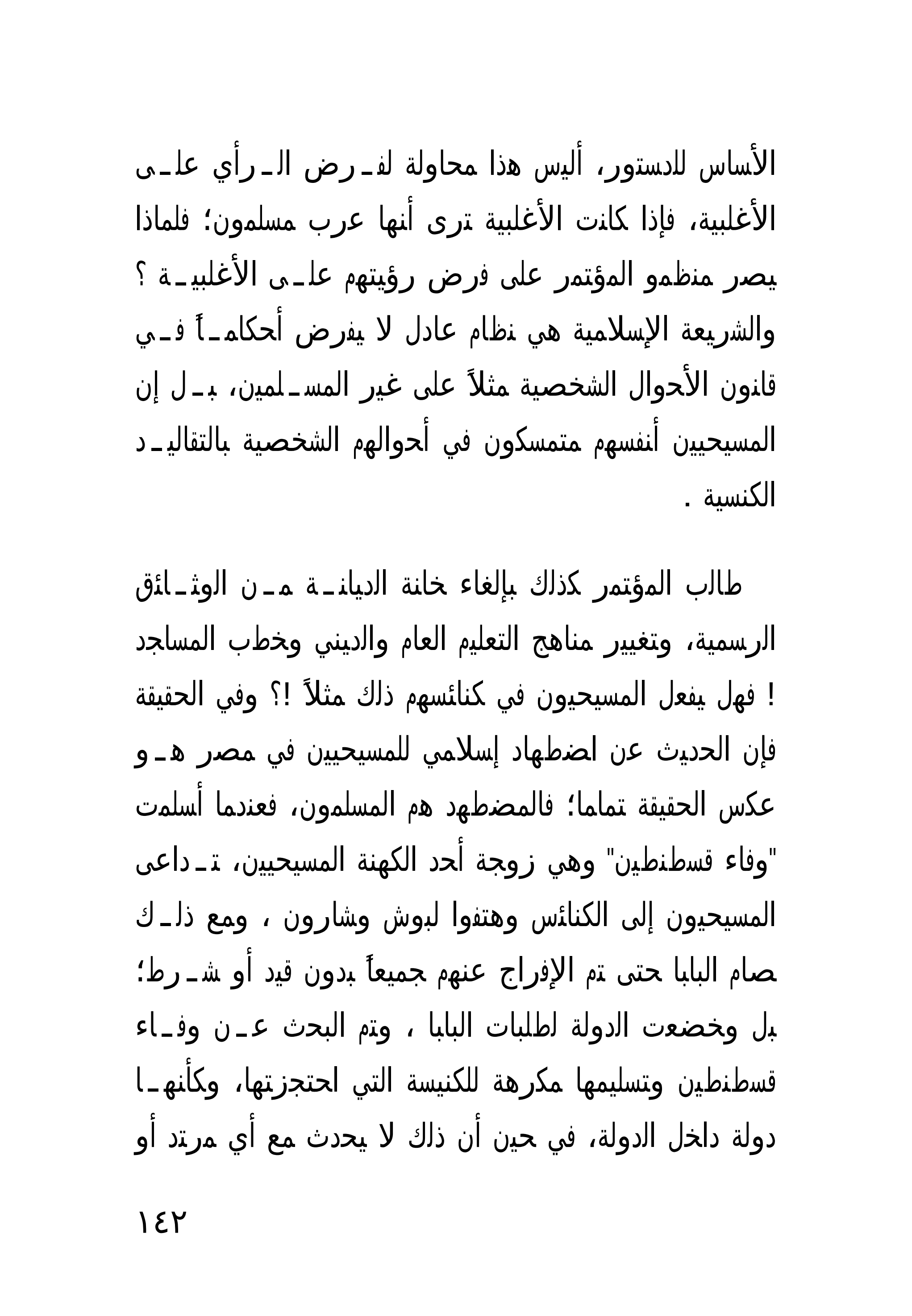
كان الصـهيوني المتطـرف "دانيـال بـايبس" علـى رأس المشاركين فيه، وبالتالي فهناك علاقات معروفة بالصهيونية، وعلاقات بمنظمة التضامن المسيحية الدولية التـي تترأسـها البارونة كوكس نائبة رئيس مجلس اللـوردات البريطـاني ، وهي ناشطة تنصيرية شهيرة ، قامت بدور معروف في دعم المتمردين في جنوب السودان!! . وكذلك هناك علاقات ودعم واضح من الإدارة الأمريكية التي أرسلت رسالة تأييـد إلـى المؤتمر الأخير في أول أيام انعقـاده! تنطلـق أطروحـات ومطالب أقباط المهجر، من أن " مصر دولة مسيحية دخلهـا الاستعمار الإسلامي، ومن ثم يجـب تحريـر مصـر مـن المسلمين وإعادتها إلى أهلها الأصـليين " والحـديث عـن اضطهاد للمسيحيين ، ومطالب حول نسبة معينة في الوظائف ...الخ وكلها طلبات غير معقولة طبعاً، ولكـن الغريـب أن ارتفاع نبرة الأطروحات لا تقابل بإدانة الكنيسـة المصـرية التي تتخذ موقفاً غامضاً تجاهها، بهدف الاستفادة منهـا فـي الضغط على النظام المصري لتحقيـق بعـض المكاسـب . المؤتمر الأخير الذي انعقد في واشنطن الأسـبوع الماضـي جاء ليعبر عن مدى ما وصـل إليـه الاسـتفزاز القبطـي

للمسلمين في مصر، فالمتحدثون في المؤتمر، وخاصة "هاليز شتو كالبرجر" رئيس حملة التضامن من المسيحيين والرئيس المشارك للمؤتمر ادعى أن الكنائس تحرق بمصـر، ويـتم هدمها وإقامة مساجد بدلاً منها، وأن هناك عمليـات تطهيـر عرقي وقتل بالآلاف للمسيحيين في مصـر!!، وأن البنـات المسيحيات يخطفن ويجبرن على الزواج من رجال مسلمين ، ويتم إدخالهن في الإسلام عنوة، وأن قلبه يدمع بسبب ذلـك. ونلاحظ هنا أن هذا الكلام لم يقله المتحـدثون المسـيحيون المصريون في المؤتمر أنفسهم ، لأنهم يعرفـون طبعـاً أن الكذبة هنا مفضوحة تماما ويصـعب ابتلاعهـا وتسـويقها خارجيا !! وبديهي أن الرجل لم يقل لنا أسماء تلك الكنـائس التي أحرقت أو هدمت .. وأين تم ذلك ؟ أو حـوادث القتـل الجماعي المزعومة.. مكانها وزمانها، أو أسـماء الفتيـات اللاتي أجبرن على الزواج بمسلمين .. وغيرها من الأكاذيب المكشوفة .

وهكذا فإن المؤتمر كان نوعاً من التهريج الإعلامي، الذي تعرف الأجهزة الأمريكية حقيقته، ومـع ذلـك فـإن الإدارة الأمريكية أرسلت برقية تأييد للمؤتمر، ربما ليس تصديقاً لتلك

المزاعم، ولكن لاستخدام هذا الموضوع كورقة ضغط علـى الحكومة المصرية ، لتنصاع أكثر للسياسة الأمريكية، وكذلك استخدام هؤلاء الأقباط المتطـرفين كنـوع مـن "التحـالف الشمالي" أو جـزء مـن حـزب أمريكـا فـي مصـر!! . والغريب أن تلك الأكاذيب لم يصدر بيان بتكذيبها من الكنيسة المصرية، وكأنها لم تسمع ولم تر!! .

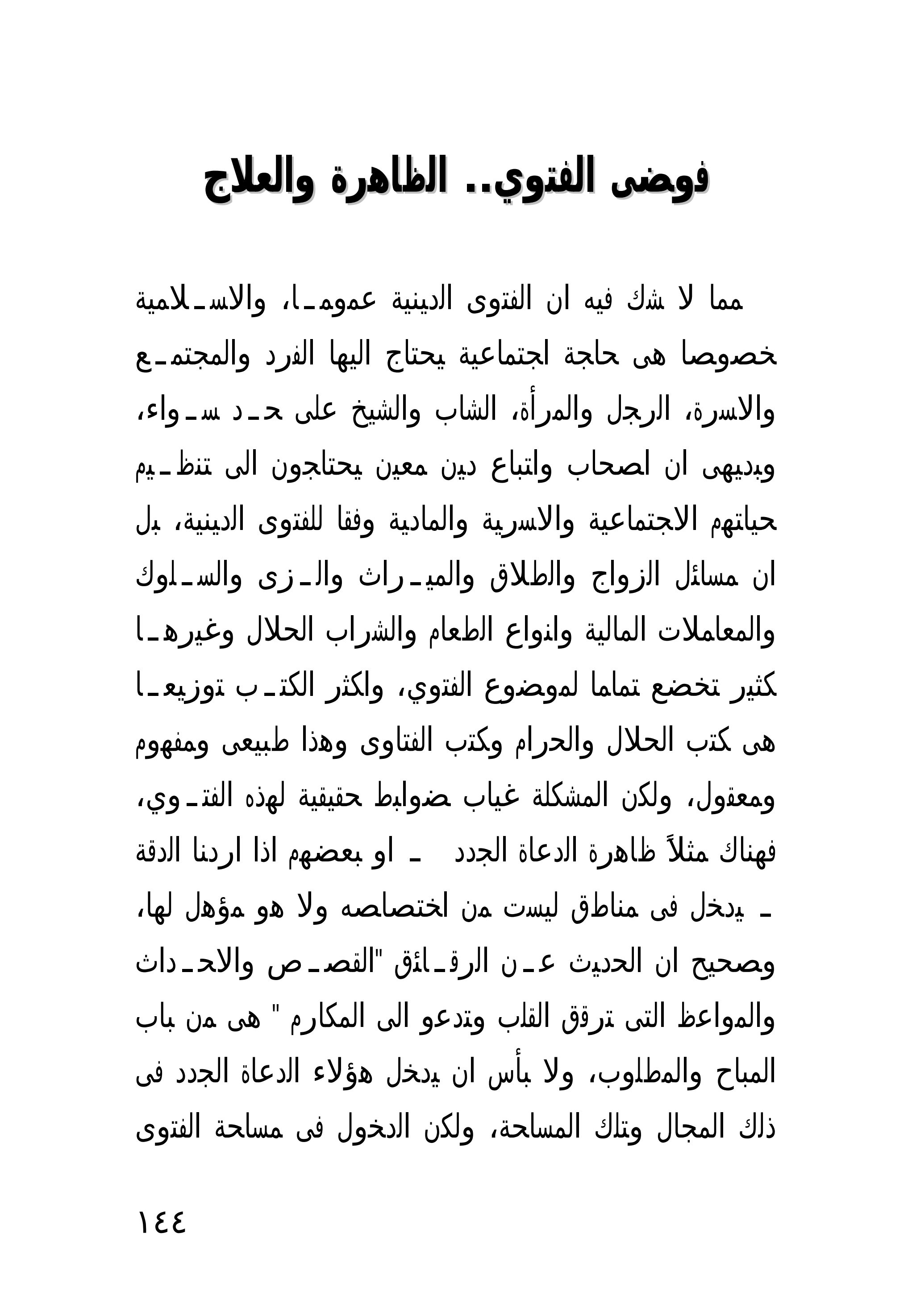
توصيات المؤتمر كانت عجيبة وتحتوي على قدر أكبـر من الأكاذيب، فهم يطالبون مثلاً بتخصيص نسبة ١٥ % من الوظائف الكبرى للمسيحيين ، على أساس أن نسبتهم العددية تبلغ ١٥ % ـ وهذا كذب فالنسبة الحقيقية لغير المسلمين في مصر هي ٦ % و٩٤ % مسلمون وهذه الـ ـ ٦ % فيهـا المسيحي واليهـودي والبهـائي، وفيهـا أيضـاً المسـيحي الأرثوذوكسـ ـ ـي والبروتسـ ـ ـتانتي والكـ ـ ـاثوليكي!! من المطالب أيضاً ما يتعارض مع المطلب السـابق، حيـث طالب المؤتمر بإقامة نظام علماني في مصر، فهـل يتفـق النظام العلماني مثلاً مع مسألة المحاصصة في المناصـب !؟ طالب المؤتمر كذلك بإلغاء مواد الدستور التي تقول إن مصر دولة عربية إسلامية، وأن الشريعة الإسلامية هي المصـدر



الأساس للدستور، أليس هذا محاولة لفـرض الـرأي علـى الأغلبية، فإذا كانت الأغلبية ترى أنها عرب مسلمون؛ فلماذا يصر منظمو المؤتمر على فرض رؤيتهم علـى الأغلبيـة ؟ والشريعة الإسلامية هي نظام عادل لا يفرض أحكامـاً فـي قانون الأحوال الشخصية مثلاً على غير المسـلمين، بـل إن المسيحيين أنفسهم متمسكون في أحوالهم الشخصية بالتقاليـد الكنسية .

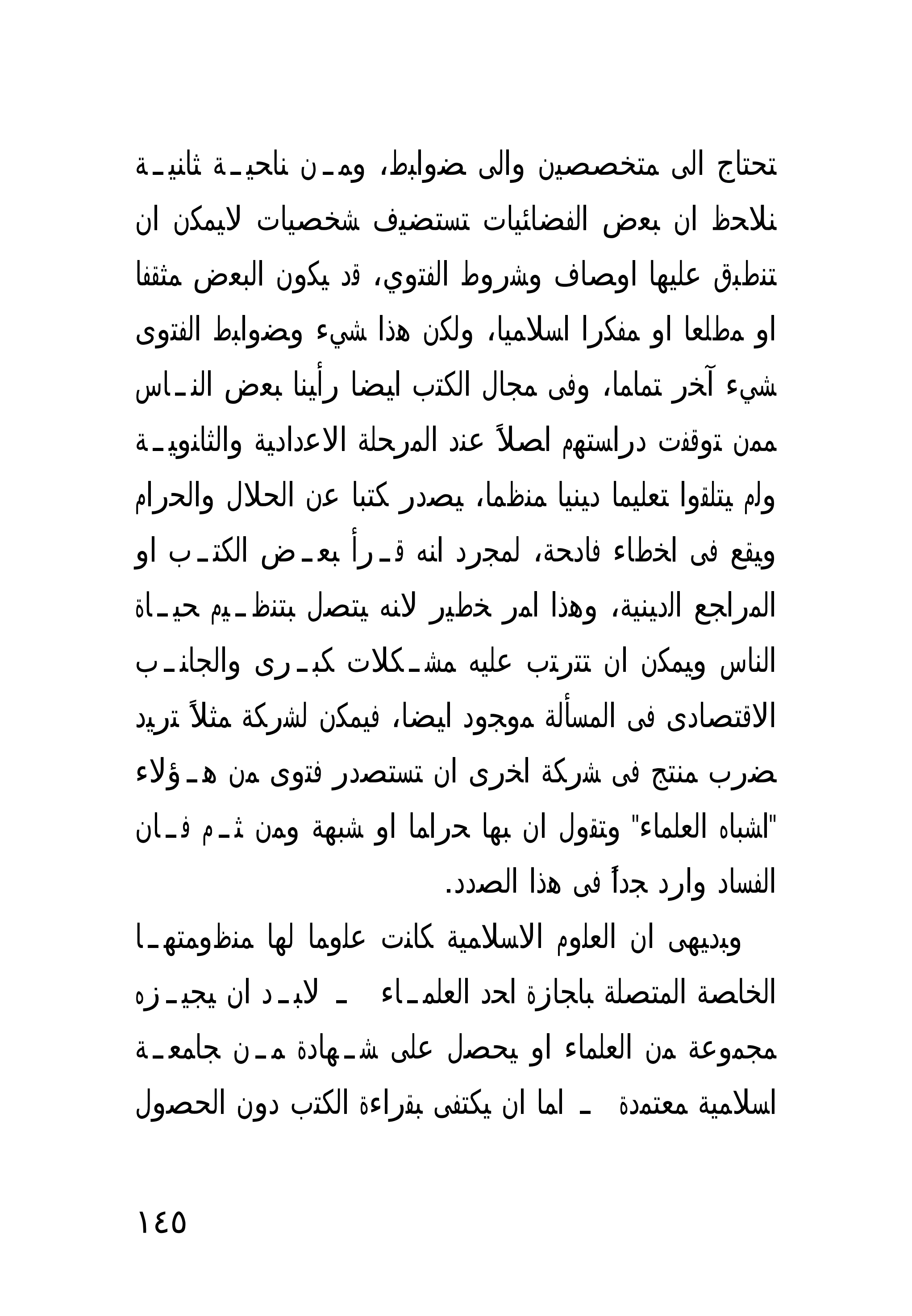
طالب المؤتمر كذلك بإلغاء خانة الديانـة مـن الوثـائق الرسمية، وتغيير مناهج التعليم العام والديني وخطب المساجد ! فهل يفعل المسيحيون في كنائسهم ذلك مثلاً !؟ وفي الحقيقة فإن الحديث عن اضطهاد إسلامي للمسيحيين في مصر هـو عكس الحقيقة تماما؛ فالمضطهد هم المسلمون، فعندما أسلمت "وفاء قسطنطين" وهي زوجة أحد الكهنة المسيحيين، تـداعى المسيحيون إلى الكنائس وهتفوا لبوش وشارون ، ومع ذلـك صام البابا حتى تم الإفراج عنهم جميعاً بدون قيد أو شـرط؛ بل وخضعت الدولة لطلبات البابا ، وتم البحث عـن وفـاء قسطنطين وتسليمها مكرهة للكنيسة التي احتجزتها، وكأنهـا دولة داخل الدولة، في حين أن ذلك لا يحدث مع أي مرتد أو

مرتدة عن الإسلام، ورغم أن ذلك يتعارض مع حرية العقيدة التي يتشدق بها العلمانيون الذين باتوا لا يعتبرون شيئاً مقدساً إلا البابا والكنيسة! وعندما ظهرت مسرحية من إنتاج الكنيسة ، وفيها سخرية وتطاول علـى القـرآن الكـريم والرمـوز الإسلامية ، واحتج أهالي الإسكندرية عليها ، كان الضـحايا ثلاثة من المسلمين، والمعتقلين مسلمين كـذلك ، ولـم يـتم الإفراج عنهم، ورفض البابا تماماً أن يعتذر عن ذلك ..فمـن يضطهد من ؟ ذلك هو السؤال ..!!



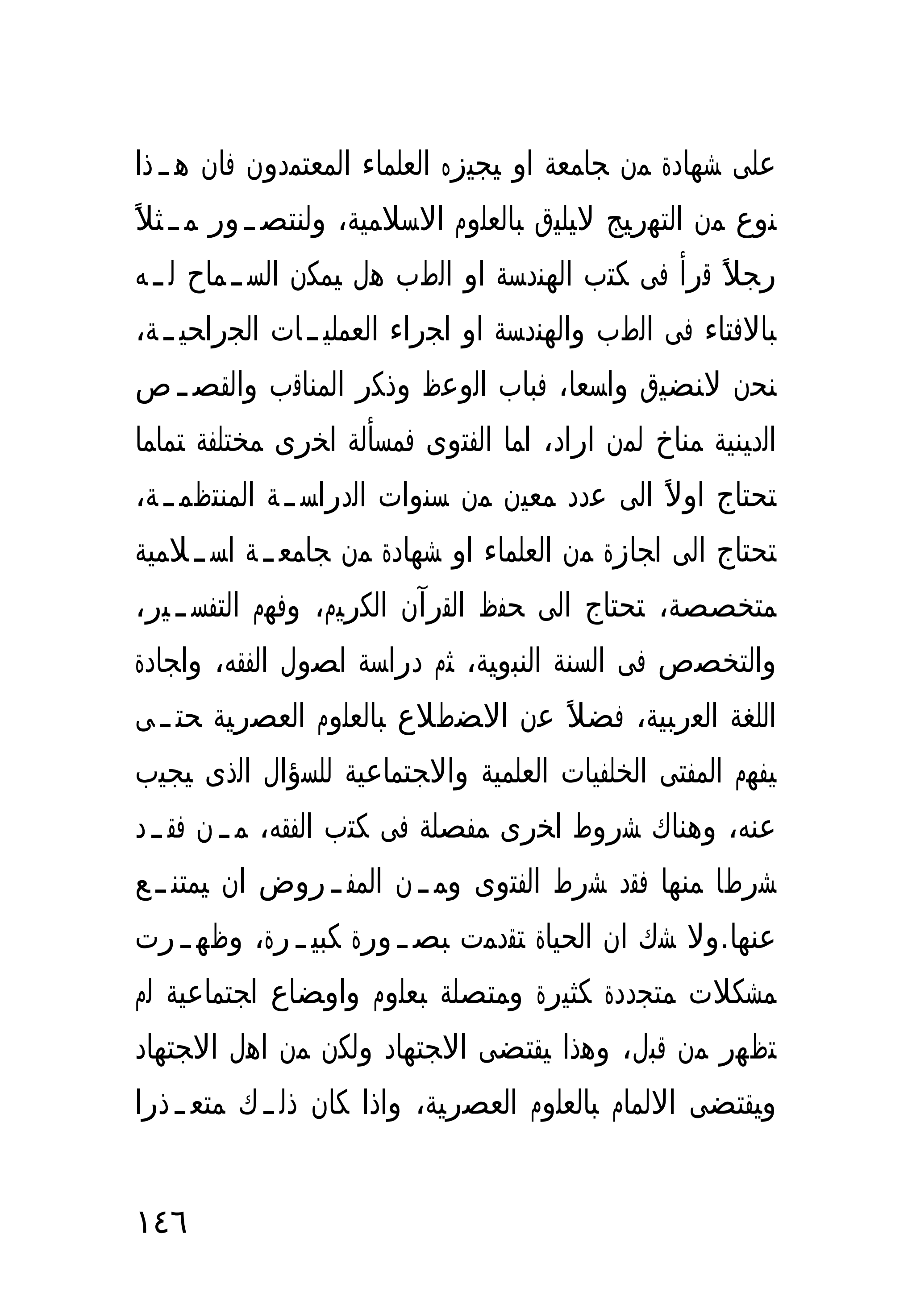
فوضى الفتوي.. الظاهرة والعلاج

مما لا شك فيه ان الفتوى الدينية عموماً، والاسلامية خصوصا هى حاجة اجتماعية يحتاج اليها الفرد والمجتمع والاسرة، الرجل والمرأة، الشاب والشيخ على حد سواء، وبديهى ان اصحاب واتباع دين معين يحتاجون الى تنظيم حياتهم الاجتماعية والاسرية والمادية وفقا للفتوى الدينية، بل ان مسائل الزواج والطلاق والميراث والزى والسلوك والمعاملات المالية وانواع الطعام والشراب الحلال وغيرها كثير تخضع تماما لموضوع الفتوي، واكثر الكتب توزيعا هى كتب الحلال والحرام وكتب الفتاوى وهذا طبيعى ومفهوم ومعقول، ولكن المشكلة غياب ضوابط حقيقية لهذه الفتوي، فهناك مثلاً ظاهرة الدعاة الجدد - او بعضهم اذا اردنا الدقة - يدخل فى مناطق ليست من اختصاصه ولا هو مؤهل لها، وصحيح ان الحديث عن الرقائق "القصص والاحداث والمواعظ التى ترقق القلب وتدعو الى المكارم " هى من باب المباح والمطلوب، ولا بأس ان يدخل هؤلاء الدعاة الجدد فى ذلك المجال وتلك المساحة، ولكن الدخول فى مساحة الفتوى

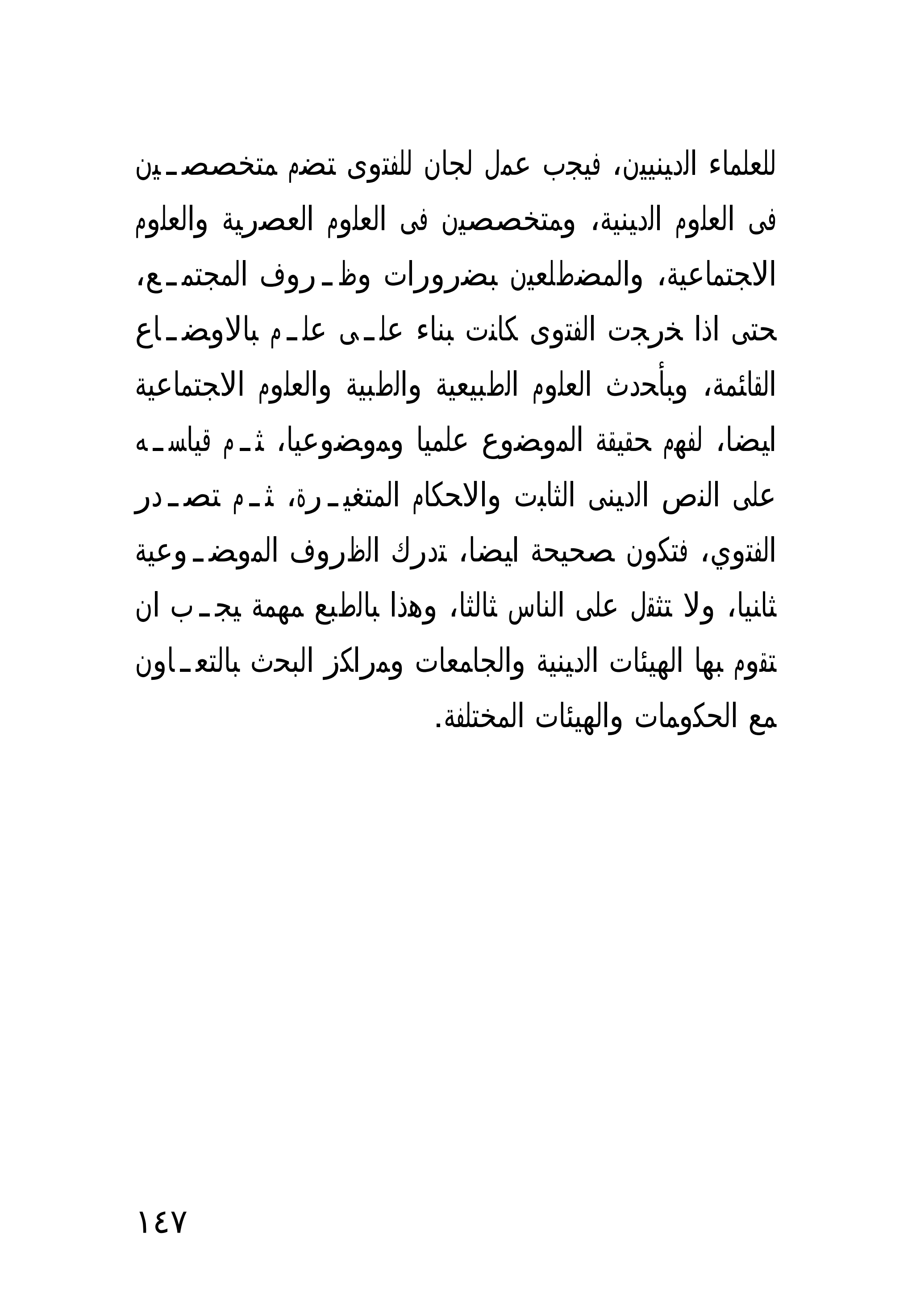


تحتاج الى متخصصين والى ضوابط، ومـن ناحيـة ثانيـة نلاحظ ان بعض الفضائيات تستضيف شخصيات لايمكن ان تنطبق عليها اوصاف وشروط الفتوي، قد يكون البعض مثقفا او مطلعا او مفكرا اسلاميا، ولكن هذا شيء وضوابط الفتوى شيء آخر تماما، وفى مجال الكتب ايضا رأينا بعض النـاس ممن توقفت دراستهم اصلاً عند المرحلة الاعدادية والثانويـة ولم يتلقوا تعليما دينيا منظما، يصدر كتبا عن الحلال والحرام ويقع فى اخطاء فادحة، لمجرد انه قـرأ بعـض الكتـب او المراجع الدينية، وهذا امر خطير لانه يتصل بتنظـيم حيـاة الناس ويمكن ان تترتب عليه مشـكلات كبـرى والجانـب الاقتصادى فى المسألة موجود ايضا، فيمكن لشركة مثلاً تريد ضرب منتج فى شركة اخرى ان تستصدر فتوى من هـؤلاء "اشباه العلماء" وتقول ان بها حراما او شبهة ومن ثـم فـان الفساد وارد جداً فى هذا الصدد.

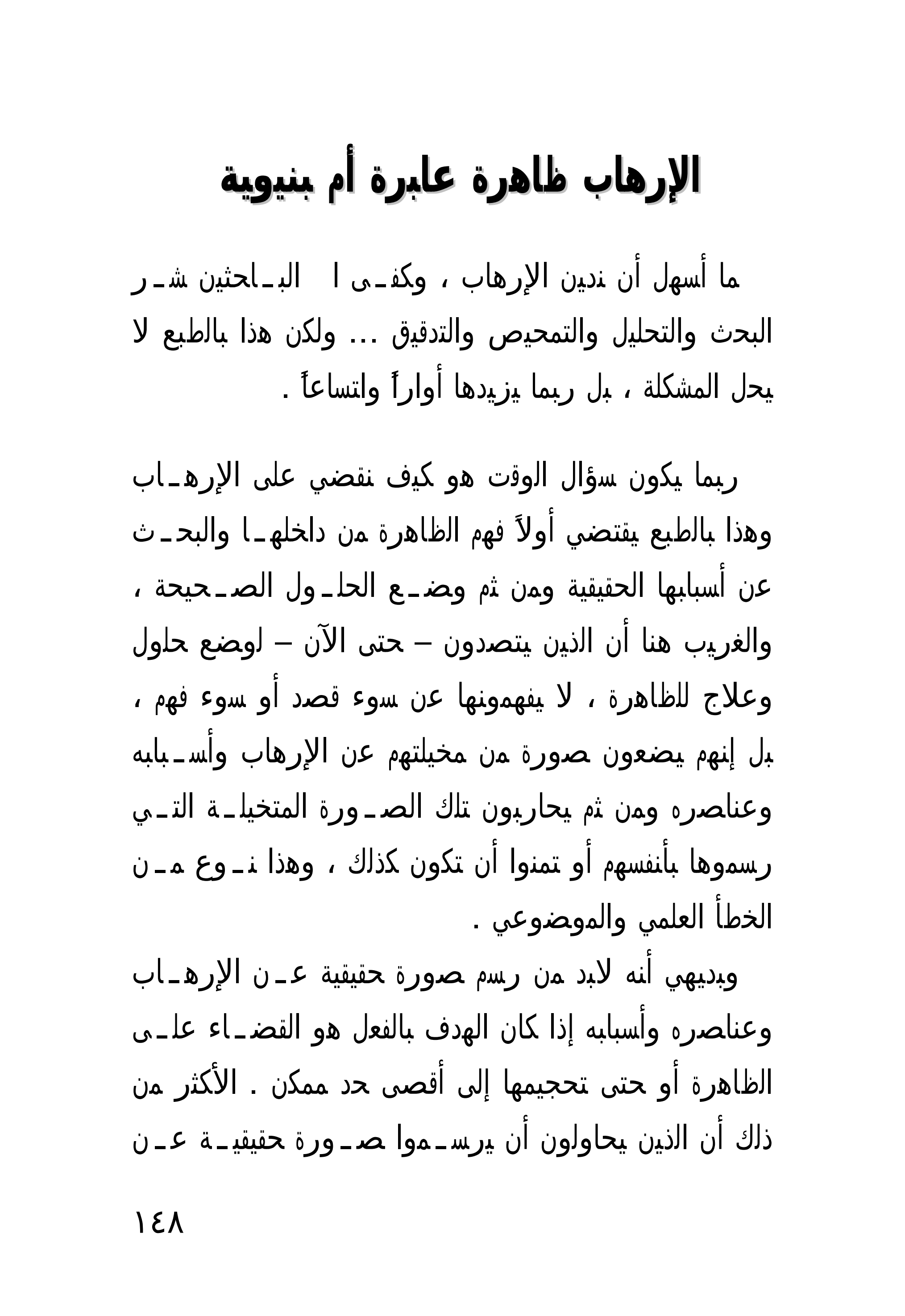
وبديهى ان العلوم الاسلامية كانت علوما لها منظومتهـا الخاصة المتصلة باجازة احد العلمـاء - لابـد ان يجيـزه مجموعة من العلماء او يحصل على شـهادة مـن جامعـة اسلامية معتمدة - اما ان يكتفى بقراءة الكتب دون الحصول



على شهادة من جامعة او يجيزه العلماء المعتمدون فان هـذا نوع من التهريج لايليق بالعلوم الاسلامية، ولنتصـور مـثلاً رجلاً قرأ فى كتب الهندسة او الطب هل يمكن السـماح لـه بالافتاء فى الطب والهندسة او اجراء العمليـات الجراحيـة، نحن لانضيق واسعا، فباب الوعظ وذكر المناقب والقصـص الدينية مناخ لمن اراد، اما الفتوى فمسألة اخرى مختلفة تماما تحتاج اولاً الى عدد معين من سنوات الدراسـة المنتظمـة، تحتاج الى اجازة من العلماء او شهادة من جامعـة اسـلامية متخصصة، تحتاج الى حفظ القرآن الكريم، وفهم التفسـير، والتخصص فى السنة النبوية، ثم دراسة اصول الفقه، واجادة اللغة العربية، فضلاً عن الاضطلاع بالعلوم العصرية حتـى يفهم المفتى الخلفيات العلمية والاجتماعية للسؤال الذى يجيب عنه، وهناك شروط اخرى مفصلة فى كتب الفقه، مـن فقـد شرطا منها فقد شرط الفتوى ومـن المفـروض ان يمتنـع عنها.ولا شك ان الحياة تقدمت بصـورة كبيـرة، وظهـرت مشكلات متجددة كثيرة ومتصلة بعلوم واوضاع اجتماعية لم تظهر من قبل، وهذا يقتضى الاجتهاد ولكن من اهل الاجتهاد ويقتضى الالمام بالعلوم العصرية، واذا كان ذلـك متعـذرا



للعلماء الدينيين، فيجب عمل لجان للفتوى تضم متخصصـين فى العلوم الدينية، ومتخصصين فى العلوم العصرية والعلوم الاجتماعية، والمضطلعين بضرورات وظـروف المجتمـع، حتى اذا خرجت الفتوى كانت بناء علـى علـم بالاوضـاع القائمة، وبأحدث العلوم الطبيعية والطبية والعلوم الاجتماعية ايضا، لفهم حقيقة الموضوع علميا وموضوعيا، ثـم قياسـه على النص الدينى الثابت والاحكام المتغيـرة، ثـم تصـدر الفتوي، فتكون صحيحة ايضا، تدرك الظروف الموضـوعية ثانيا، ولا تثقل على الناس ثالثا، وهذا بالطبع مهمة يجـب ان تقوم بها الهيئات الدينية والجامعات ومراكز البحث بالتعـاون مع الحكومات والهيئات المختلفة.

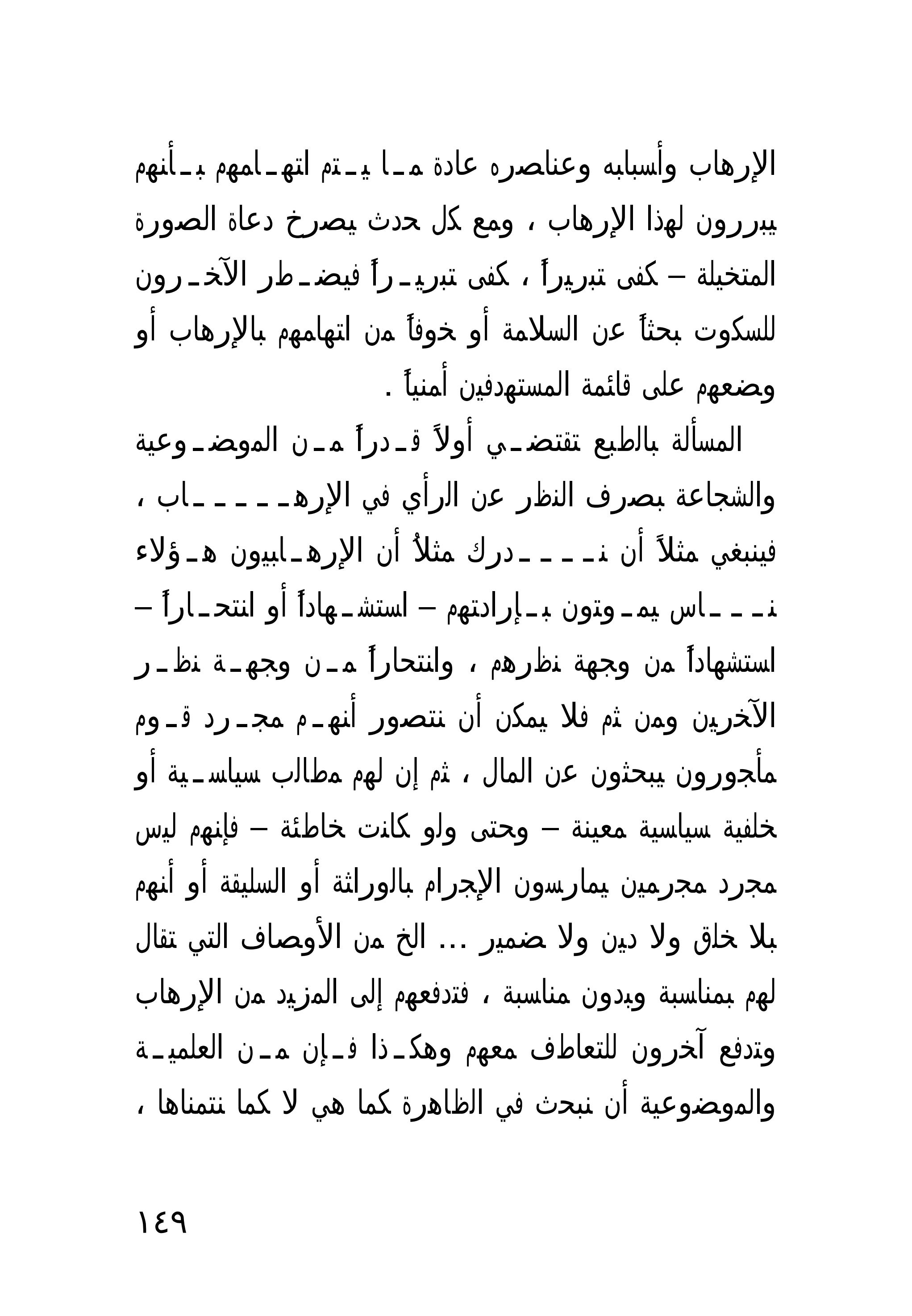


الإرهاب ظاهرة عابرة أم بنيوية

ما أسهل أن ندين الإرهاب ، وكفى ا البـاحثين شر البحث والتحليل والتمحيص والتدقيق ... ولكن هذا بالطبع لا يحل المشكلة ، بل ربما يزيدها أواراً واتساعاً .

ربما يكون سؤال الوقت هو كيف نقضي على الإرهاب وهذا بالطبع يقتضي أولاً فهم الظاهرة من داخلها والبحث عن أسبابها الحقيقية ومن ثم وضع الحلول الصحيحة ، والغريب هنا أن الذين يتصدون – حتى الآن – لوضع حلول وعلاج للظاهرة ، لا يفهمونها عن سوء قصد أو سوء فهم ، بل إنهم يضعون صورة من مخيلتهم عن الإرهاب وأسبابه وعناصره ومن ثم يحاربون تلك الصورة المتخيلة التي رسموها بأنفسهم أو تمنوا أن تكون كذلك ، وهذا نوع من الخطأ العلمي والموضوعي .

وبديهي أنه لابد من رسم صورة حقيقية عن الإرهاب وعناصره وأسبابه إذا كان الهدف بالفعل هو القضاء على الظاهرة أو حتى تحجيمها إلى أقصى حد ممكن . الأكثر من ذلك أن الذين يحاولون أن يرسموا صورة حقيقية عن

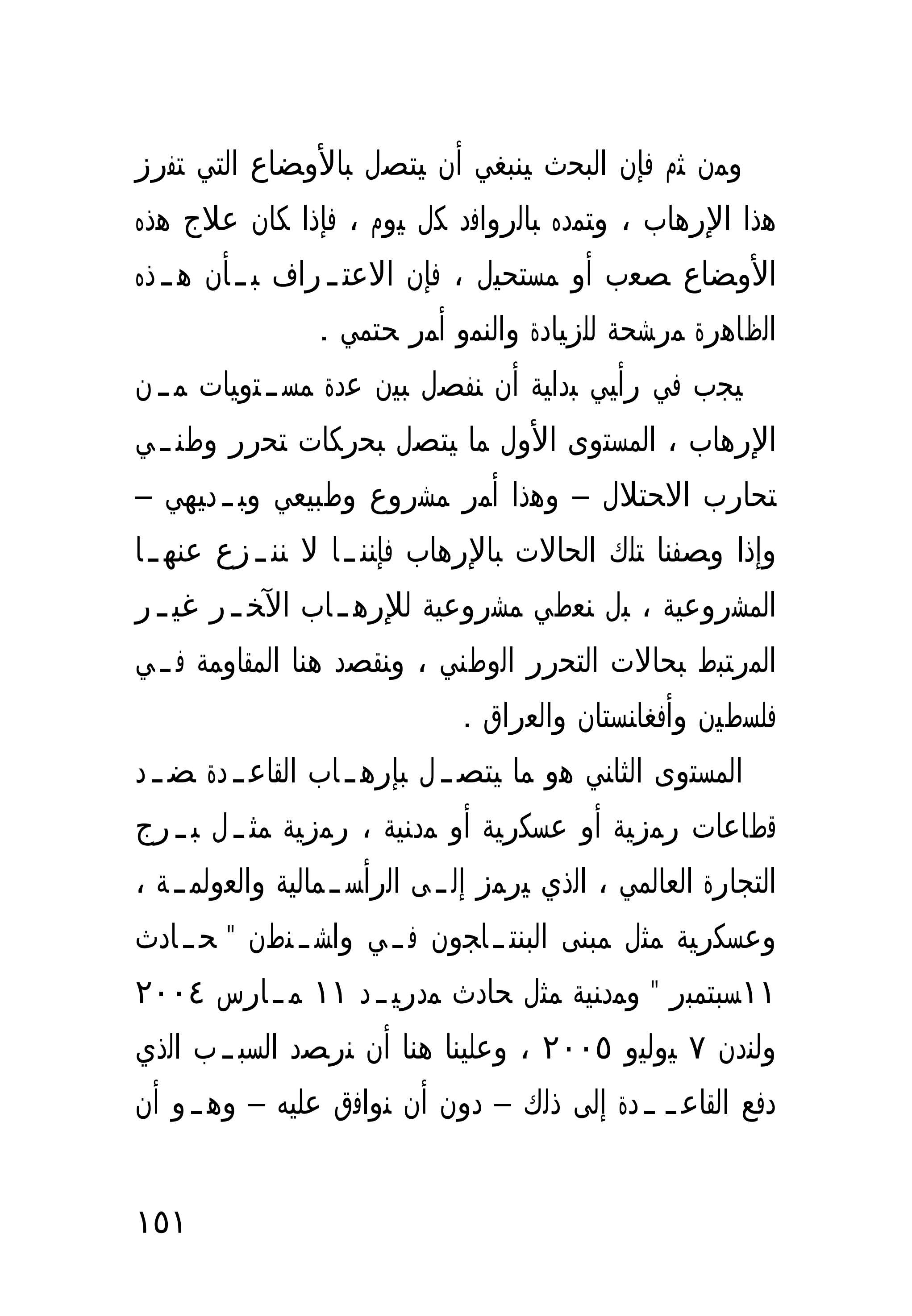

الإرهاب وأسبابه وعناصره عادة مـا يـتم اتهـامهم بـأنهم يبررون لهذا الإرهاب ، ومع كل حدث يصرخ دعاة الصورة المتخيلة – كفى تبريراً ، كفى تبريـراً فيضـطر الآخـرون للسكوت بحثاً عن السلامة أو خوفاً من اتهامهم بالإرهاب أو وضعهم على قائمة المستهدفين أمنياً .

المسألة بالطبع تقتضـي أولاً قـدراً مـن الموضـوعية والشجاعة بصرف النظر عن الرأي في الإرهـــــاب ، فينبغي مثلاً أن نـــــدرك مثلاُ أن الإرهـابيون هـؤلاء نـــاس يمـوتون بـإرادتهم – استشـهاداً أو انتحـاراً – استشهاداً من وجهة نظرهم ، وانتحاراً مـن وجهـة نظـر الآخرين ومن ثم فلا يمكن أن نتصور أنهـم مجـرد قـوم مأجورون يبحثون عن المال ، ثم إن لهم مطالب سياسـية أو خلفية سياسية معينة – وحتى ولو كانت خاطئة – فإنهم ليس مجرد مجرمين يمارسون الإجرام بالوراثة أو السليقة أو أنهم بلا خلق ولا دين ولا ضمير ... الخ من الأوصاف التي تقال لهم بمناسبة وبدون مناسبة ، فتدفعهم إلى المزيد من الإرهاب وتدفع آخرون للتعاطف معهم وهكـذا فـإن مـن العلميـة والموضوعية أن نبحث في الظاهرة كما هي لا كما نتمناها ،

وأن نرصد بأمانة الظروف الموضوعية التي أدت إلى ظهور الظاهرة وتفاقمها ، وبعد ذلك نقول ما شئنا مـن أراء ومـن مواقف تجاهها .

وقبل ذلك ينبغي أن نجيب على سؤال هو هـل الظـاهرة مؤقتة وعابرة أم من المتوقع أن تستمر لفترة طويلـة وهـل ذلك يرجع إلى قوتها الذاتية أم إلى الظـروف الموضـوعية التي تغذيها .

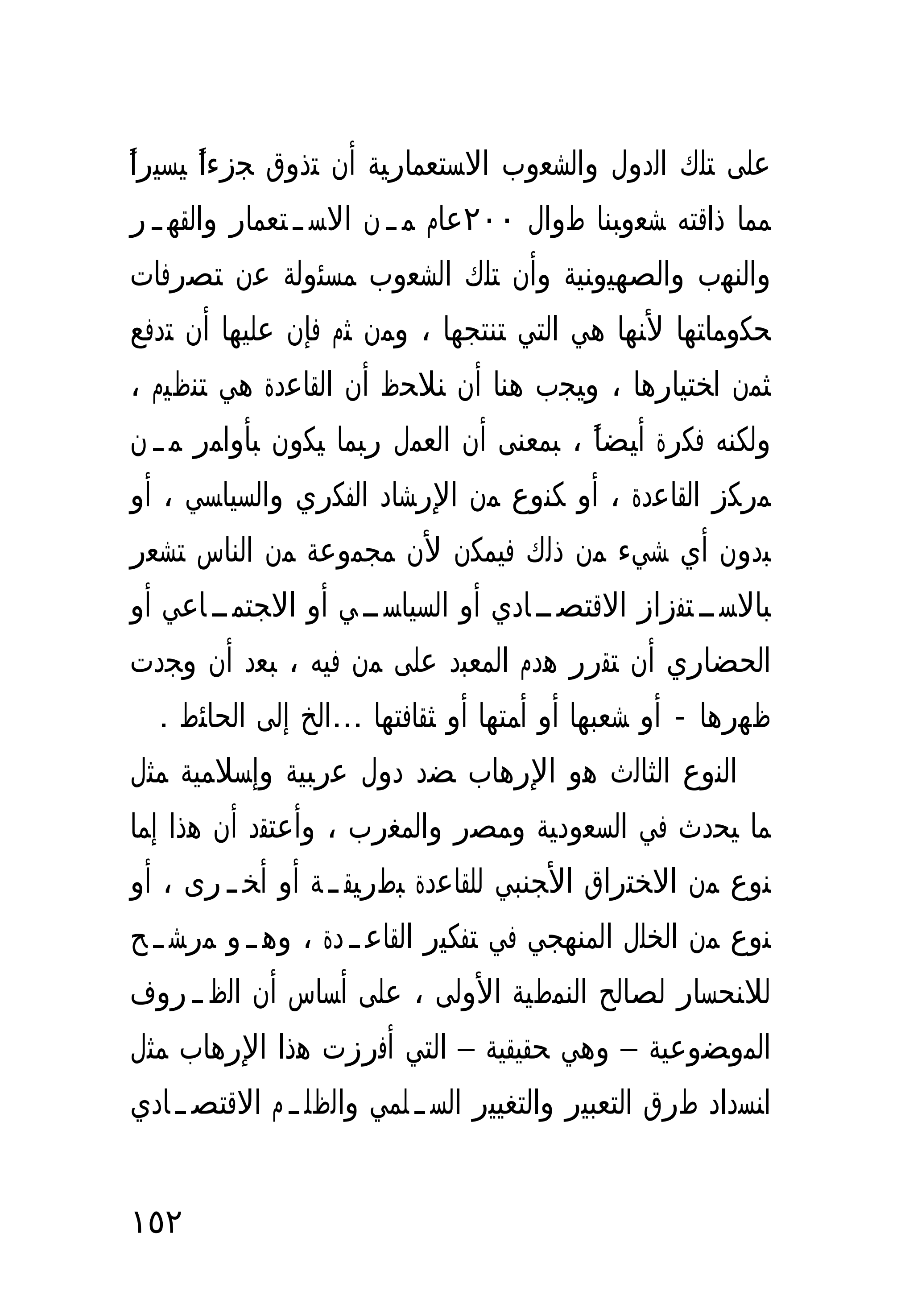
بداية فإن الإرهاب - في رأيي – ضعيف الإمكانيات إلى حد كبير ، ولا يمتلك من المعلومات الثابتة أو المتغيـرة أو القدرات اللوجستية إلا أقل القليل ، في مواجهة قوى عظمى ، استخباراتية ، إعلامية ، بحثية ، عسكرية ومن ثم فإن معنى شن الولايات المتحدة لما أسماه جورج بوش بنفسـه حـرب عالمية على الإرهاب بمشاركة كل أوروبا تقريبـاً ، وكـل العالم الرسمي تقريباً دون أن يتم استئصال هذا الإرهاب حتى الآن ، بل زيادته ، معناه ببساطة أن الظاهرة ليست عابرة ، بل هي بنيوية تدخل في صميم الأوضـاع والـنظم السـائدة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً في العـالم المعاصـر ، وأنها تنبثق منه انبثاقاً ، ولا يمكن القضاء عليها بسهولة .



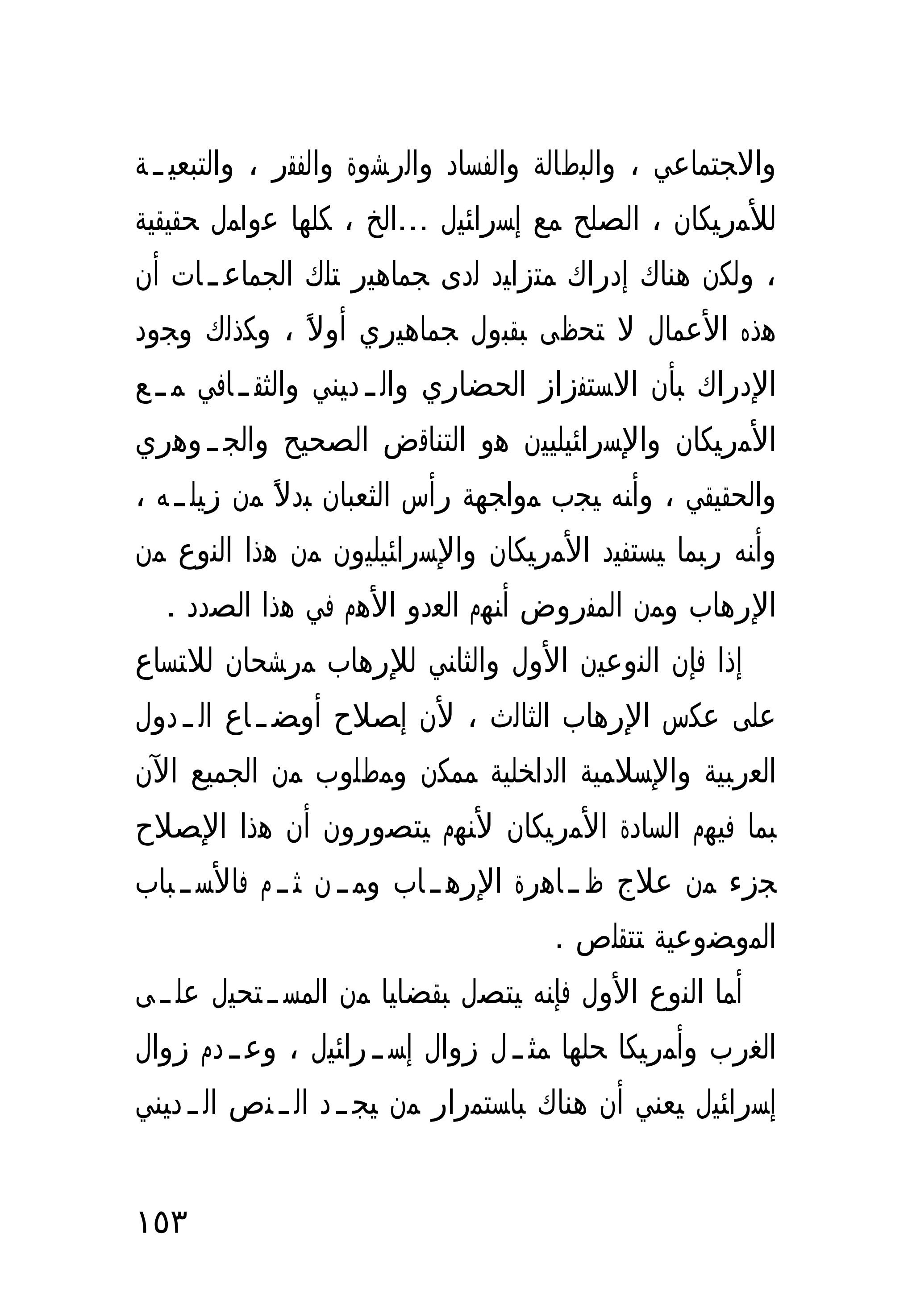
ومن ثم فإن البحث ينبغي أن يتصل بالأوضاع التي تفرز هذا الإرهاب ، وتمده بالروافد كل يوم ، فإذا كان علاج هذه الأوضاع صعب أو مستحيل ، فإن الاعتـراف بـأن هـذه الظاهرة مرشحة للزيادة والنمو أمر حتمي .

يجب في رأيي بداية أن نفصل بين عدة مسـتويات مـن الإرهاب ، المستوى الأول ما يتصل بحركات تحرر وطنـي تحارب الاحتلال – وهذا أمر مشروع وطبيعي وبـديهي – وإذا وصفنا تلك الحالات بالإرهاب فإننـا لا ننـزع عنهـا المشروعية ، بل نعطي مشروعية للإرهـاب الآخـر غيـر المرتبط بحالات التحرر الوطني ، ونقصد هنا المقاومة فـي فلسطين وأفغانستان والعراق .

المستوى الثاني هو ما يتصـل بإرهـاب القاعـدة ضـد قطاعات رمزية أو عسكرية أو مدنية ، رمزية مثـل بـرج التجارة العالمي ، الذي يرمز إلـى الرأسـمالية والعولمـة ، وعسكرية مثل مبنى البنتـاجون فـي واشـنطن " حـادث ١١سبتمبر " ومدنية مثل حادث مدريـد ١١ مـارس ٢٠٠٤ ولندن ٧ يوليو ٢٠٠٥ ، وعلينا هنا أن نرصد السبـب الذي دفع القاعـــدة إلى ذلك – دون أن نوافق عليه – وهـو أن


على تلك الدول والشعوب الاستعمارية أن تذوق جزءاً يسيراً مما ذاقته شعوبنا طوال ٢٠٠عام مـن الاسـتعمار والقهـر والنهب والصهيونية وأن تلك الشعوب مسئولة عن تصرفات حكوماتها لأنها هي التي تنتجها ، ومن ثم فإن عليها أن تدفع ثمن اختيارها ، ويجب هنا أن نلاحظ أن القاعدة هي تنظيم ، ولكنه فكرة أيضاً ، بمعنى أن العمل ربما يكون بأوامر مـن مركز القاعدة ، أو كنوع من الإرشاد الفكري والسياسي ، أو بدون أي شيء من ذلك فيمكن لأن مجموعة من الناس تشعر بالاسـتفزاز الاقتصـادي أو السياسـي أو الاجتمـاعي أو الحضاري أن تقرر هدم المعبد على من فيه ، بعد أن وجدت ظهرها - أو شعبها أو أمتها أو ثقافتها ...الخ إلى الحائط .

النوع الثالث هو الإرهاب ضد دول عربية وإسلامية مثل ما يحدث في السعودية ومصر والمغرب ، وأعتقد أن هذا إما نوع من الاختراق الأجنبي للقاعدة بطريقـة أو أخـرى ، أو نوع من الخلل المنهجي في تفكير القاعـدة ، وهـو مرشـح للانحسار لصالح النمطية الأولى ، على أساس أن الظـروف الموضوعية – وهي حقيقية – التي أفرزت هذا الإرهاب مثل انسداد طرق التعبير والتغيير السـلمي والظلـم الاقتصـادي



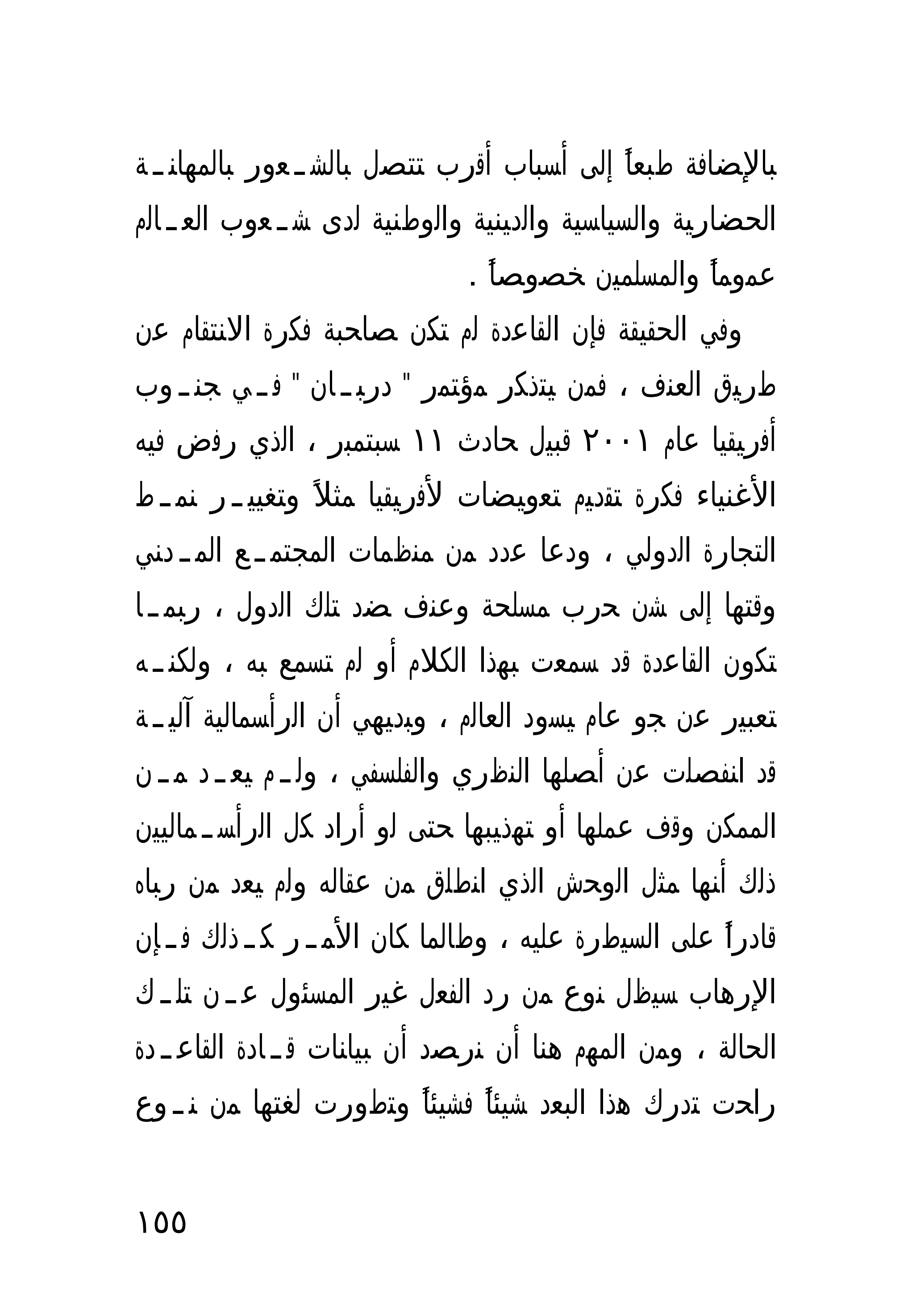
والاجتماعي ، والبطالة والفساد والرشوة والفقر ، والتبعيـة للأمريكان ، الصلح مع إسرائيل ...الخ ، كلها عوامل حقيقية ، ولكن هناك إدراك متزايد لدى جماهير تلك الجماعـات أن هذه الأعمال لا تحظى بقبول جماهيري أولاً ، وكذلك وجود الإدراك بأن الاستفزاز الحضاري والـديني والثقـافي مـع الأمريكان والإسرائيليين هو التناقض الصحيح والجـوهري والحقيقي ، وأنه يجب مواجهة رأس الثعبان بدلاً من زيلـه ، وأنه ربما يستفيد الأمريكان والإسرائيليون من هذا النوع من الإرهاب ومن المفروض أنهم العدو الأهم في هذا الصدد .

إذا فإن النوعين الأول والثاني للإرهاب مرشحان للاتساع على عكس الإرهاب الثالث ، لأن إصلاح أوضـاع الـدول العربية والإسلامية الداخلية ممكن ومطلوب من الجميع الآن بما فيهم السادة الأمريكان لأنهم يتصورون أن هذا الإصلاح جزء من علاج ظـاهرة الإرهـاب ومـن ثـم فالأسـباب الموضوعية تتقلص .

أما النوع الأول فإنه يتصل بقضايا من المسـتحيل علـى الغرب وأمريكا حلها مثـل زوال إسـرائيل ، وعـدم زوال إسرائيل يعني أن هناك باستمرار من يجـد الـنص الـديني

الصحيح لمواجهتها ، وكذلك الـدوافع الوطنيـة والقوميـة والمصلحية ، وقضايا من الصعب جداً حلها فـي المنظـور القريب والمتوسط مثل احتلال العراق وأفغانستان ، لأن إنهاء هذا الاحتلال يعني إنهاء المشروع الإمبراطوري الأمريكـي في العالم ، وهزيمة أمريكا وبداية تراجعها وهو أمر صعب جداً بالطبع .

النوع الثاني هو الأشد خطورة والمرشح أكثـر للتعقيـد والتفاقم لأنه مرتبط بشكل وبنية العالم ، العالم الذي يحظـى فيه ١٠ % بـ ٨٠ % من الثروة ، عالم الرأسمالية والعولمة ، وعالم فيه ٨٠ % جوعى ومرضى ، وهؤلاء يـرون الآن أن فترة الاستعمار والنهب هي السبب ، وكذلك نظام التجارة الدولي الحالي ، ومن ثم فإن الرغبة في الانتقام من هذا العالم أو الكبار رغبة موجودة ، والانتحـار أو الاستشـهاد هـو الطريق السهل ، سواء عن طريق الهجرة غير الشرعية التي يقامر منها الناس بحياتهم بحثاً عن مشاركة الأغنياء في جزء من اللقمة ، بدلاً من الموت ساكنين جـوعى ومقهـورين أو بتنفيذ عمليات عشوائية ضد المـدنيين ، ولا شـك أن تلـك القاعدة من البشر يعتبرونه زاداً لا ينضب لفكرة القاعـدة ،

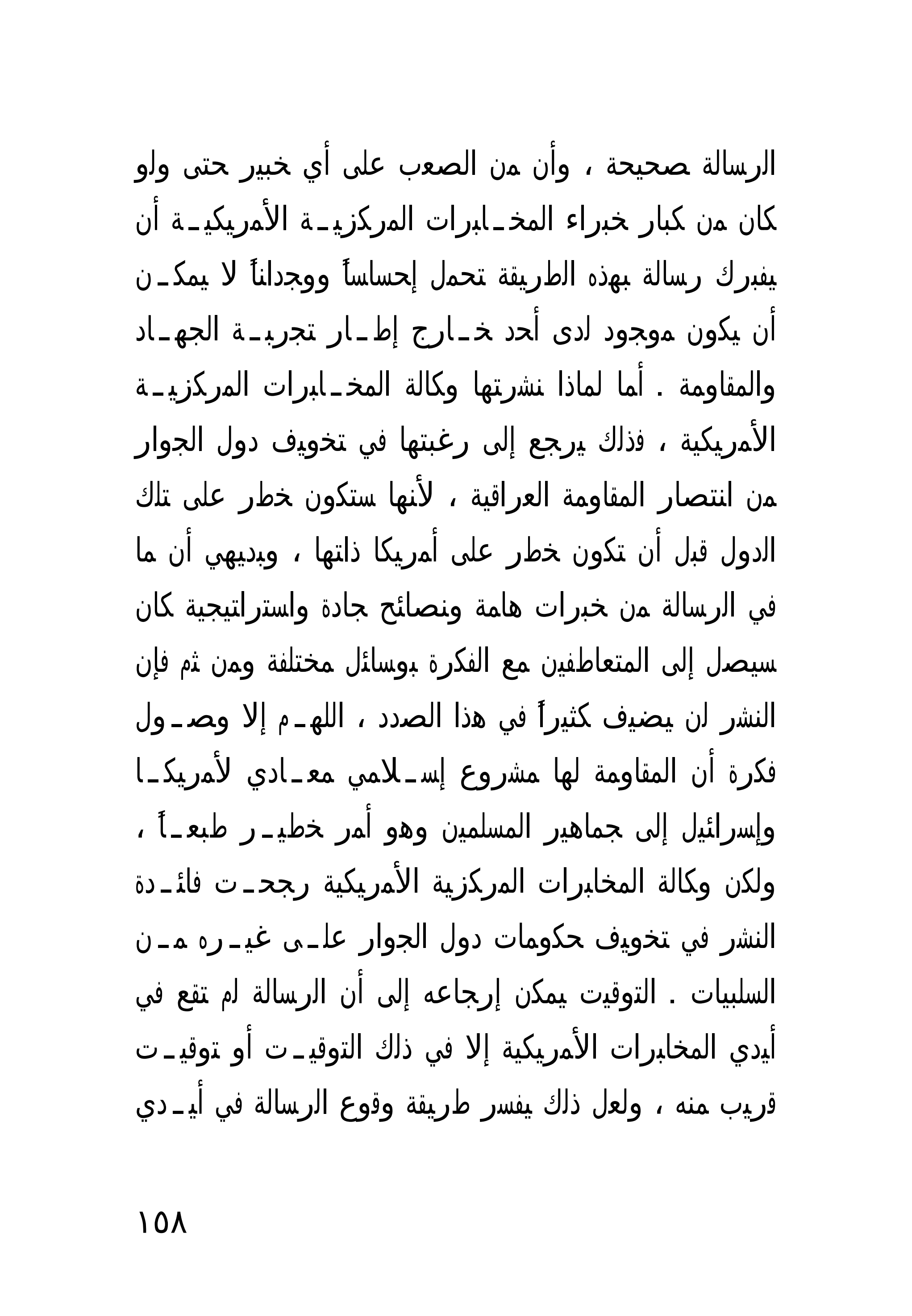

بالإضافة طبعاً إلى أسباب أقرب تتصل بالشـعور بالمهانـة الحضارية والسياسية والدينية والوطنية لدى شـعوب العـالم عموماً والمسلمين خصوصاً .

وفي الحقيقة فإن القاعدة لم تكن صاحبة فكرة الانتقام عن طريق العنف ، فمن يتذكر مؤتمر " دربـان " فـي جنـوب أفريقيا عام ٢٠٠١ قبيل حادث ١١ سبتمبر ، الذي رفض فيه الأغنياء فكرة تقديم تعويضات لأفريقيا مثلاً وتغييـر نمـط التجارة الدولي ، ودعا عدد من منظمات المجتمـع المـدني وقتها إلى شن حرب مسلحة وعنف ضد تلك الدول ، ربمـا تكون القاعدة قد سمعت بهذا الكلام أو لم تسمع به ، ولكنـه تعبير عن جو عام يسود العالم ، وبديهي أن الرأسمالية آليـة قد انفصلت عن أصلها النظري والفلسفي ، ولـم يعـد مـن الممكن وقف عملها أو تهذيبها حتى لو أراد كل الرأسـماليين ذلك أنها مثل الوحش الذي انطلق من عقاله ولم يعد من رباه قادراً على السيطرة عليه ، وطالما كان الأمـر كـذلك فـإن الإرهاب سيظل نوع من رد الفعل غير المسئول عـن تلـك الحالة ، ومن المهم هنا أن نرصد أن بيانات قـادة القاعـدة راحت تدرك هذا البعد شيئاً فشيئاً وتطورت لغتها من نـوع

من البيان الغيبي إلى بيان يحمل سمات حضارية وسياسـية واجتماعية أحياناً ، بل ومن الممكن تصور أن تلك البيانـات سوف تخاطب يوماً جمهور البشر عموماً بصرف النظر عن الدين ، بمعنى أن تتبنى مطالب كل فقراء ومستضعفي العالم مسلمين وغير مسلمين ، بل من الممكن أن نتصور يومـاً أن القاعدة قد أصدرت بياناً أعلنت فيه أنها مستعدة إلى التوقـف عن العنـ ـف تماماً مقابل شـطب ديون الـدول الفقيـرة ، وتخصيص ٥٠ % من دخل الدول الاستعمارية لصالح الدول التي استعمرتها ، وتغيير نمط التجارة الدولي ، فضلاً عـن الانسحاب من فلسطين والعراق وأفغانستان .

قراءة استراتيجية في رسالة أيمن الظواهري لأبي مصعب الزرقاوي

أذاعت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية يوم الأربعاء ١٢ أكتوبر ٢٠٠٥ النص الكامل لرسالة وجهها في ٢ يوليو ٢٠٠٥ الدكتور أيمن الظواهري الرجل الثاني في تنظيم القاعدة إلى أبي مصعب الزرقاوي أمير تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين . ووفقاً لرؤية مسئول في المخابرات المركزية الأمريكية فإن الرسالة تتضمن نصائح القائد الميداني لتنظيم القاعدة الذي عركته الحياة ، إلى قائد متهور تحت أمرته تدعوه إلى الاعتدال ! ! . وقبل أن نناقش الإرشادات والتصورات التي يراها أيمن الظواهري يجب أن نبحث فيما إذا كانت هذه الرسالة صحيحة أم أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قامت بفبركتها ونسبتها إلى أيمن الظواهري لأسباب معينة . وإذا كانت الرسالة صحيحة فلماذا نشرتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية . . . ولماذا في هذا التوقيت بالذات . من ناحية أن الرسالة صحيحة . فاعتقد أن تحليل مضمون الرسالة ، وكذا لغتها والمعلومات الخاصة فيها ، وكذا الإحساس والروح ترجح أن

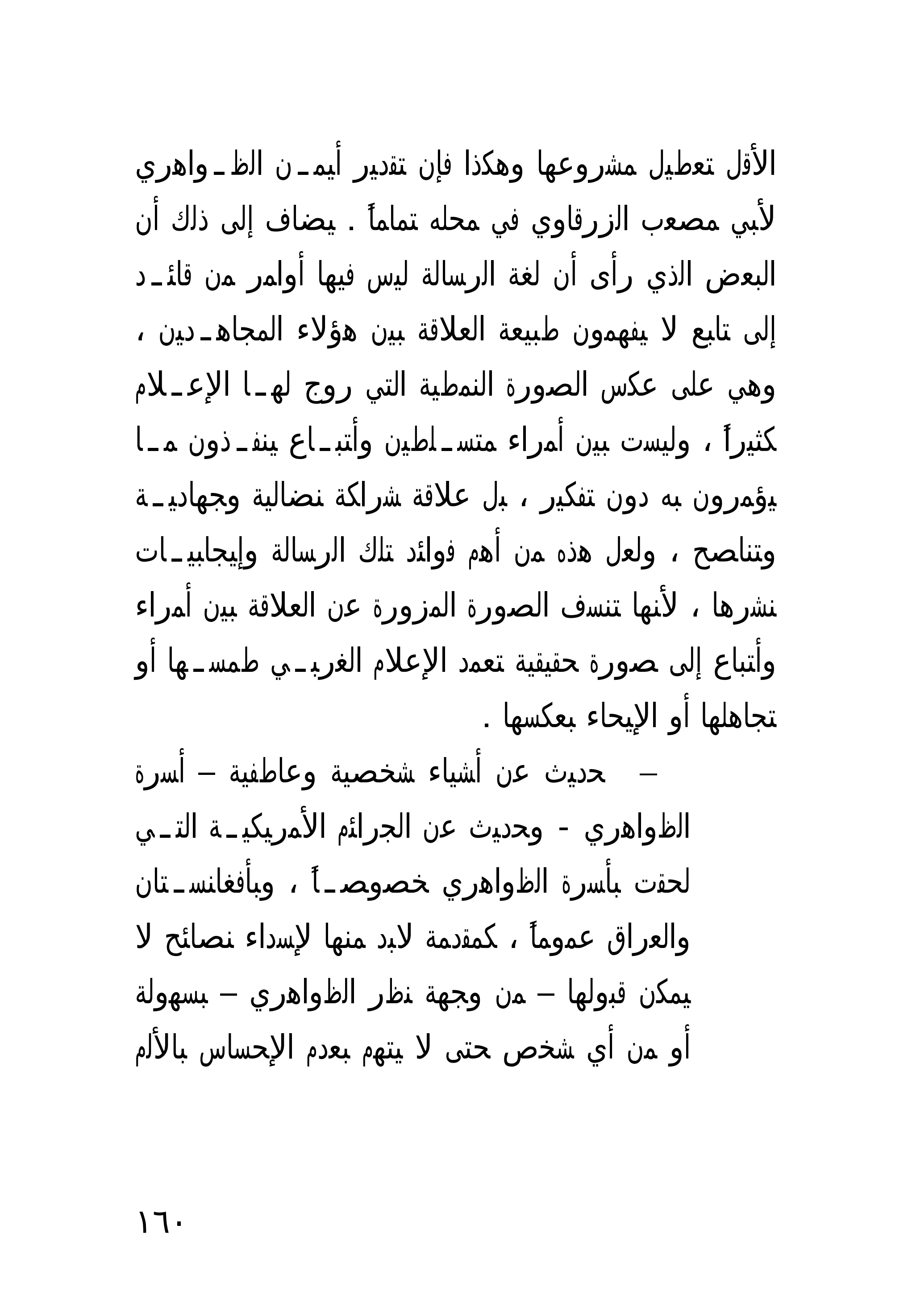


الرسالة صحيحة ، وأن من الصعب على أي خبير حتى ولو كان من كبار خبراء المخـابرات المركزيـة الأمريكيـة أن يفبرك رسالة بهذه الطريقة تحمل إحساساً ووجداناً لا يمكـن أن يكون موجود لدى أحد خـارج إطـار تجربـة الجهـاد والمقاومة . أما لماذا نشرتها وكالة المخـابرات المركزيـة الأمريكية ، فذلك يرجع إلى رغبتها في تخويف دول الجوار من انتصار المقاومة العراقية ، لأنها ستكون خطر على تلك الدول قبل أن تكون خطر على أمريكا ذاتها ، وبديهي أن ما في الرسالة من خبرات هامة ونصائح جادة واستراتيجية كان سيصل إلى المتعاطفين مع الفكرة بوسائل مختلفة ومن ثم فإن النشر لن يضيف كثيراً في هذا الصدد ، اللهـم إلا وصـول فكرة أن المقاومة لها مشروع إسـلامي معـادي لأمريكـا وإسرائيل إلى جماهير المسلمين وهو أمر خطيـر طبعـاً ، ولكن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية رجحـت فائـدة النشر في تخويف حكومات دول الجوار علـى غيـره مـن السلبيات . التوقيت يمكن إرجاعه إلى أن الرسالة لم تقع في أيدي المخابرات الأمريكية إلا في ذلك التوقيـت أو توقيـت قريب منه ، ولعل ذاك يفسر طريقة وقوع الرسالة في أيـدي

عملاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكيـة وهـو – وا أعلم – عن طريق تداول الرسالة على نطـاق واسـع عـن طريق عناصر القاعدة في العراق ذاتها كنوع مـن توسـيع فرصة الاستفادة من الخبرات الموجودة بها .

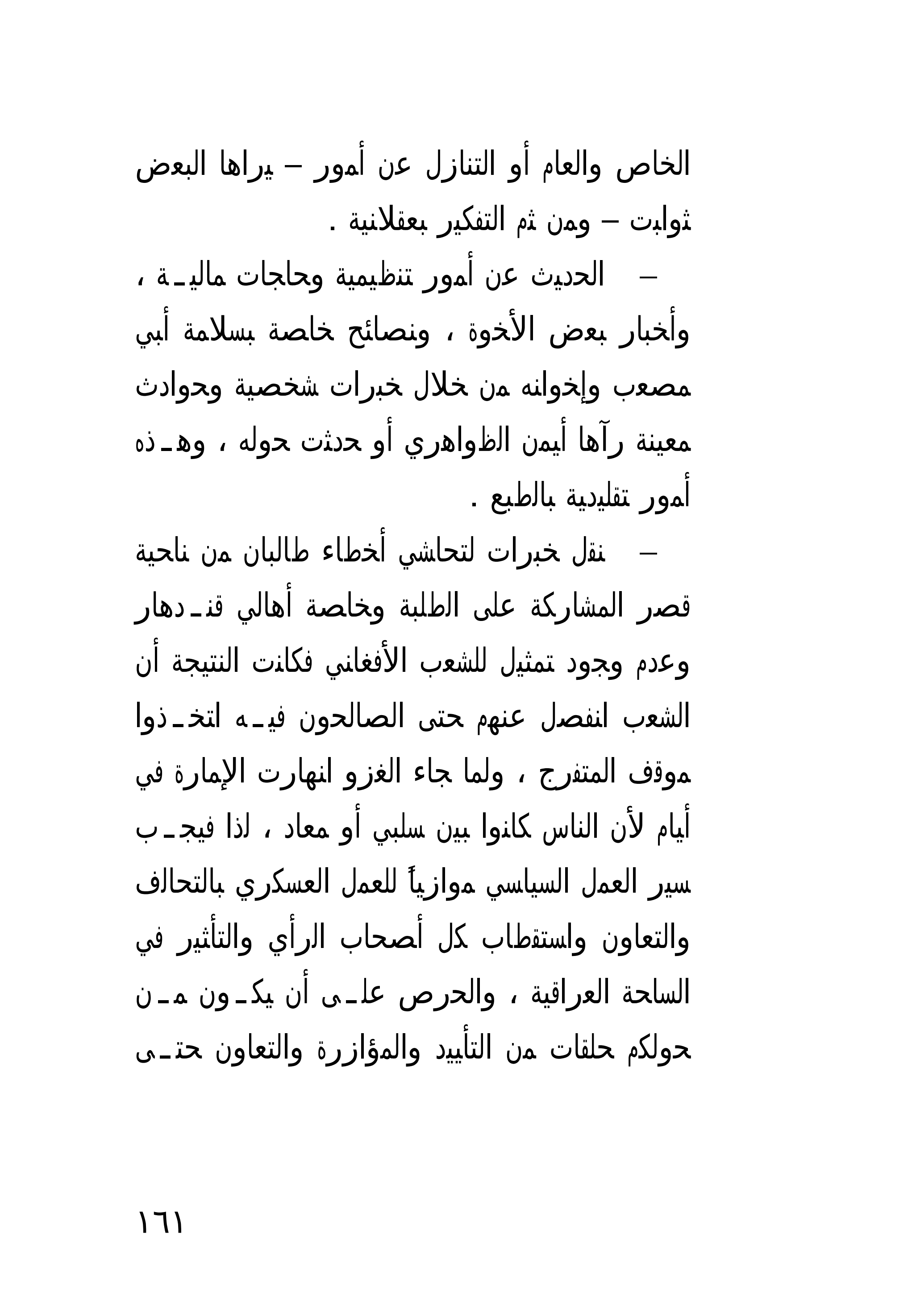


تتضمن الرسالة عدداً من الأشياء والمعلومات والنصـائح على النحو التالي – مع مراعاة أن الترتيب غير ضـروري في هذا الصدد – احترام شديد وتقدير هائل من الدكتور أيمن الظواهري لأبي مصعب الزرقاوي ، وهذا أمر مفهوم لأن ما قام به أبو مصعب الزرقاوي في العراق هو أمر نـوعي – نوعي جداً – حيث قلب معادلة الصراع من هجوم أمريكـي عسكري وسياسي وإعلامي وثقافي ، ومن ثم وقوع المسلمين وحركات المقاومة في نوع من رد الفعل التبريري أو اليأس المطبق أو محاولة إرضاء أمريكا – وقد حدث شيء من هذا الصدد مع بداية الغزو حتى من حركات إسـلامية معروفـة وكبيرة – إلى نوع من اسـتعادة زمـام المبـادرة الثقافيـة والسياسية وحتى العسكرية ، وإثبات أن الأمة لا تزال حية ، وأن بها قوى وطاقات قادرة على هزيمة أمريكـا أو علـى



الأقل تعطيل مشروعها وهكذا فإن تقدير أيمـن الظـواهري لأبي مصعب الزرقاوي في محله تماماً . يضاف إلى ذلك أن البعض الذي رأى أن لغة الرسالة ليس فيها أوامر من قائـد إلى تابع لا يفهمون طبيعة العلاقة بين هؤلاء المجاهـدين ، وهي على عكس الصورة النمطية التي روج لهـا الإعـلام كثيراً ، وليست بين أمراء متسـلطين وأتبـاع ينفـذون مـا يؤمرون به دون تفكير ، بل علاقة شراكة نضالية وجهاديـة وتناصح ، ولعل هذه من أهم فوائد تلك الرسالة وإيجابيـات نشرها ، لأنها تنسف الصورة المزورة عن العلاقة بين أمراء وأتباع إلى صورة حقيقية تعمد الإعلام الغربـي طمسـها أو تجاهلها أو الإيحاء بعكسها .

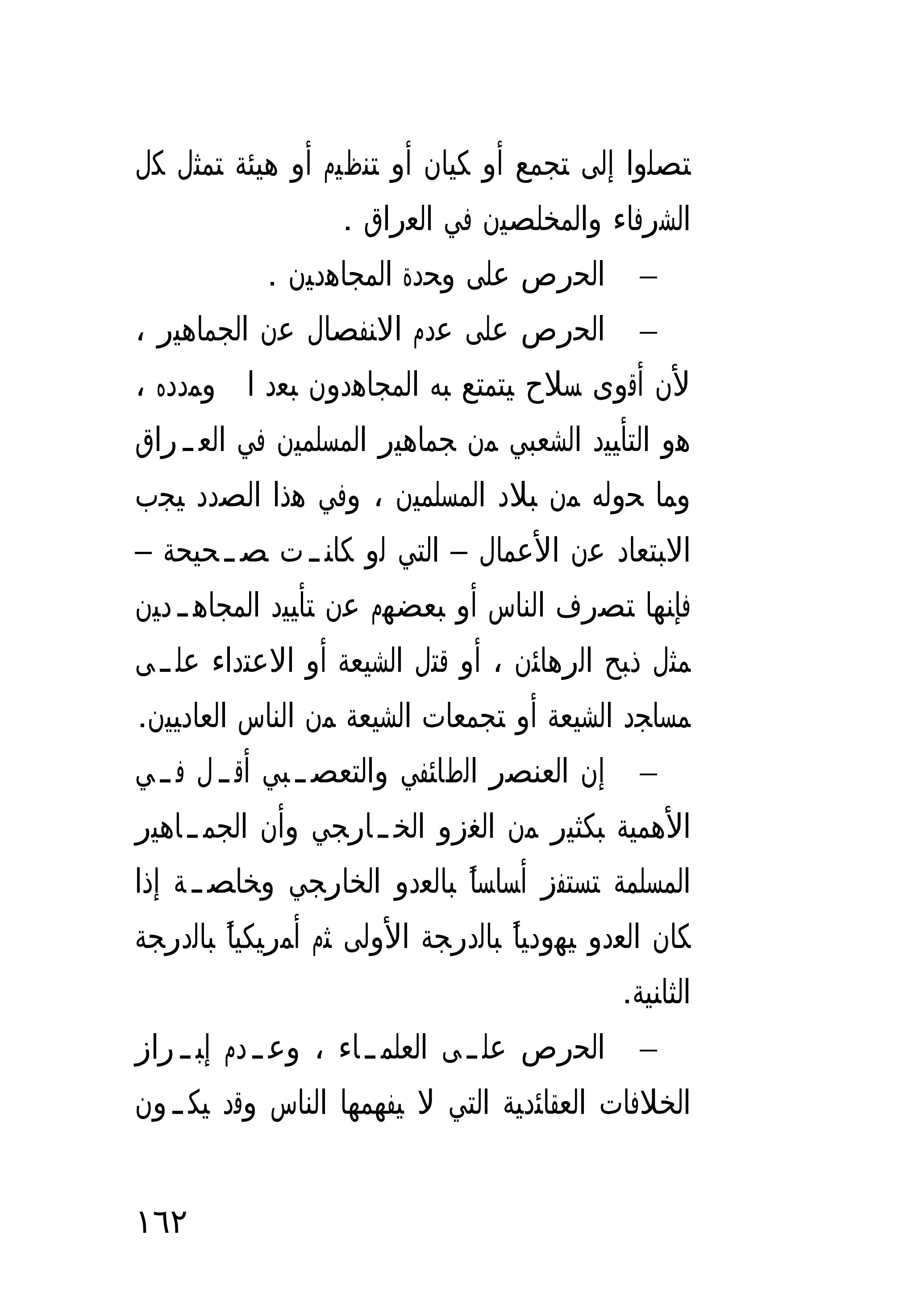
– حديث عن أشياء شخصية وعاطفية – أسرة الظواهري - وحديث عن الجرائم الأمريكيـة التـي لحقت بأسرة الظواهري خصوصـاً ، وبأفغانسـتان والعراق عموماً ، كمقدمة لابد منها لإسداء نصائح لا يمكن قبولها – من وجهة نظر الظواهري – بسهولة أو من أي شخص حتى لا يتهم بعدم الإحساس بالألم



الخاص والعام أو التنازل عن أمور – يراها البعض ثوابت – ومن ثم التفكير بعقلانية .

– الحديث عن أمور تنظيمية وحاجات ماليـة ، وأخبار بعض الأخوة ، ونصائح خاصة بسلامة أبي مصعب وإخوانه من خلال خبرات شخصية وحوادث معينة رآها أيمن الظواهري أو حدثت حوله ، وهـذه أمور تقليدية بالطبع .

– نقل خبرات لتحاشي أخطاء طالبان من ناحية قصر المشاركة على الطلبة وخاصة أهالي قنـدهار وعدم وجود تمثيل للشعب الأفغاني فكانت النتيجة أن الشعب انفصل عنهم حتى الصالحون فيـه اتخـذوا موقف المتفرج ، ولما جاء الغزو انهارت الإمارة في أيام لأن الناس كانوا بين سلبي أو معاد ، لذا فيجـب سير العمل السياسي موازياً للعمل العسكري بالتحالف والتعاون واستقطاب كل أصحاب الرأي والتأثير في الساحة العراقية ، والحرص علـى أن يكـون مـن حولكم حلقات من التأييد والمؤازرة والتعاون حتـى



تصلوا إلى تجمع أو كيان أو تنظيم أو هيئة تمثل كل الشرفاء والمخلصين في العراق .

– الحرص على وحدة المجاهدين .

– الحرص على عدم الانفصال عن الجماهير ، لأن أقوى سلاح يتمتع به المجاهدون بعد ا   ومدده ، هو التأييد الشعبي من جماهير المسلمين في العراق وما حوله من بلاد المسلمين ، وفي هذا الصدد يجب الابتعاد عن الأعمال – التي لو كانت صحيحة – فإنها تصرف الناس أو بعضهم عن تأييد المجاهدين مثل ذبح الرهائن ، أو قتل الشيعة أو الاعتداء على مساجد الشيعة أو تجمعات الشيعة من الناس العاديين.

– إن العنصر الطائفي والتعصبي أقل في الأهمية بكثير من الغزو الخارجي وأن الجماهير المسلمة تستفز أساساً بالعدو الخارجي وخاصة إذا كان العدو يهودياً بالدرجة الأولى ثم أمريكياً بالدرجة الثانية.

– الحرص على العلماء ، وعدم إبراز الخلافات العقائدية التي لا يفهمها الناس وقد يكون

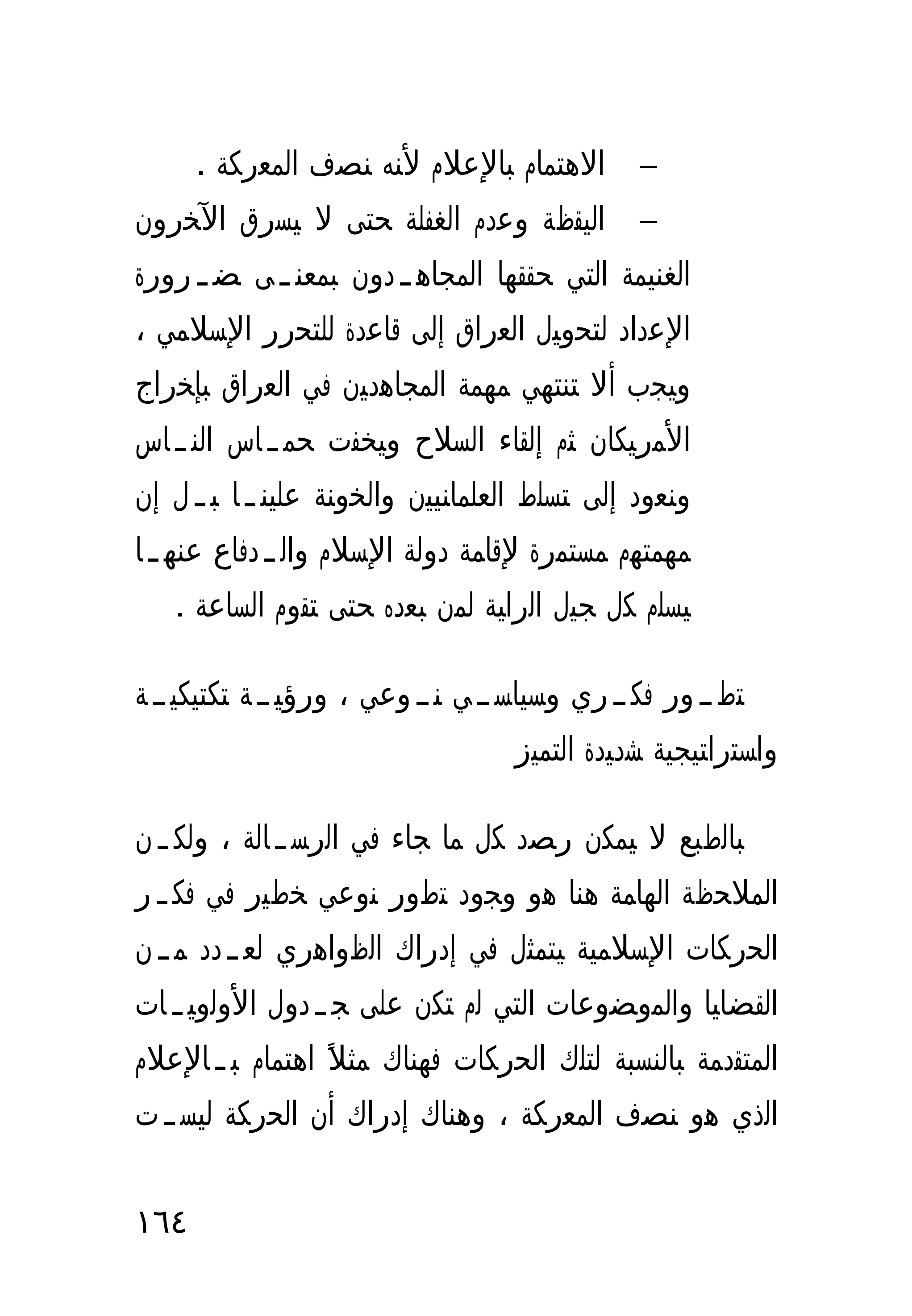
في العالم بدعة أو تقصير في جانب ، ولكن قد يكون له عطاء في القتال والجهاد والبذل في سـبيل ا ، وأن تصحيح أخطاء العقيدة قضـية طويلـة تحتـاج لأجيال من الدعوة وإصلاح مناهج التعليم .

– السعي لإشـراك الجمـاهير المسـلمة فـي المعركة وقيادة الحركة المجاهدة للجماهير وليس إلى خوض الصراع بعيداً عنها .

– الاهتمام بالمعارك في قلب العالم الإسلامي ، أما المعارك التي تدور في أطراف العالم الإسـلامي كالشيشان وأفغانستان وكشمير والبوسنة فما هـي إلا إرهاصات أو مقدمات للمعارك الكبرى التي بدأت في قلب العلام الإسلامي .

– حتمية الصراع مـع إسـرائيل ، وإدراك أن إسرائيل ما أقيمت أصلاً إلا كنوع من الحاجز بـين طرفي العالم الإسلامي .

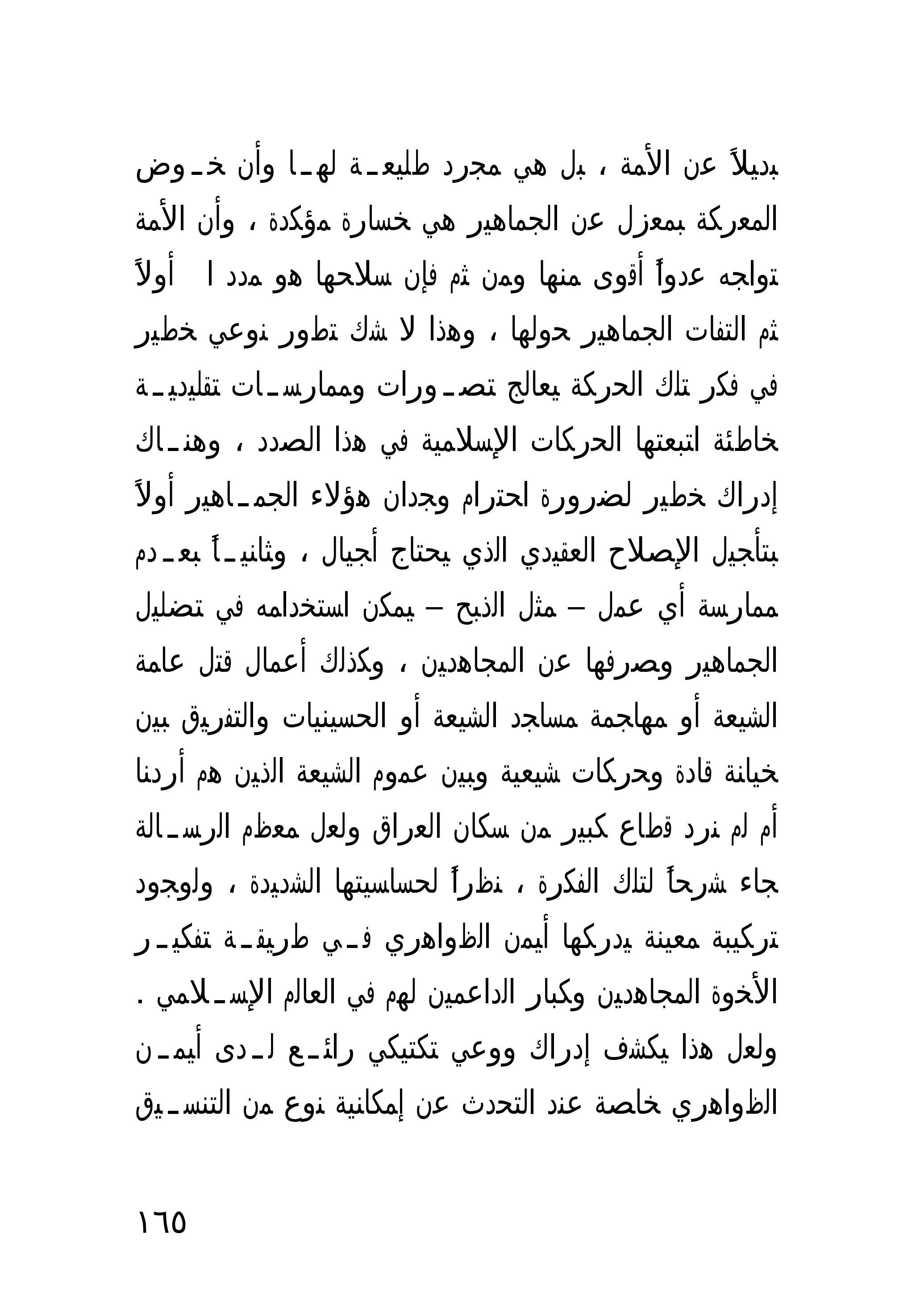
– إمكانية التحالف التكتيكي مع إيـران علـى قاعدة المصلحة المشتركة حيث تسـتهدفها أمريكـا بسبب موضوع الطاقة النووية .



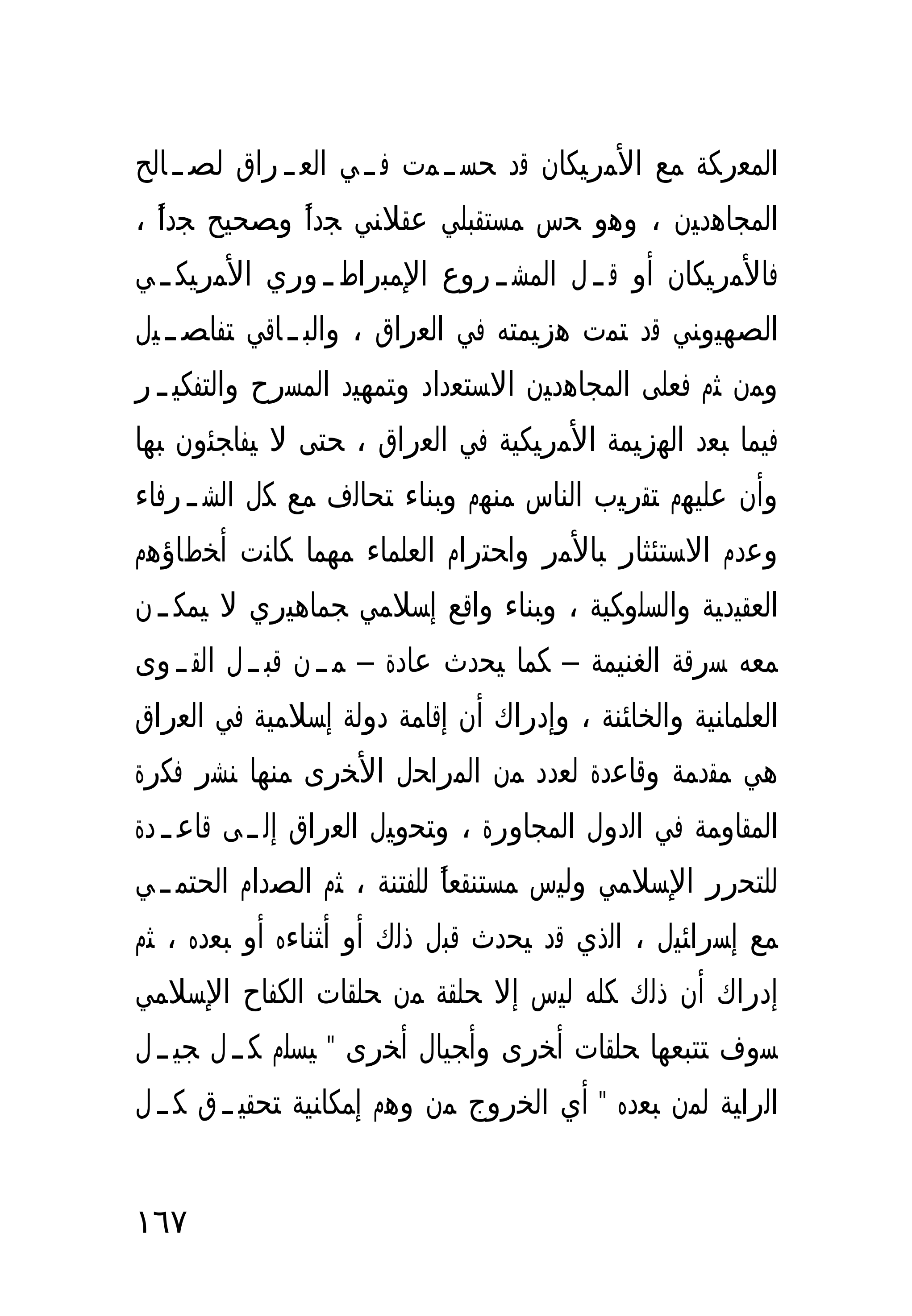
- الاهتمام بالإعلام لأنه نصف المعركة .
- اليقظة وعدم الغفلة حتى لا يسرق الآخرون الغنيمة التي حققها المجاهـدون بمعنـى ضـرورة الإعداد لتحويل العراق إلى قاعدة للتحرر الإسلامي ، ويجب ألا تنتهي مهمة المجاهدين في العراق بإخراج الأمريكان ثم إلقاء السلاح ويخفت حمـاس النـاس ونعود إلى تسلط العلمانيين والخونة علينـا بـل إن مهمتهم مستمرة لإقامة دولة الإسلام والـدفاع عنهـا يسلم كل جيل الراية لمن بعده حتى تقوم الساعة .

تطـور فكـري وسياسـي نـوعي ، ورؤيـة تكتيكيـة واستراتيجية شديدة التميز

بالطبع لا يمكن رصد كل ما جاء في الرسـالة ، ولكـن الملاحظة الهامة هنا هو وجود تطور نوعي خطير في فكـر الحركات الإسلامية يتمثل في إدراك الظواهري لعـدد مـن القضايا والموضوعات التي لم تكن على جـدول الأولويـات المتقدمة بالنسبة لتلك الحركات فهناك مثلاً اهتمام بـالإعلام الذي هو نصف المعركة ، وهناك إدراك أن الحركة ليسـت


بديلاً عن الأمة ، بل هي مجرد طليعـة لهـا وأن خـوض المعركة بمعزل عن الجماهير هي خسارة مؤكدة ، وأن الأمة تواجه عدواً أقوى منها ومن ثم فإن سلاحها هو مدد ا أولاً ثم التفات الجماهير حولها ، وهذا لا شك تطور نوعي خطير في فكر تلك الحركة يعالج تصـورات وممارسـات تقليديـة خاطئة اتبعتها الحركات الإسلامية في هذا الصدد ، وهنـاك إدراك خطير لضرورة احترام وجدان هؤلاء الجمـاهير أولاً بتأجيل الإصلاح العقيدي الذي يحتاج أجيال ، وثانيـاً بعـدم ممارسة أي عمل – مثل الذبح – يمكن استخدامه في تضليل الجماهير وصرفها عن المجاهدين ، وكذلك أعمال قتل عامة الشيعة أو مهاجمة مساجد الشيعة أو الحسينيات والتفريق بين خيانة قادة وحركات شيعية وبين عموم الشيعة الذين هم أردنا أم لم نرد قطاع كبير من سكان العراق ولعل معظم الرسـالة جاء شرحاً لتلك الفكرة ، نظراً لحساسيتها الشديدة ، ولوجود تركيبة معينة يدركها أيمن الظواهري فـي طريقـة تفكيـر الأخوة المجاهدين وكبار الداعمين لهم في العالم الإسـلامي . ولعل هذا يكشف إدراك ووعي تكتيكي رائـع لـدى أيمـن الظواهري خاصة عند التحدث عن إمكانية نوع من التنسـيق

مع إيران على قاعدة المصلحة المشتركة بسـبب اسـتهداف الأمريكان لها في الموضوع النووي ، وهكذا فإن الظواهري بات يدرك إمكانية الاستفادة من التناقضات بين الآخـرين ، وعملية الحساب السياسي – وليس الحرام والحـلال فقـط – فهناك أمور حلال لا ينبغي الاستعجال بها إذا ما تعارضـت المصلحة مع الحفاظ على الثوابت أي عدم الوقوع في الحرام ، فلا يكفي أن يكون العمل حلالاً لتفعله ، بل ينبغي أن يكون حلالاً ومفيداً في نفس الوقت للمسلمين ، أي تفعيل قاعدة درء المفاسد مقدم على إدراك المصالح ، وتطوير تلـك القاعـدة أيضاً ونلاحظ أيضاً أن أيمـن الظـواهري يعكـس إدراكـاً استراتيجياً متميزاً فهو يدرك بعد الجغرافيا السياسية في العالم الإسلامي ، ويدرك بعد الأهداف التي يسعى العدو لتحقيقها ، وتحديد من هو العدو الأساسي " أمريكا وإسرائيل " والعـدو الهامشي ، وإدراك أن المعركة الكبرى في الشـام ومصـر والعراق أي في قلب العالم الإسلامي وليس في أطرافه ، مع إدراك متقدم – استراتيجي وحضاري وجغرافـي – لـدور إسرائيل في المنظومة العالمية المعادية ولعل أهـم وأخطـر استشرافات أيمن الظواهري هي فـي إدراكـه المبكـر لأن



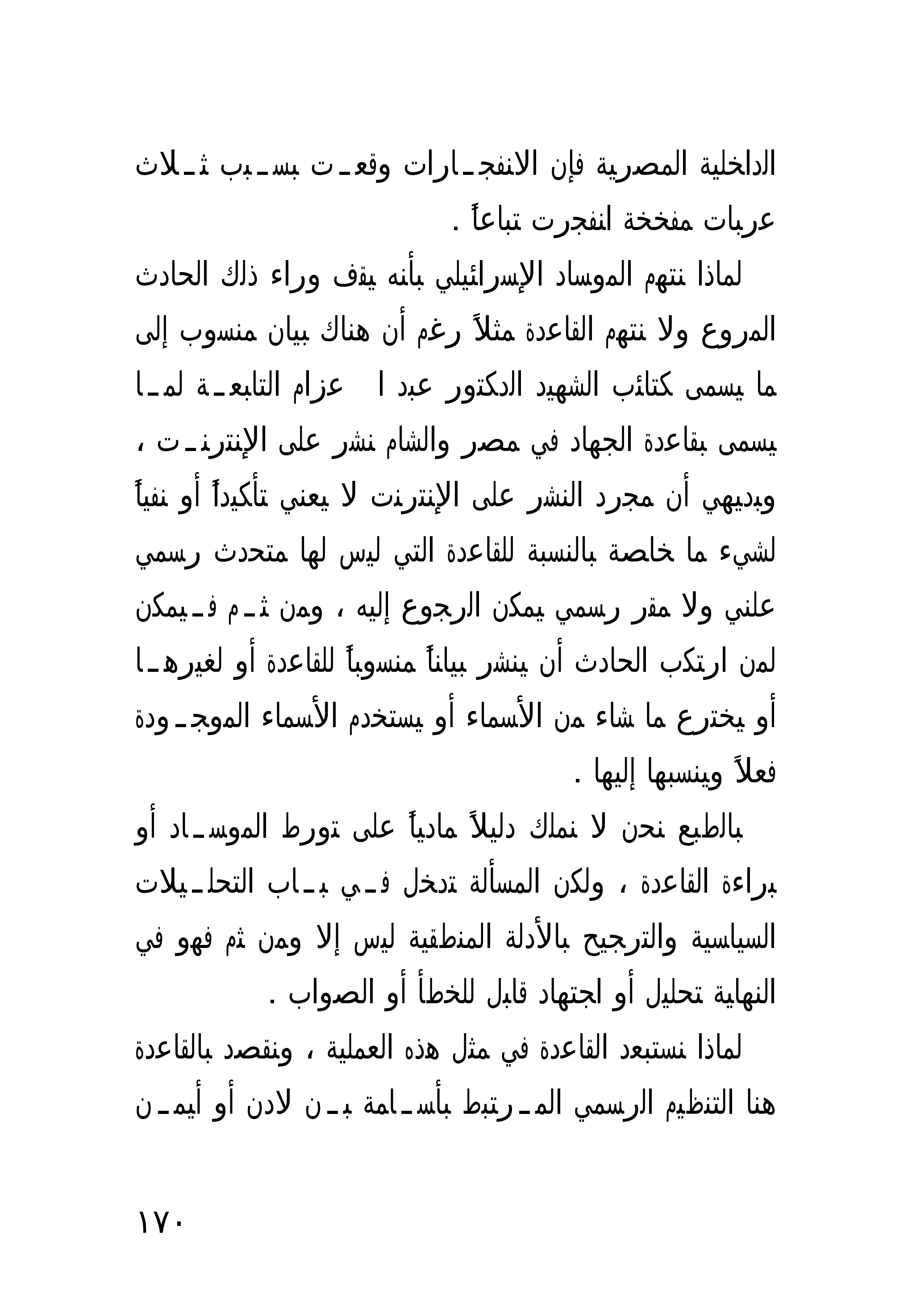
المعركة مع الأمريكان قد حسـمت فـي العـراق لصـالح المجاهدين ، وهو حس مستقبلي عقلاني جداً وصحيح جداً ، فالأمريكان أو قـل المشـروع الإمبراطـوري الأمريكـي الصهيوني قد تمت هزيمته في العراق ، والبـاقي تفاصـيل ومن ثم فعلى المجاهدين الاستعداد وتمهيد المسرح والتفكيـر فيما بعد الهزيمة الأمريكية في العراق ، حتى لا يفاجئون بها وأن عليهم تقريب الناس منهم وبناء تحالف مع كل الشـرفاء وعدم الاستئثار بالأمر واحترام العلماء مهما كانت أخطاؤهم العقيدية والسلوكية ، وبناء واقع إسلامي جماهيري لا يمكـن معه سرقة الغنيمة – كما يحدث عادة – مـن قبـل القـوى العلمانية والخائنة ، وإدراك أن إقامة دولة إسلامية في العراق هي مقدمة وقاعدة لعدد من المراحل الأخرى منها نشر فكرة المقاومة في الدول المجاورة ، وتحويل العراق إلـى قاعـدة للتحرر الإسلامي وليس مستنقعاً للفتنة ، ثم الصدام الحتمـي مع إسرائيل ، الذي قد يحدث قبل ذلك أو أثناءه أو بعده ، ثم إدراك أن ذلك كله ليس إلا حلقة من حلقات الكفاح الإسلامي سوف تتبعها حلقات أخرى وأجيال أخرى " يسلم كـل جيـل الراية لمن بعده " أي الخروج من وهم إمكانية تحقيـق كـل

الأهداف في جيل واحد . الرسالة بالفعل مرعبة للأمريكـان وحلفائهم ، وخطيرة ونوعية واستراتيجية وتكتيكيـة ، ولـو كانت صحيحة وهذا ما نظنه فهي مانفستو عالمية إسـلامية ثانية ، أو صعود في منحنى الحضارة الإسلامية أو انقـلاب في هذا المنحنى بعد طول هبوط باتجاه الصعود ، وحتى إذا كانت الرسالة غير صحيحة ، فإنني أدعو المجاهـدين فـي العراق إلى تبنيها والعمل بما فيها من نصـائح ، فالحكمـة ضالة المسلم أينما وجدها فهو أحق بها .

فتش عن المستفيد في حوادث شرم الشيخ

يستسهل الباحثون عادة اتهام إسرائيل بكـل جريمـة أو حادث يصعب تفسيره أو فهـم دوافعـه وأهدافـه أو حتـى يتهمونها بأي أحداث تحدث على أساس أن إسرائيل وراء كل شر ، وهو نوع من التفسير المسبق – غير الصحيح دائماً – ولا نقول التفسير التآمري لأن هناك من الحوادث والقضـايا ما يؤكد وجود مؤامرة استراتيجية أو تكتيكية ، دون أن يعني ذلك وجود مؤامرة وراء كل شيء .

ورغم إدراكنا لهذه المقدمة ، فإن الكثير مـن المعطيـات والظروف تقودنا في اتجاه اتهام الموساد الإسرائيلي بالوقوف وراء حادث شرم الشيخ الذي أدى إلـى سـقوط ٨٨ قتـيلاً و٢٢٥ جريحاً – معظمهم من المصريين والعرب وذلك فـي أولى ساعات صـباح ٢٠٠٥/٧/٢٣ عـن طريـق ثلاثـة انفجارات كبيرة إحداها في فندق غزالة والأخرى في منتجع نعمة ، والثالث في سوق تجاري هو السوق القـديم لشـرم الشيخ ، وحسب المعلومـات المتاحـة عـن طريـق وزارة


الداخلية المصرية فإن الانفجـارات وقعـت بسـبب ثـلاث عربات مفخخة انفجرت تباعاً .

لماذا نتهم الموساد الإسرائيلي بأنه يقف وراء ذلك الحادث المروع ولا نتهم القاعدة مثلاً رغم أن هناك بيان منسوب إلى ما يسمى كتائب الشهيد الدكتور عبد ا عزام التابعـة لمـا يسمى بقاعدة الجهاد في مصر والشام نشر على الإنترنـت ، وبديهي أن مجرد النشر على الإنترنت لا يعني تأكيداً أو نفياً لشيء ما خاصة بالنسبة للقاعدة التي ليس لها متحدث رسمي علني ولا مقر رسمي يمكن الرجوع إليه ، ومن ثـم فـيمكن لمن ارتكب الحادث أن ينشر بياناً منسوباً للقاعدة أو لغيرهـا أو يخترع ما شاء من الأسماء أو يستخدم الأسماء الموجـودة فعلاً وينسبها إليها .

بالطبع نحن لا نملك دليلاً مادياً على تورط الموسـاد أو براءة القاعدة ، ولكن المسألة تدخل فـي بـاب التحلـيلات السياسية والترجيح بالأدلة المنطقية ليس إلا ومن ثم فهو في النهاية تحليل أو اجتهاد قابل للخطأ أو الصواب .

لماذا نستبعد القاعدة في مثل هذه العملية ، ونقصد بالقاعدة هنا التنظيم الرسمي المـرتبط بأسـامة بـن لادن أو أيمـن

الظواهري أو التنظيمات غير المرتبطة بهما تنظيمياً ولكـن فكرياً وهي متواجدة وتتواجد وتتكاثر بسرعة كبيرة ، وبديهي أن الحادث لا يمكن أن يقوم به فرد أو مجموعة أفراد قليلين نظراً لكبر حجمه ونظراً لضخامة الاستحكامات الأمنية فـي ذلك المكان فمن ناحية أن التنظيم الرسمي يقوم بهذا العمل ، فهذا صعب بالنسبة لمصر أولاً ، لأنها الأكثر خبرة ومعرفة وربما اختراقاً لهذا التنظيم ، ويصعب من ثم تنفيـذ شـيء ضدها في هذا الصدد ، أما أن يكون تنظيمـاً محليـاً علـى أساس أن هناك ما يسمى بالجيل الثالث من الإرهـاب فـي مصر فإن العمليات المنسوبة إلى هذا الجيل الثالث " حوادث الأزهر والسيدة عائشة وميدان التحرير " كلها كانت أقـرب إلى عمل الهواة وكلها كانت محدودة جداً ولا تعطي الانطباع بإمكانية حصول تلك المجموعات على تقنية عالية وإمكانيـة عالية لتنفيذ حادث ضخم مثل حادث شرم الشيخ .

وكذلك فإن تنظيم القاعدة والمتأثرين به عادة ما يلجئـون إلى البحث عن هدف أجنبي وليس عربي أو مسلم ، وبالتالي لا يمكن أن نفهم بسهولة لماذا اختاروا السـوق القديمـة أو مرآب السيارات أو حتى الفندق الذي يتواجـد فيـه العـرب

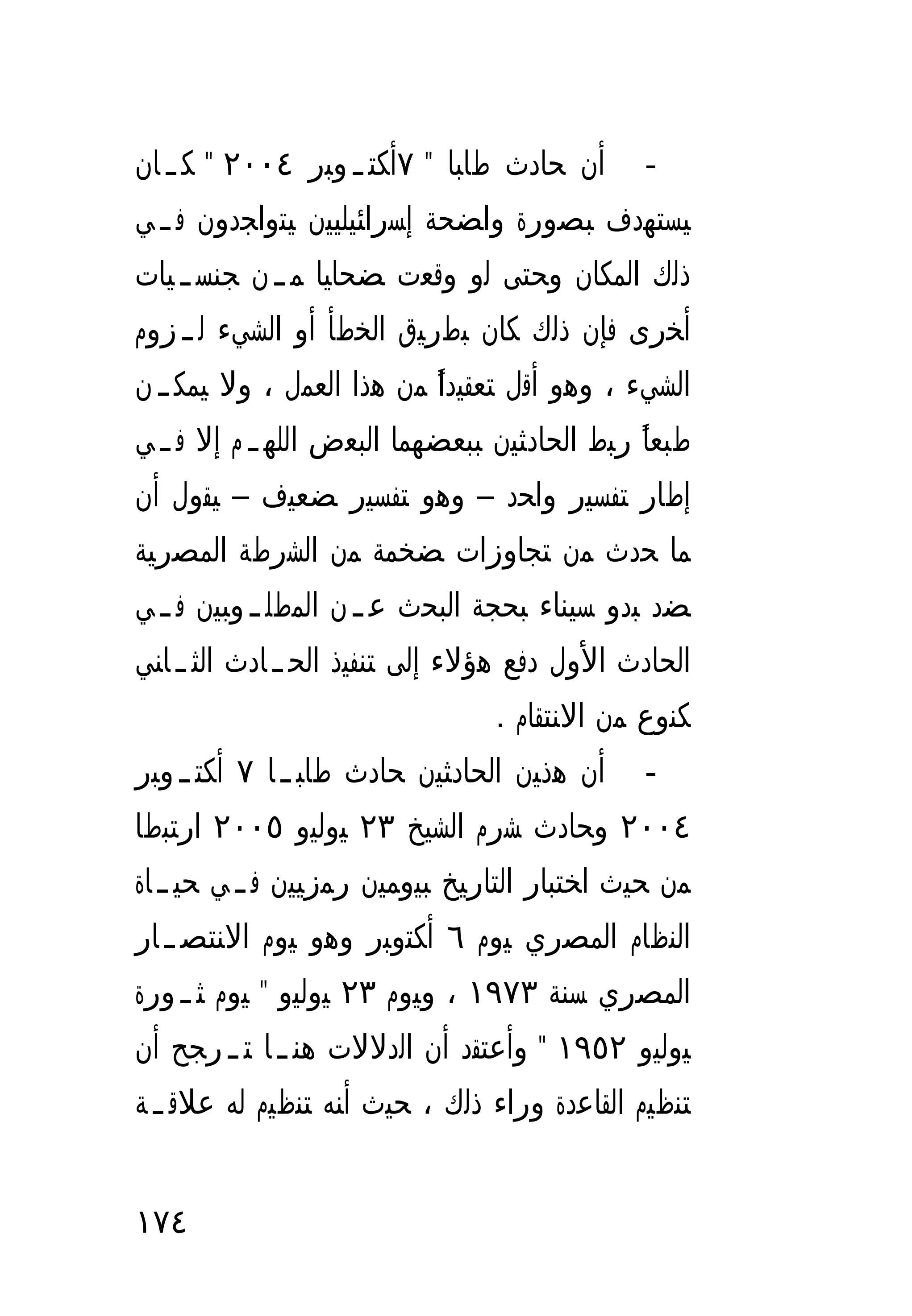
والمصريين أكثر من الأجانب – نلاحظ أن الضحايا الأجانب في الحادث كـانوا مـن ١٠ – ٢٠ % حسـب التقـديرات المختلفة والباقي من المصريين والعرب ويمكننـا مـثلاً أن ننسب حادث "سبتمبر ٢٠٠١ " إلى القاعدة لأنه استهدف أكبر رموز الرأسمالية والعولمة في العالم " برجي التجـارة فـي نيويورك " وأكبر مراكز القـوة العسـكرية فـي العـالم " البنتاجون " ومن ثم فإن الهدف والتبرير – حسـب مقـاييس القاعدة – كان موجوداً وكذلك في حادث مدريـد " مـارس ٢٠٠٤ " حيث أن حكومة أزنار " رئيس الوزراء السـابق " كانت قد أرسلت قوات أسبانية إلى العراق لمساعدة القـوات الأمريكية هناك ، وحوادث لندن ٧ يوليو ٢٠٠٥ تحمل نفس الدوافع والتبريرات – سواء كانت صحيحة أم خاطئة - ولكن هكذا يفكر رجال القاعدة – وكانت دوائر القاعدة قد حـذرت الشعب البريطاني سابقاً من إعادة انتخاب تـوني بليـر وإلا أصبح الشعب البريطاني مسئولاً عن تصرفات تـوني بليـر قبيل الانتخابات البرلمانية البريطانية .

وهكذا فمن الممكن فهم وتفسير ومن ثم إسـناد أحـداث نيويورك ومدريد ولندن إلى القاعدة ولكن الأمـر لا ينطبـق

على حالة شرم الشيخ حيث أن المصريين والعرب عموماً لا يختارون نظمهم السياسية ومن ثم فهم غير مسـئولين عنهـا فضلاً عن أن مثل هذا العمل ربما يزيد قدرة النظام المصري على الاستمرار وفرض المزيد من القيـود بحجـة مكافحـة الإرهاب ومن ثم يضعف المعارضة المصرية لإعادة انتخاب الرئيس مبارك .

إذاً فإنه لا مبرر لاستهداف المصريين بصورة خاصة ولا حتى استهداف النظام المصري والحكومة المصرية في هـذا الوقت بالتحديد من قبل القاعدة ، وليس هنـاك قـدرة لمـن يعتنقون فكر القاعدة مما يسمى بالجيل الثالث للإرهاب فـي مصر لتنفيذ هذا العمل مع ملاحظة أن هنـاك عـدداً مـن العوامل الهامة في هذا الصدد .

- أن المنطقة التي تمت فيها الانفجارات شديدة التحصين والوصول إليها بثلاث عربات من العربات المفخخة أمر يحتاج إلى قدرات تنظيمية ومادية عالية جداً ربما لا تتوفر للقاعدة ذاتها ، خاصة أن حـادث شرم الشيخ أكثر تعقيداً من حوادث مدريـد ولنـدن مثلاً.



- أن حادث طابا " ٧أكتـوبر ٢٠٠٤ " كـان يستهدف بصورة واضحة إسرائيليين يتواجدون فـي ذلك المكان وحتى لو وقعت ضحايا مـن جنسـيات أخرى فإن ذلك كان بطريق الخطأ أو الشيء لـزوم الشيء ، وهو أقل تعقيداً من هذا العمل ، ولا يمكـن طبعاً ربط الحادثين ببعضهما البعض اللهـم إلا فـي إطار تفسير واحد – وهو تفسير ضعيف – يقول أن ما حدث من تجاوزات ضخمة من الشرطة المصرية ضد بدو سيناء بحجة البحث عـن المطلـوبين فـي الحادث الأول دفع هؤلاء إلى تنفيذ الحـادث الثـاني كنوع من الانتقام .

- أن هذين الحادثين حادث طابـا ٧ أكتـوبر ٢٠٠٤ وحادث شرم الشيخ ٢٣ يوليو ٢٠٠٥ ارتبطا من حيث اختبار التاريخ بيومين رمزيين فـي حيـاة النظام المصري يوم ٦ أكتوبر وهو يوم الانتصـار المصري سنة ١٩٧٣ ، ويوم ٢٣ يوليو " يوم ثـورة يوليو ١٩٥٢ " وأعتقد أن الدلالات هنـا تـرجح أن تنظيم القاعدة وراء ذلك ، حيث أنه تنظيم له علاقـة

بيوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ " يـوم اغتيـال السـادات " وبديهي أنه ضد تراث ثورة يوليو عموماً ، ولكن ألا يمكن أن يكون ذلك من باب لفت النظر إلى تنظـيم القاعدة في هذا الصدد ، أو من باب أن الذين نفـذوا الهجومين استغلوا الاسترخاء الأمني مثلاً لأن تلـك الأيام تكون أيام إجازات عادة .

لماذا نرجح أن يكون الموسـاد الإسـرائيلي وراء تلـك العملية التي سوف تؤدي بالضرورة إلـى كسـاد الموسـم السياحي المصري ، وربما عدة مواسم وإذا كانت المواسـم السياحية في معظم أنحاء العالم متأثرة بالإرهاب فإن إضـافة مصر إلى ذلك يعيد شيء من السياحة إلى إسـرائيل التـي تأثرت السياحة بها بسبب الانتفاضة والعمليات الاستشـهادية داخل أراضي ١٩٤٨ المحتلة ، ومن ناحية أخرى فإن تـأثر السياحة في مصر – تدر السياحة في مصر ٦,١ مليار دولار أو حوالي ١٠% من الدخل السنوي المصري ، يؤثر علـى الاقتصاد المصري ويضعف مصر بالتـالي وهـذا هـدف إسرائيلي معروف وثابت وتقليدي .

وكذلك يمكننا أن نتوقع أن إسرائيل كانت تشعر بشيء من الغيظ من الدور المصري لمنع وقوع حرب أهلية فلسـطينية بين حماس والسلطة ، وقد تصاعد ذلـك الـدور المصـري مؤخراً وتم تطويق أحداث الصدام بين حماس والسلطة عـن طريق وساطة مصرية ، ومن ثم فإن إسرائيل أرادت معاقبة مصر على ذلك ، أو دفعها إلى اتهـام عناصـر فلسـطينية مقربة بالطبع من المقاومة الفلسطينية بأنها وراء ذلك الحادث ومن ثم الوقيعة بين الطرفين .

***

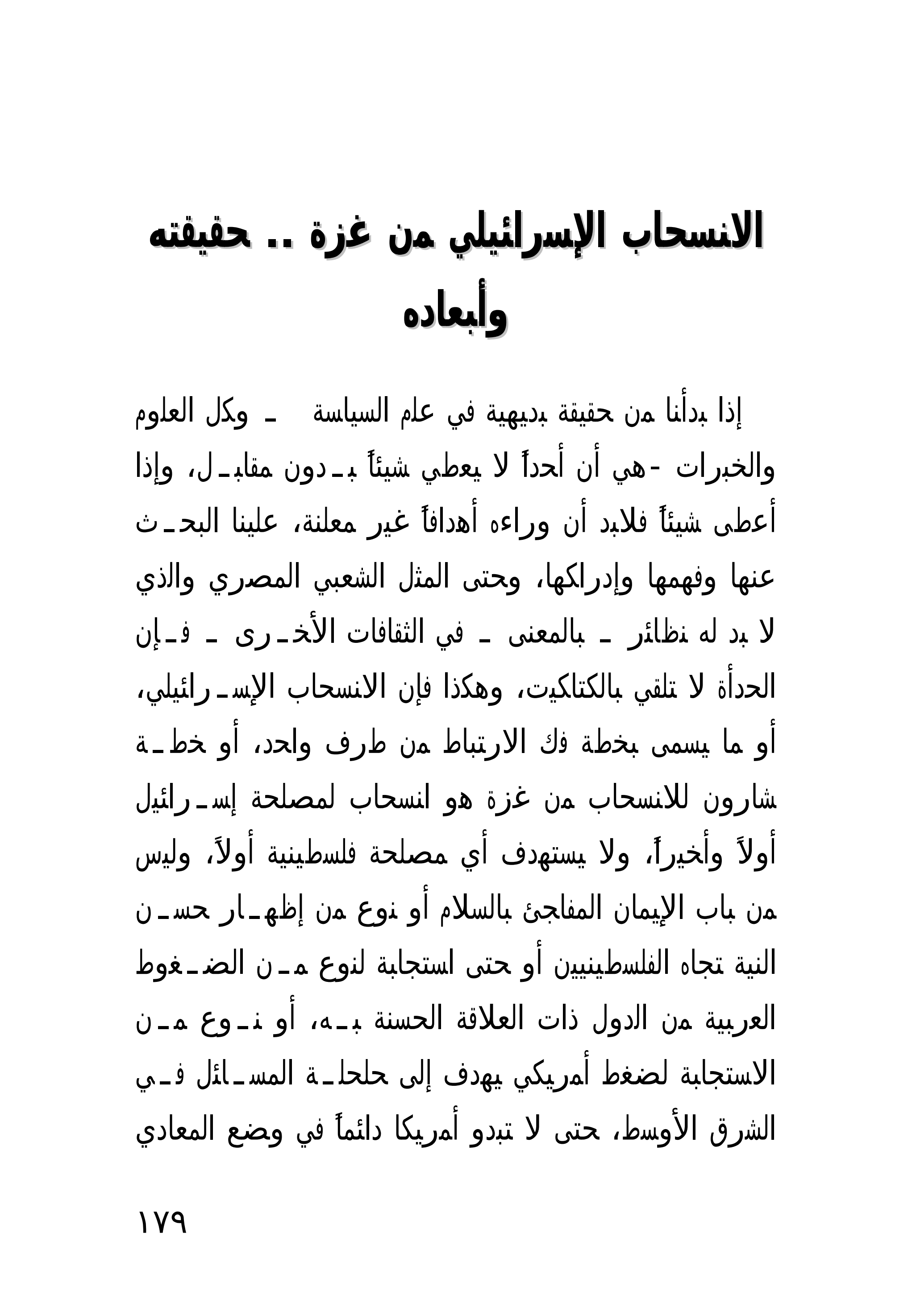
وهكذا فإننا أمام عملية كبيرة نوعياً ، اخترقـت حـواجز أمنية عالية المستوى ، في مكان هو الأشد حراسة في مصر ، بعربات مفخخة وبشحنات من المتفجرات كبيـرة نسـبياً ، واستهدفت تلك العملية مصريين أساساً ، وهي أمور لا تتفق مع أهداف القاعدة وإمكانياتها .

ومن ثم فإن البحث لابد أن يتجه إلى جهاز لـه إمكانـات استخباراتية ومادية عالية لتنفيذ ذلك العمل ، ولـيس هنـاك بالطبع إلا الموساد مرشحاً لهذا الدور !!.

أيا كان الفاعل وراء أحداث شرم الشيخ ،فمن السـهل أن ندين الإرهاب ونكتفي من الغنيمة ، وكفى ا المؤمنين شـر البحث والتحليل والتدقيق ، ولكن ما أصعب أن نـدخل إلـى حقيقة الظاهرة التي أصبحت مفروضة على الجميـع ولـيس هناك إمكانية للقضاء عليها على الأقل في المـدى القريـب ونبحث في جذورها وأسبابها الحقيقيـة ونواجـه هـذا وذاك برأينا فنتحمل بالتالي نتيجته من اغتصاب حكومات وأجهـزة ، واغتصاب جماعات العنف كذلك ، ولكن هذا قدر المفكـر والباحث الذي هو ضمير أمة .

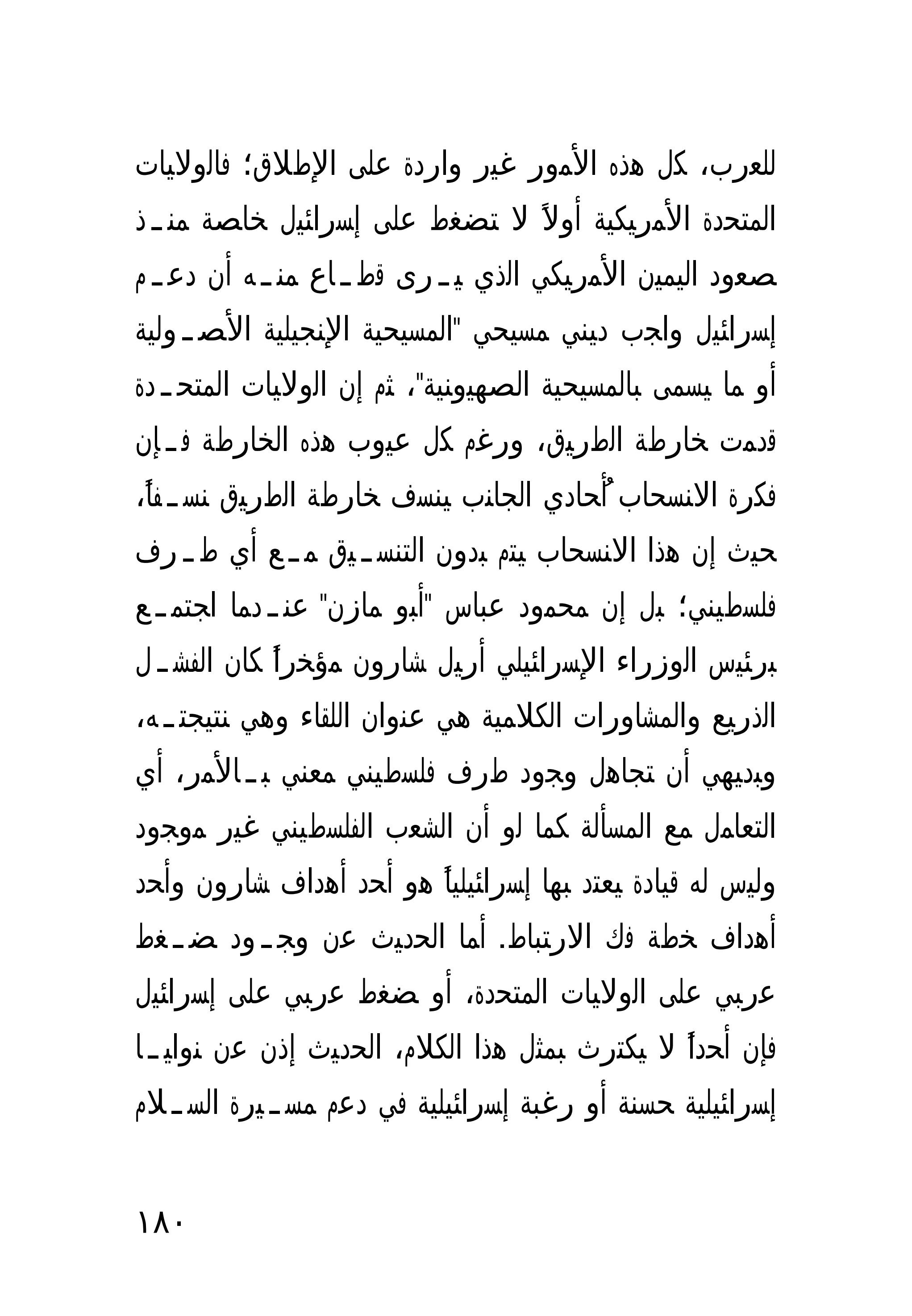
وبصراحة شديدة فإن الكثير من أعمال تنظـيم القاعـدة وجماعات العنف – ماعدا في العراق وفي فلسطين – غيـر مفهومة تماماً ، وكان من الممكن مثلاً أن تعلن القاعدة عقب أحداث لندن ٧ يوليو ٢٠٠٥ أنها تريد إعادة تقسيم الثروة في العالم ، وليس فقط الدفاع عن قضايا المسـلمين خاصـة أن اجتماعاً للثمانية الكبار اقتصادياً كان يتم في نفـس التوقيـت قريباً من لندن ، إذ لو أعلنت القاعدة مثلاً أنها سوف تتوقف عن العنف تماماً إذا ما تم شطب ديون كل دول العـالم بـلا استثناء ، وتخصيص ٥٠ % من ميزانية الدول الاستعمارية

للدول التي كانت مستعمرة لمدة ١٠٠ سنة مثلاً لإحداث نوع من تعديل الفجوة بين الأغنياء والفقراء أو غيرها مـن مثـل هذه القضايا ، لتفهم العالم قضية القاعدة أكثر مما هو موجود حالياً ، وكذلك لو ركزت القاعدة على العسكريين أو رمـوز الرأسمالية مثلاً وتركت المدنيين لكان ذلك أفضل لها وعلـى الجانب الآخر ، فإن المسئول الحقيقي عن الإرهاب في العالم هو الظلم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الذي ساد العالم منذ ٢٠٠ سنة على الأقل ونقصد سـيادة نمـط الرأسـمالية والاستعمار والاستغلال وإقامة إسرائيل واحـتلال العـراق وفلسطين وأفغانستان وانتهاك حقوق الإنسـان ولـن يكـف الضحايا عن الصراخ أو القفز في وجه المسـتكبرين سـواء بالهجرة غير الشرعية ، أو بالإرهاب أو غيرها من الوسائل ، والمسئول الحقيقي عن الإرهاب هي العولمة ، هي بكلمات بسيطة ممارسات وأفكار جورج بوش ، وأريل شارون.



الانسحاب الإسرائيلي من غزة .. حقيقته وأبعاده

إذا بدأنا من حقيقة بديهية في علم السياسة - وكل العلوم والخبرات - هي أن أحداً لا يعطي شيئاً بدون مقابل، وإذا أعطى شيئاً فلابد أن وراءه أهدافاً غير معلنة، علينا البحث عنها وفهمها وإدراكها، وحتى المثل الشعبي المصري والذي لا بد له نظائر - بالمعنى - في الثقافات الأخرى - فإن الحدأة لا تلقي بالكتاكيت، وهكذا فإن الانسحاب الإسرائيلي، أو ما يسمى بخطة فك الارتباط من طرف واحد، أو خطة شارون للانسحاب من غزة هو انسحاب لمصلحة إسرائيل أولاً وأخيراً، ولا يستهدف أي مصلحة فلسطينية أولاً، وليس من باب الإيمان المفاجئ بالسلام أو نوع من إظهار حسن النية تجاه الفلسطينيين أو حتى استجابة لنوع من الضغوط العربية من الدول ذات العلاقة الحسنة به، أو نوع من الاستجابة لضغط أمريكي يهدف إلى حلحلة المسائل في الشرق الأوسط، حتى لا تبدو أمريكا دائماً في وضع المعادي



للعرب، كل هذه الأمور غير واردة على الإطلاق؛ فالولايات المتحدة الأمريكية أولاً لا تضغط على إسرائيل خاصة منـذ صعود اليمين الأمريكي الذي يـرى قطـاع منـه أن دعـم إسرائيل واجب ديني مسيحي "المسيحية الإنجيلية الأصـولية أو ما يسمى بالمسيحية الصهيونية"، ثم إن الولايات المتحـدة قدمت خارطة الطريق، ورغم كل عيوب هذه الخارطة فـإن فكرة الانسحاب أُحادي الجانب ينسف خارطة الطريق نسـفاً، حيث إن هذا الانسحاب يتم بدون التنسـيق مـع أي طـرف فلسطيني؛ بل إن محمود عباس "أبو مازن" عنـدما اجتمـع برئيس الوزراء الإسرائيلي أريل شارون مؤخراً كان الفشـل الذريع والمشاورات الكلامية هي عنوان اللقاء وهي نتيجتـه، وبديهي أن تجاهل وجود طرف فلسطيني معني بـالأمر، أي التعامل مع المسألة كما لو أن الشعب الفلسطيني غير موجود وليس له قيادة يعتد بها إسرائيلياً هو أحد أهداف شارون وأحد أهداف خطة فك الارتباط. أما الحديث عن وجـود ضـغط عربي على الولايات المتحدة، أو ضغط عربي على إسرائيل فإن أحداً لا يكترث بمثل هذا الكلام، الحديث إذن عن نوايـا إسرائيلية حسنة أو رغبة إسرائيلية في دعم مسـيرة السـلام

المزعومة لا وجود له، بل إن شارون صرح للقناة الثانية في (التليفزيون) الإسرائيلي: "إن فك الارتباط يعني وضع مشروع التسوية على الرف لعدة عقود من الزمن، ولينس الفلسطينيون أي إمكانية للتنازل عن شبر من الأرض في الضفة الغربية وغور الأردن" .

وهكذا فإن الهدف من فك الارتباط له أبعاد كثيرة منها:

• إلغاء وجود اعتراف دولي بقيادة فلسطينية - معتدلة أو متطرفة التعامل مع القضية، وكأنه لا وجود للشعب الفلسطيني.

• التخلص من غزة بصفتها تمثل عبئاً أمنياً وسكانياً على إسرائيل، وهو أمر معروف في الدوائر السياسية الإسرائيلية منذ رابين الذي كان يحلم بإلقاء غزة في البحر، أو يصحو من النوم يوماً ولا يجد هذا القطاع موجوداً.

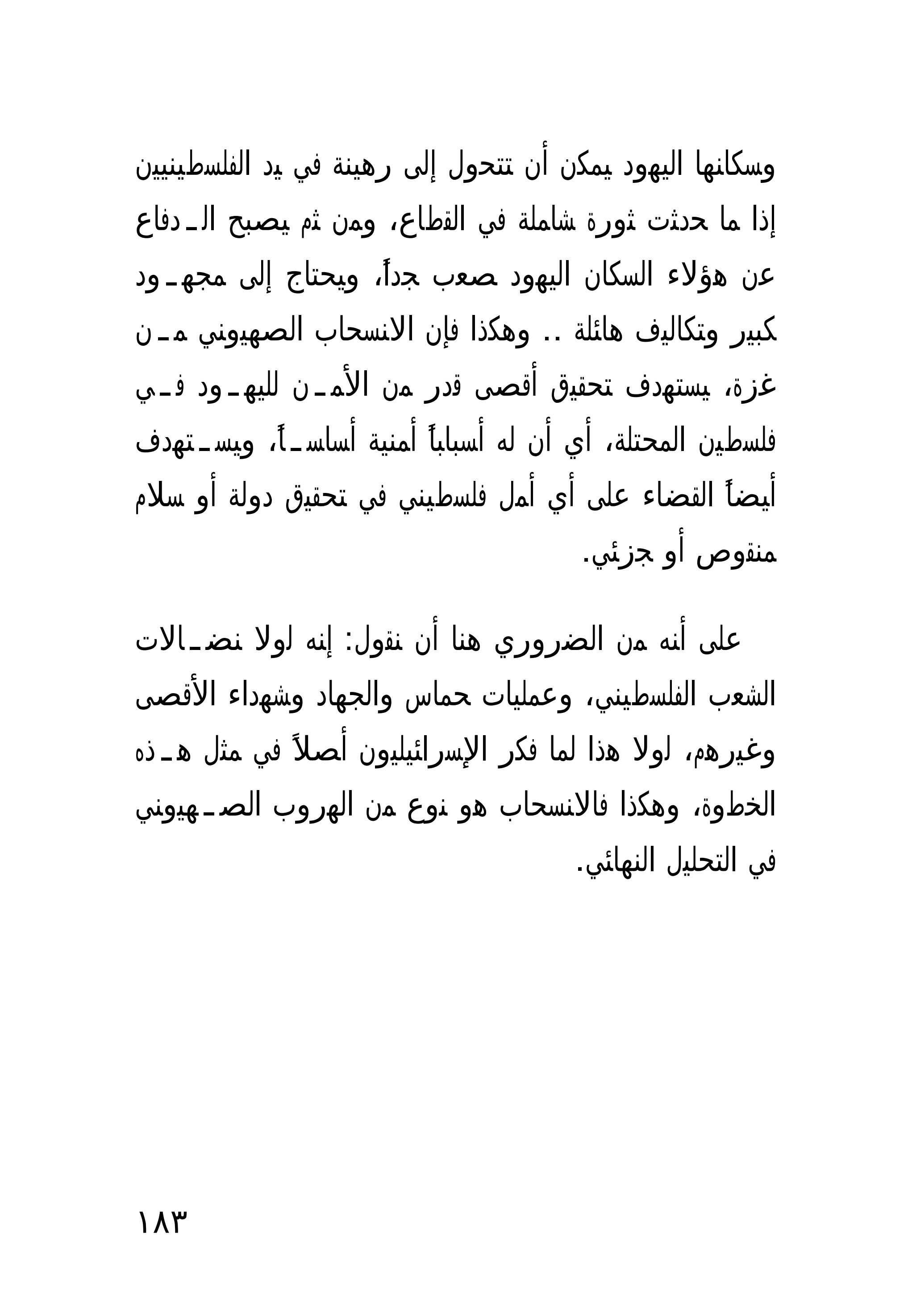
• تعطيل خارطة الطريق ووضع التسوية برمتها على الرف.

• قطع الطريق على إقامة دولة فلسطينية، وهو ما عبـر عنه مدير مكتـب شـارون (دوف نايسـجلاس) لصـحيفة (هآرتس) قائلاً: "إن الهدف من خطة فك الارتباط هو قطـع الطريق على إقامة دولة فلسطينية".

• التركيز على موضوع الاستيطان في الضـفة الغربيـة ودعم تهويد مدينة القدس بكاملها، وهو ما حدث قبل وأثنـاء وبعد خطة فك الارتباط، يقول وزيـر الـدفاع الصـهيوني موفاز: "إن خطة فك الارتباط تستهدف إحداث طفرة هائلـة في المشروع الاستيطاني في الضفة الغربية".

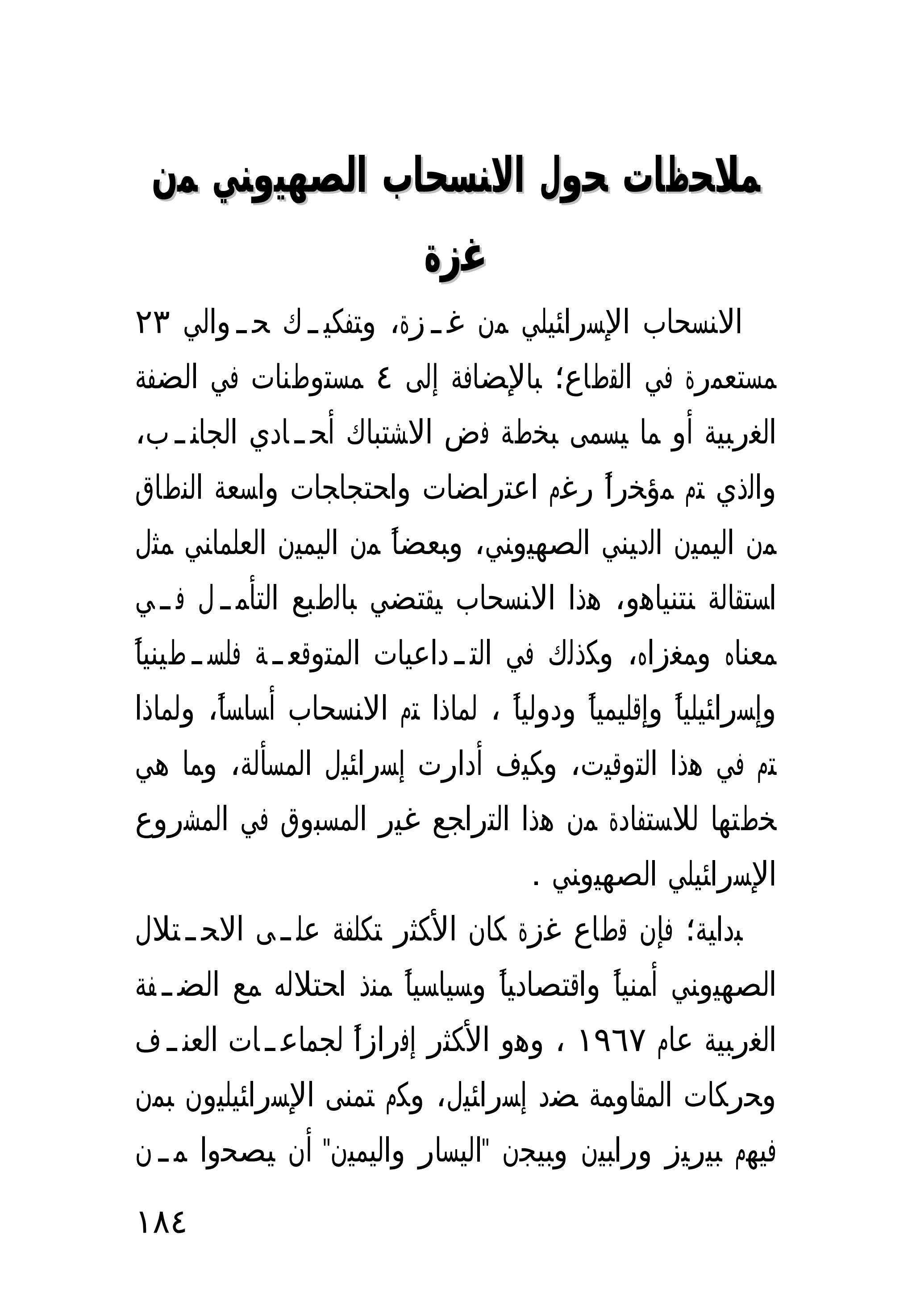
• إن الاستمرار في البقاء في المستوطنات في غـزة، لا يتفق مع الحائط الأمني الذي أقامته إسرائيل والذي استهدفت منه وضع سياج أمني حول كل السـكان والمـدن والقـرى الصهيونية، ومنع تسلل الفدائيين بالتالي؛ وبديهي أن مسـار الجدار لا يمكنه أن يحيط بالمستعمرات في غزة.

• إن استمرار وجود المستعمرات في غزة، رغم أن لهـا بعض الأهمية العسكرية بالنسبة للجيش الإسرائيلي للوثـوب منها على المدن والقرى في غزة، إلا أن تلك المسـتعمرات



وسكانها اليهود يمكن أن تتحول إلى رهينة في يد الفلسطينيين إذا ما حدثت ثورة شاملة في القطاع، ومن ثم يصبح الـدفاع عن هؤلاء السكان اليهود صعب جداً، ويحتاج إلى مجهـود كبير وتكاليف هائلة .. وهكذا فإن الانسحاب الصهيوني مـن غزة، يستهدف تحقيق أقصى قدر من الأمـن لليهـود فـي فلسطين المحتلة، أي أن له أسباباً أمنية أساسـاً، ويسـتهدف أيضاً القضاء على أي أمل فلسطيني في تحقيق دولة أو سلام منقوص أو جزئي.

على أنه من الضروري هنا أن نقول: إنه لولا نضـالات الشعب الفلسطيني، وعمليات حماس والجهاد وشهداء الأقصى وغيرهم، لولا هذا لما فكر الإسرائيليون أصلاً في مثل هـذه الخطوة، وهكذا فالانسحاب هو نوع من الهروب الصـهيوني في التحليل النهائي.



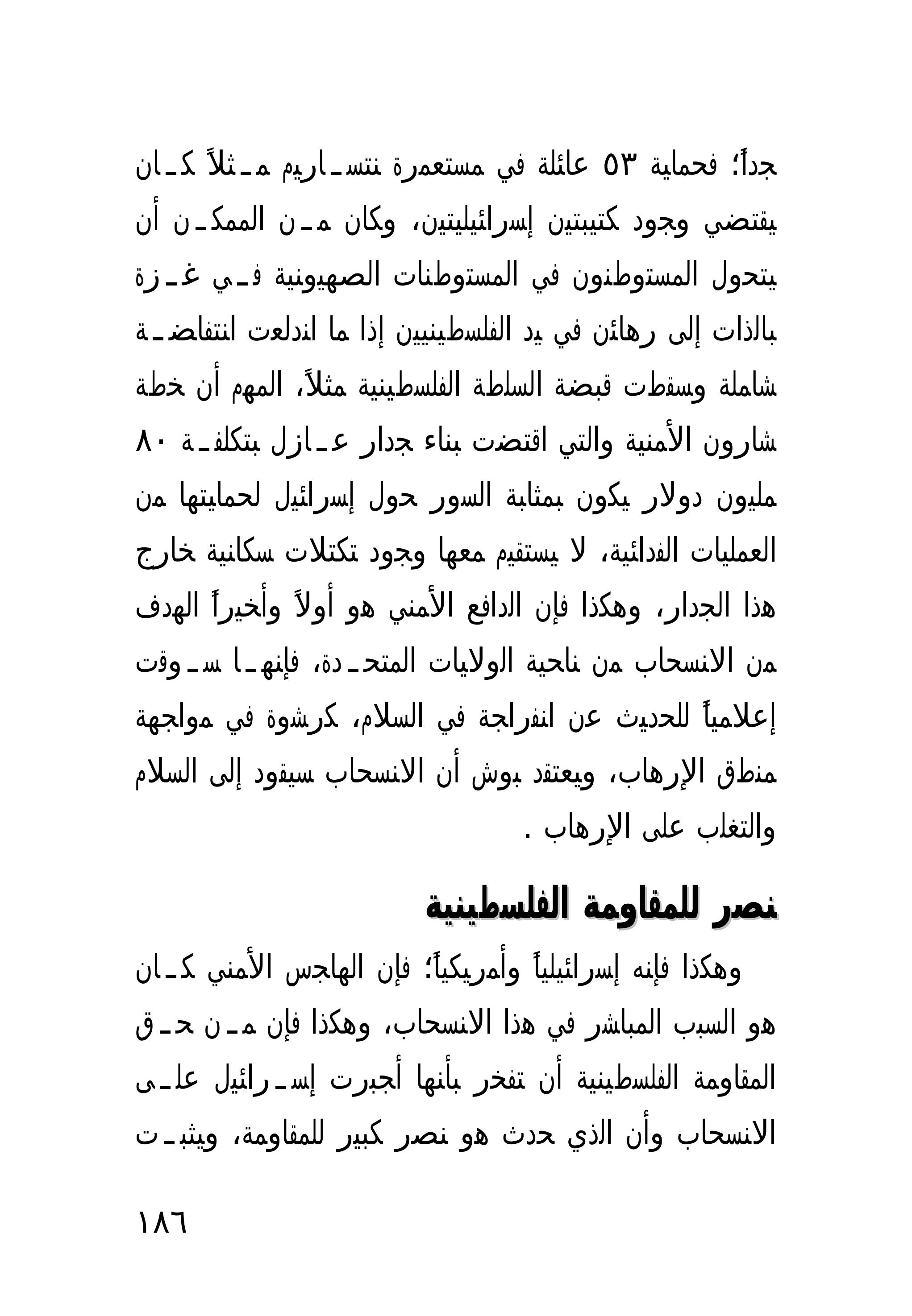
ملاحظات حول الانسحاب الصهيوني من غزة

الانسحاب الإسرائيلي من غـزة، وتفكيـك حـوالي ٢٣ مستعمرة في القطاع؛ بالإضافة إلى ٤ مستوطنات في الضفة الغربية أو ما يسمى بخطة فض الاشتباك أحـادي الجانـب، والذي تم مؤخراً رغم اعتراضات واحتجاجات واسعة النطاق من اليمين الديني الصهيوني، وبعضاً من اليمين العلماني مثل استقالة نتنياهو، هذا الانسحاب يقتضي بالطبع التأمـل فـي معناه ومغزاه، وكذلك في التـداعيات المتوقعـة فلسـطينياً وإسرائيلياً وإقليمياً ودولياً ، لماذا تم الانسحاب أساساً، ولماذا تم في هذا التوقيت، وكيف أدارت إسرائيل المسألة، وما هي خطتها للاستفادة من هذا التراجع غير المسبوق في المشروع الإسرائيلي الصهيوني .

بداية؛ فإن قطاع غزة كان الأكثر تكلفة علـى الاحـتلال الصهيوني أمنياً واقتصادياً وسياسياً منذ احتلاله مع الضـفة الغربية عام ١٩٦٧ ، وهو الأكثر إفرازاً لجماعـات العنـف وحركات المقاومة ضد إسرائيل، وكم تمنى الإسرائيليون بمن فيهم بيريز ورابين وبيجن "اليسار واليمين" أن يصحوا مـن

النوم يوماً فلا يجدون هذا القطاع موجوداً على الخريطة على حد قول رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إسحق رابـين أو أن يتم اقتطاع هذا الجزء من الأرض وإلقاؤه في البحر على حد قول مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، تبلغ مساحة قطاع غزة ٣٦٥ كيلو متر مربع وهو يمثل ١ % من مساحة فلسطين التاريخية، و ٦ % من مساحة الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ "الضفة الغربية وقطاع غزة"، يعيش فـي هذا القطاع ٣ و ١ مليون نسمة، أي أن الثقافة السكانية فـي القطاع هي الأعلى - ربما في العالم . وهو قطاع فقير فـي الموارد الاقتصادية والطبيعية . وهكذا فإن القطاع كـان ذو تكلفة أمنية عالية على الكيان الصـهيوني ومـن ثـم فـإن الانسحاب كان لهذا السبب أولاً، ثم تحت ضـغط عمليـات المقاومة والانتفاضة الفلسطينية ثانياً، ثم لتطـور الأوضـاع الدولية والإقليمية ثالثاً .

من ناحيته فإن رئيس الوزراء الإسرائيلي أريل شـارون أوضح أكثر من مرة، آخرها في خطابه عند بـدء عمليـات الانسحاب ١٥ / ٨ / ٢٠٠٥ ، أن سبب الانسحاب هو تحقيق الأمن لإسرائيل، لأن حماية المستوطنات في غزة كان باهظاً



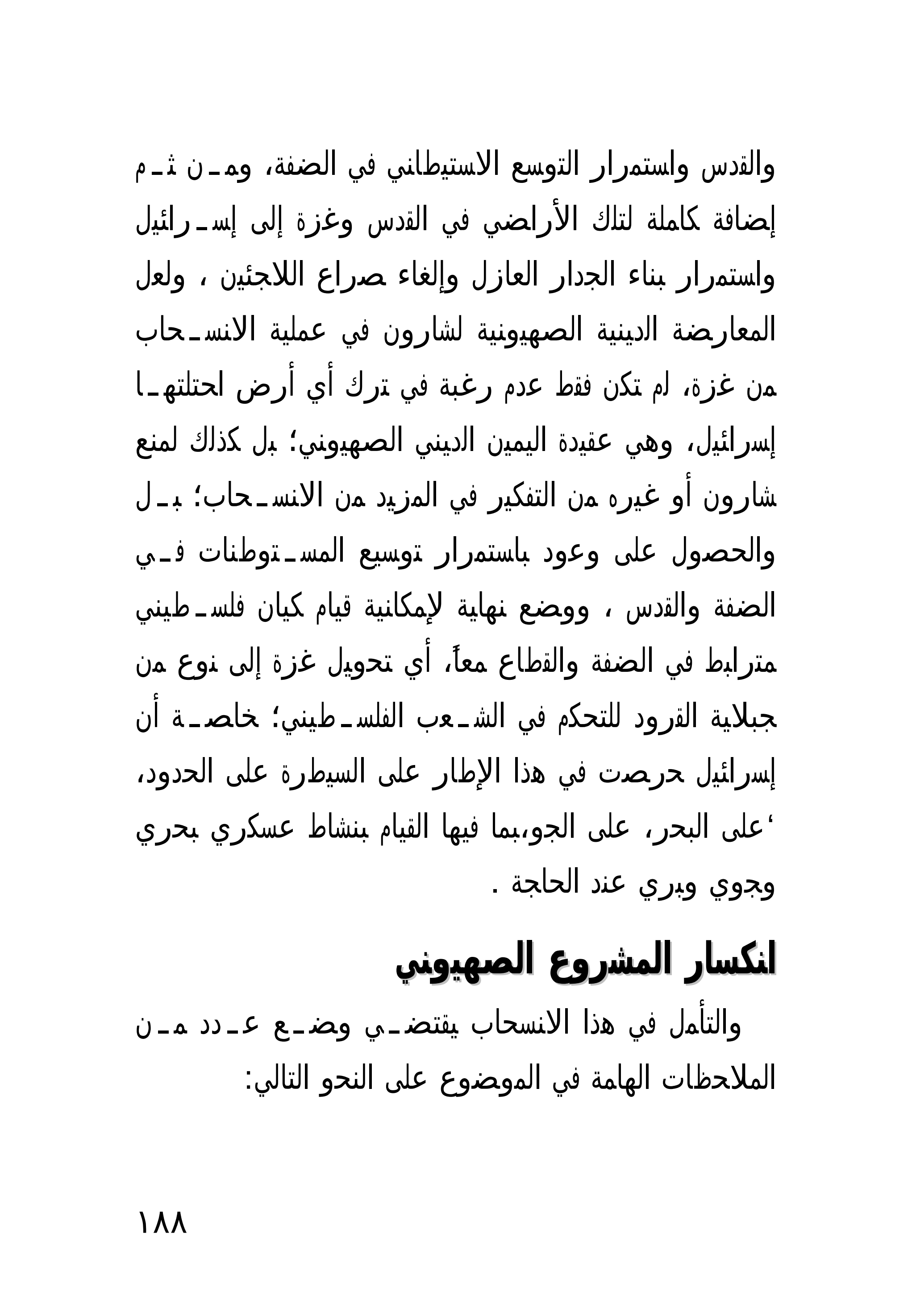
جداً؛ فحماية ٥٣ عائلة في مستعمرة نتساريم مثلاً كان يقتضي وجود كتيبتين إسرائيليتين، وكان من الممكن أن يتحول المستوطنون في المستوطنات الصهيونية في غزة بالذات إلى رهائن في يد الفلسطينيين إذا ما اندلعت انتفاضة شاملة وسقطت قبضة السلطة الفلسطينية مثلاً، المهم أن خطة شارون الأمنية والتي اقتضت بناء جدار عازل بتكلفة ٨٠ مليون دولار يكون بمثابة السور حول إسرائيل لحمايتها من العمليات الفدائية، لا يستقيم معها وجود تكتلات سكانية خارج هذا الجدار، وهكذا فإن الدافع الأمني هو أولاً وأخيراً الهدف من الانسحاب من ناحية الولايات المتحدة، فإنها سوقت إعلامياً للحديث عن انفراجة في السلام، كرشوة في مواجهة منطق الإرهاب، ويعتقد بوش أن الانسحاب سيقود إلى السلام والتغلب على الإرهاب .

نصر للمقاومة الفلسطينية

وهكذا فإنه إسرائيلياً وأمريكياً؛ فإن الهاجس الأمني كان هو السبب المباشر في هذا الانسحاب، وهكذا فإن من حق المقاومة الفلسطينية أن تفخر بأنها أجبرت إسرائيل على الانسحاب وأن الذي حدث هو نصر كبير للمقاومة، ويثبت

أن المقاومة وحدها هـي الطريـق إلـى التحريـر ولـيس المفاوضات . ومن المثير هنا أن نقـول إن أريـل شـارون اختار الانسحاب بدون التنسيق مع السـلطة الفلسـطينية ولا الدول العربية ودون توقيع اتفاق ما معها، لأنه يعرف أنهـا أصلاً ليست طرفاً في الموضوع؛ فالصـراع بينـه وبـين حركات المقاومة والشعب الفلسطيني المنتفض، ومن ثم فـإن هذه الحكومات لا تقدم ولا تؤخر في الموضوع، ثم إن عـدم توقيع اتفاقات مع السلطة أو الحكومات العربيـة لا يجعلـه ملتزماً بشيء ، إذا ما خفت حـدة المقاومـة والانتفاضـة، وأرادت إسرائيل أن تحتل قطاع غزة من جديـد مؤقتـاً أو بصورة دائمة، وهكذا فإن إصرار حركات المقاومة "حمـاس والجهاد وكتائب شهداء الأقصـى" علـى المحافظـة علـى سلاحها، وكوادرها الاستشهادية، ليس فقط من أجل استكمال مشروع التحرير؛ بل لحماية استقلال غزة ذاتها وتأمين هـذا المكسب الذي تحقق بفضل دماء الشهداء .

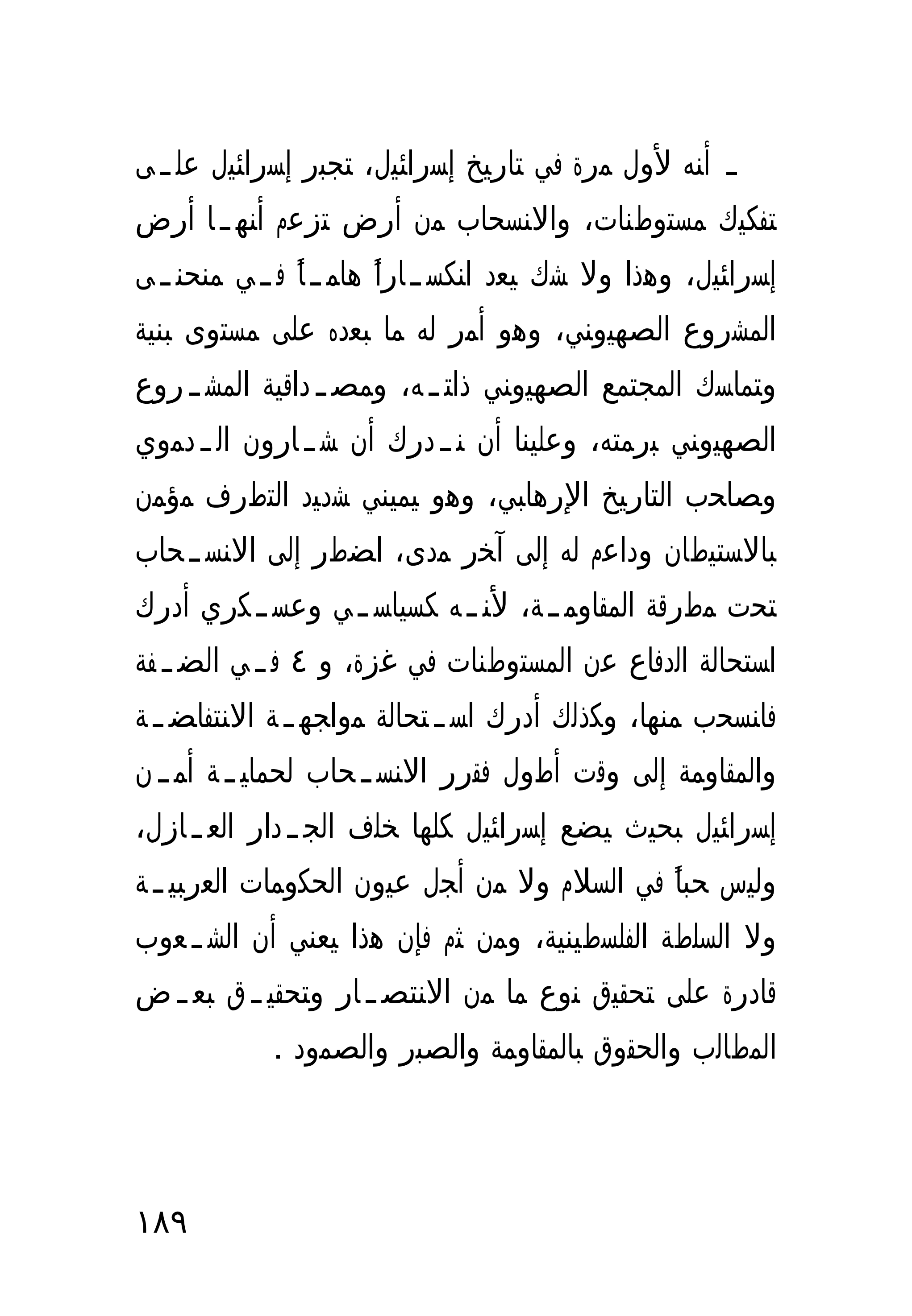
إسرائيل بالطبع لن تعطي مكسباً للفلسـطينيين إلا وهـو مسموم وملغوم، فمن ناحية فإن الحكومة الإسرائيلية حصلت على موافقة أمريكية على إغلاق ملف اللاجئين الفلسـطينيين



والقدس واستمرار التوسع الاستيطاني في الضفة، ومـن ثـم إضافة كاملة لتلك الأراضي في القدس وغزة إلى إسـرائيل واستمرار بناء الجدار العازل وإلغاء صراع اللاجئين ، ولعل المعارضة الدينية الصهيونية لشارون في عملية الانسـحاب من غزة، لم تكن فقط عدم رغبة في ترك أي أرض احتلتهـا إسرائيل، وهي عقيدة اليمين الديني الصهيوني؛ بل كذلك لمنع شارون أو غيره من التفكير في المزيد من الانسـحاب؛ بـل والحصول على وعود باستمرار توسيع المسـتوطنات فـي الضفة والقدس ، ووضع نهاية لإمكانية قيام كيان فلسـطيني مترابط في الضفة والقطاع معاً، أي تحويل غزة إلى نوع من جبلاية القرود للتحكم في الشـعب الفلسـطيني؛ خاصـة أن إسرائيل حرصت في هذا الإطار على السيطرة على الحدود، ،على البحر، على الجو،بما فيها القيام بنشاط عسكري بحري وجوي وبري عند الحاجة .

انكسار المشروع الصهيوني

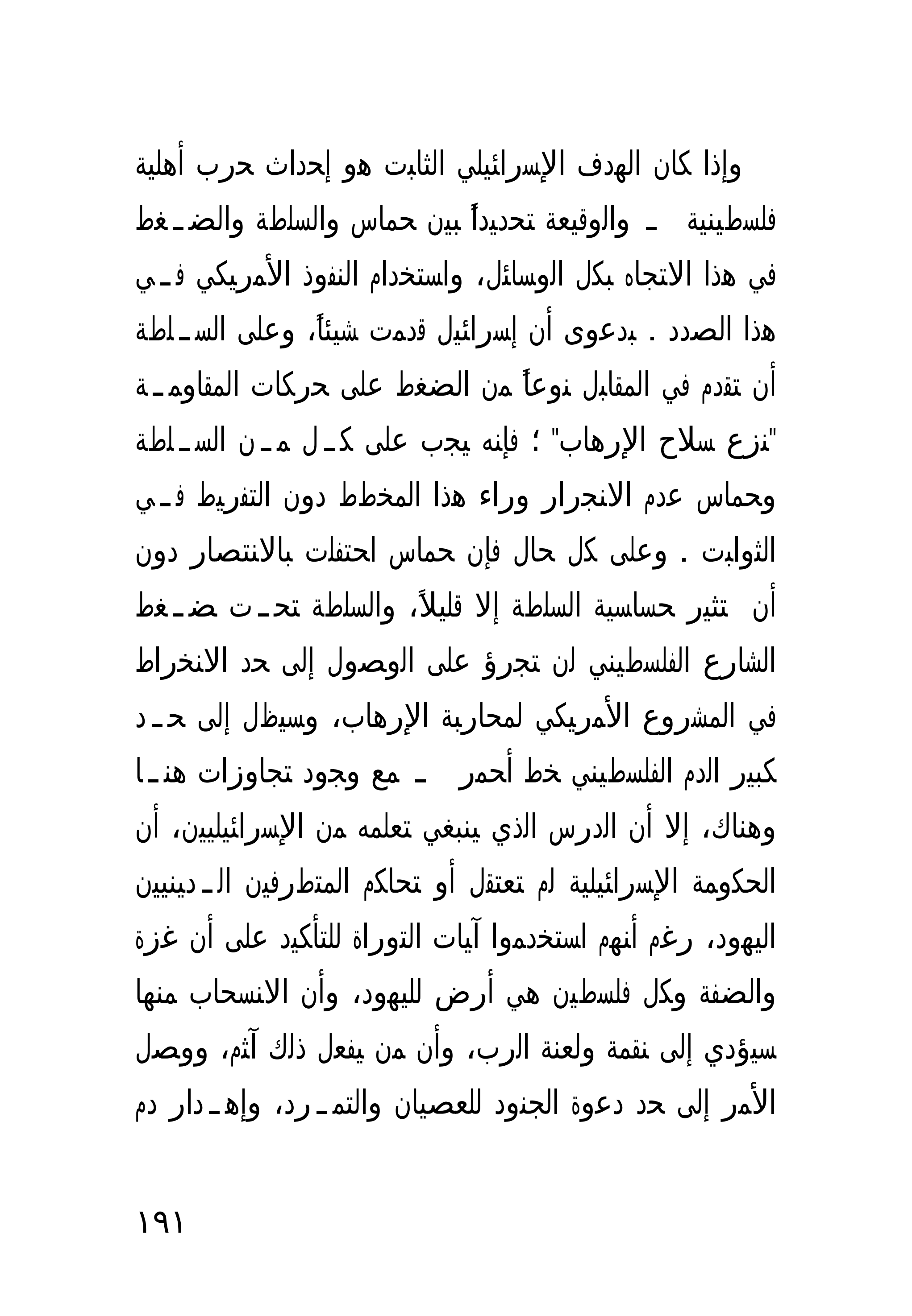
والتأمل في هذا الانسحاب يقتضـي وضـع عـدد مـن الملاحظات الهامة في الموضوع على النحو التالي:



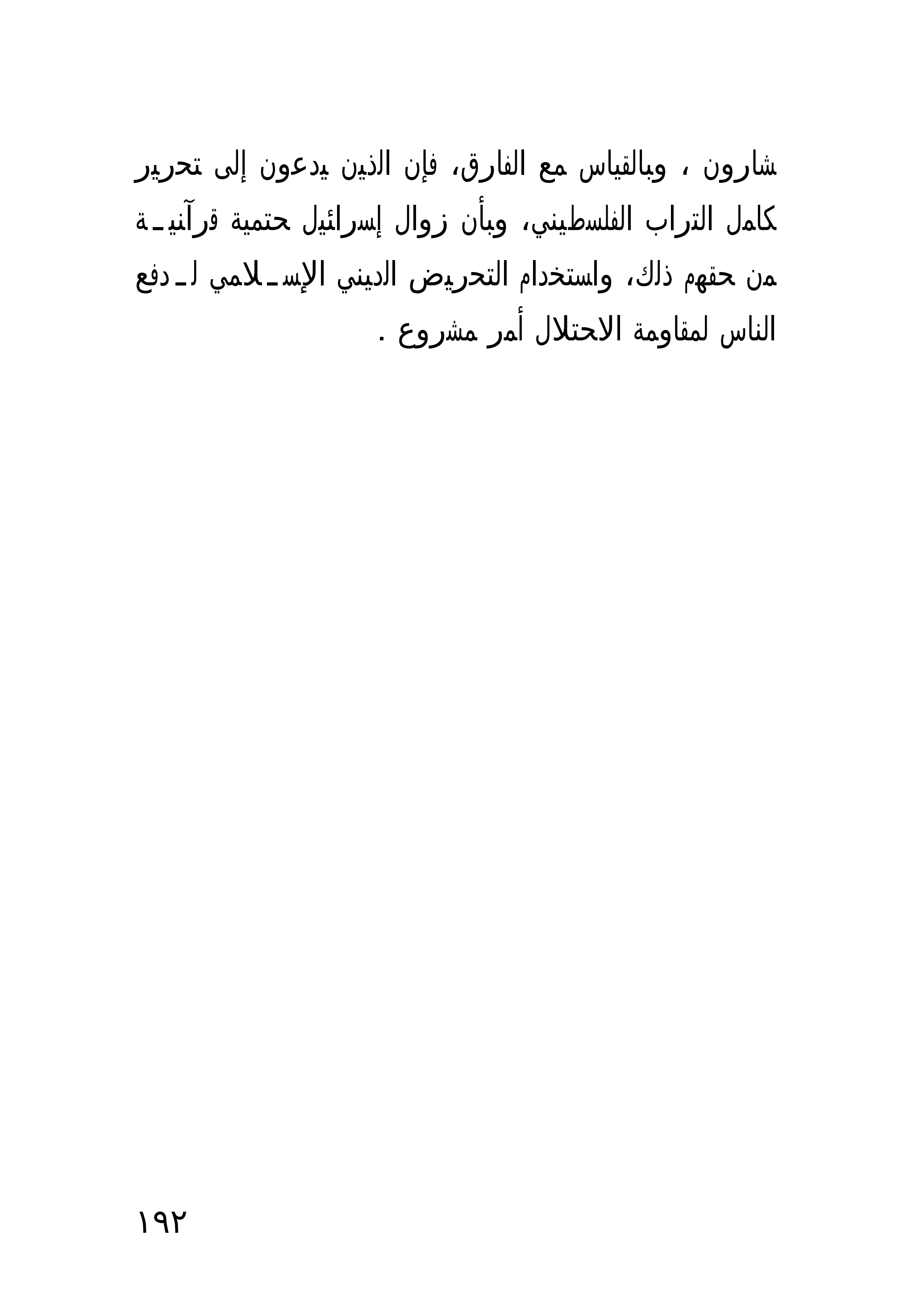
ـ أنه لأول مرة في تاريخ إسرائيل، تجبر إسرائيل علـى تفكيك مستوطنات، والانسحاب من أرض تزعم أنهـا أرض إسرائيل، وهذا ولا شك يعد انكسـاراً هامـاً فـي منحنـى المشروع الصهيوني، وهو أمر له ما بعده على مستوى بنية وتماسك المجتمع الصهيوني ذاتـه، ومصـداقية المشـروع الصهيوني برمته، وعلينا أن نـدرك أن شـارون الـدموي وصاحب التاريخ الإرهابي، وهو يميني شديد التطرف مؤمن بالاستيطان وداعم له إلى آخر مدى، اضطر إلى الانسـحاب تحت مطرقة المقاومـة، لأنـه كسياسـي وعسـكري أدرك استحالة الدفاع عن المستوطنات في غزة، و ٤ فـي الضـفة فانسحب منها، وكذلك أدرك اسـتحالة مواجهـة الانتفاضـة والمقاومة إلى وقت أطول فقرر الانسـحاب لحمايـة أمـن إسرائيل بحيث يضع إسرائيل كلها خلف الجـدار العـازل، وليس حباً في السلام ولا من أجل عيون الحكومات العربيـة ولا السلطة الفلسطينية، ومن ثم فإن هذا يعني أن الشـعوب قادرة على تحقيق نوع ما من الانتصـار وتحقيـق بعـض المطالب والحقوق بالمقاومة والصبر والصمود .

ومن المفيد هنا أن نقول أن قوة مطرقة المقاومـة جعـل شارون يضحي ـ ربما بمستقبله السياسي، وتماسك الديكور من خلفه؛ بل وبصدور فتاوى بقتله من الحاخامات لأنه أدرك استحالة حماية أن إسرائيل إلا بالانسحاب . وفي هذا الصدد؛ فإن اليمين الديني الإسرائيلي كان قد أفتى بإهدار دم شارون، ودعا الجنود إلى عصيان الأوامر، وأن التوراة تنص علـى عدم جواز الانسحاب، وتكفير كل من يساهم أو يقبل بـ ذلك؛ بل واستخدام النص الديني بكثرة فـي التفكيـر والتخـوين والدعوة إلى التمرد والعصيان وإهدار دم شـارون ....الـخ ولمع في هذا الصدد أسماء حاخامات مثل عوفاديا يوسـف، ،أسحق خدوري، والحاخام إبراهام شابيرا . ومع ذلـك لـم يتحرك أحد الأمريكان أو الغربيين أو المعلقـين السياسـيين للحديث عن بنية الإرهاب في الدين اليهودي أو الدعوة إلـى تطوير التعليم الديني اليهودي أو إغلاق المدارس الدينية، أو وضع قوائم بهؤلاء المتطرفين والداعين إلى العنف والتمـرد ـ لمنعهم من دخول أوروبا وأمريكا مثلاً كما يحـدث بمـا يسمى بالتطرف الإسلامي!! .

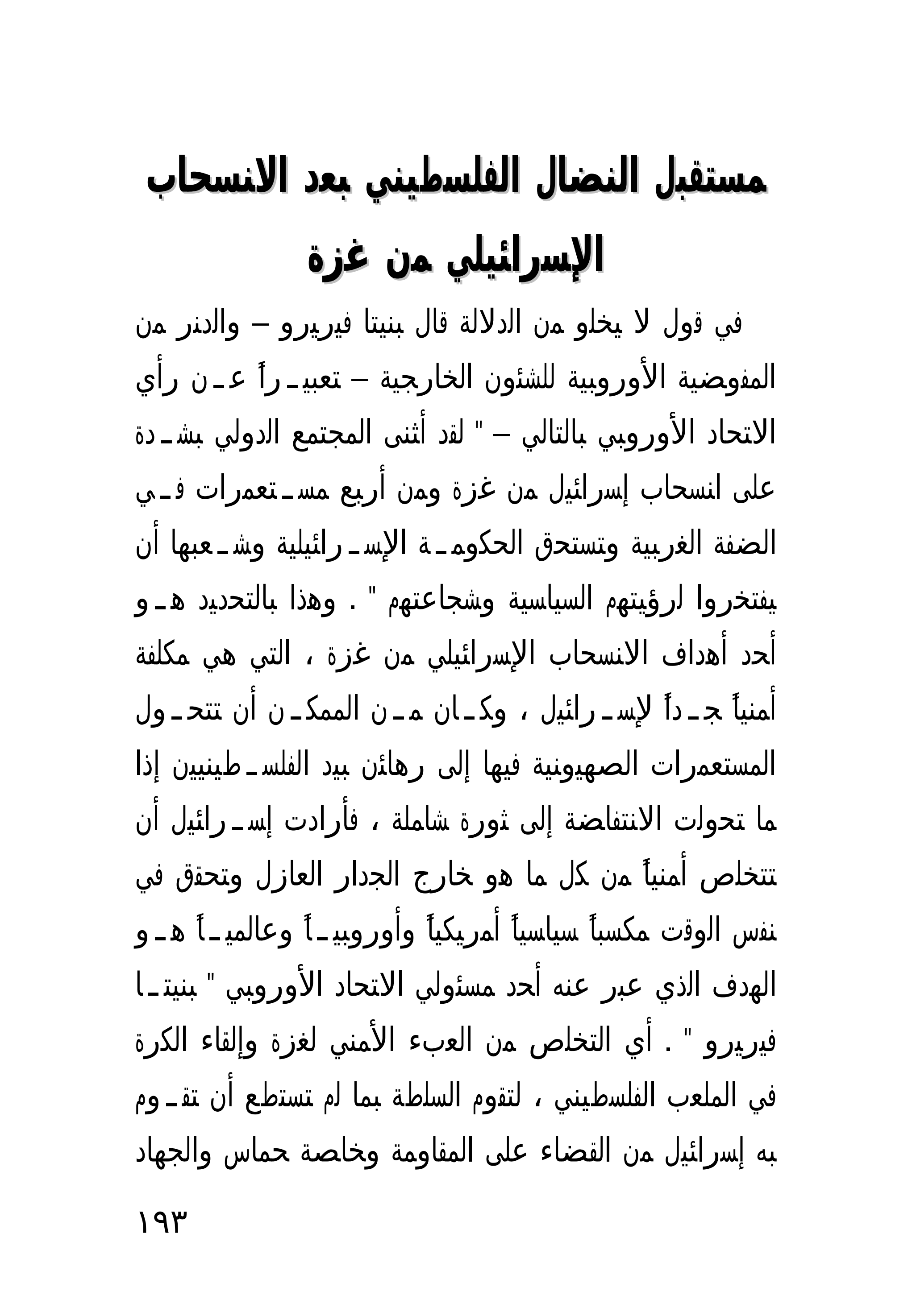
محاولة إشعال الفتنة



وإذا كان الهدف الإسرائيلي الثابت هو إحداث حرب أهلية فلسطينية - والوقيعة تحديداً بين حماس والسلطة والضغط في هذا الاتجاه بكل الوسائل، واستخدام النفوذ الأمريكي في هذا الصدد . بدعوى أن إسرائيل قدمت شيئاً، وعلى السلطة أن تقدم في المقابل نوعاً من الضغط على حركات المقاومة "نزع سلاح الإرهاب" ؛ فإنه يجب على كل من السلطة وحماس عدم الانجرار وراء هذا المخطط دون التفريط في الثوابت . وعلى كل حال فإن حماس احتفلت بالانتصار دون أن تثير حساسية السلطة إلا قليلاً، والسلطة تحت ضغط الشارع الفلسطيني لن تجرؤ على الوصول إلى حد الانخراط في المشروع الأمريكي لمحاربة الإرهاب، وسيظل إلى حد كبير الدم الفلسطيني خط أحمر - مع وجود تجاوزات هنا وهناك، إلا أن الدرس الذي ينبغي تعلمه من الإسرائيليين، أن الحكومة الإسرائيلية لم تعتقل أو تحاكم المتطرفين الدينيين اليهود، رغم أنهم استخدموا آيات التوراة للتأكيد على أن غزة والضفة وكل فلسطين هي أرض لليهود، وأن الانسحاب منها سيؤدي إلى نقمة ولعنة الرب، وأن من يفعل ذلك آثم، ووصل الأمر إلى حد دعوة الجنود للعصيان والتمرد، وإهدار دم



شارون ، وبالقياس مع الفارق، فإن الذين يدعون إلى تحرير كامل التراب الفلسطيني، وبأن زوال إسرائيل حتمية قرآنيـة من حقهم ذلك، واستخدام التحريض الديني الإسـلامي لـدفع الناس لمقاومة الاحتلال أمر مشروع .

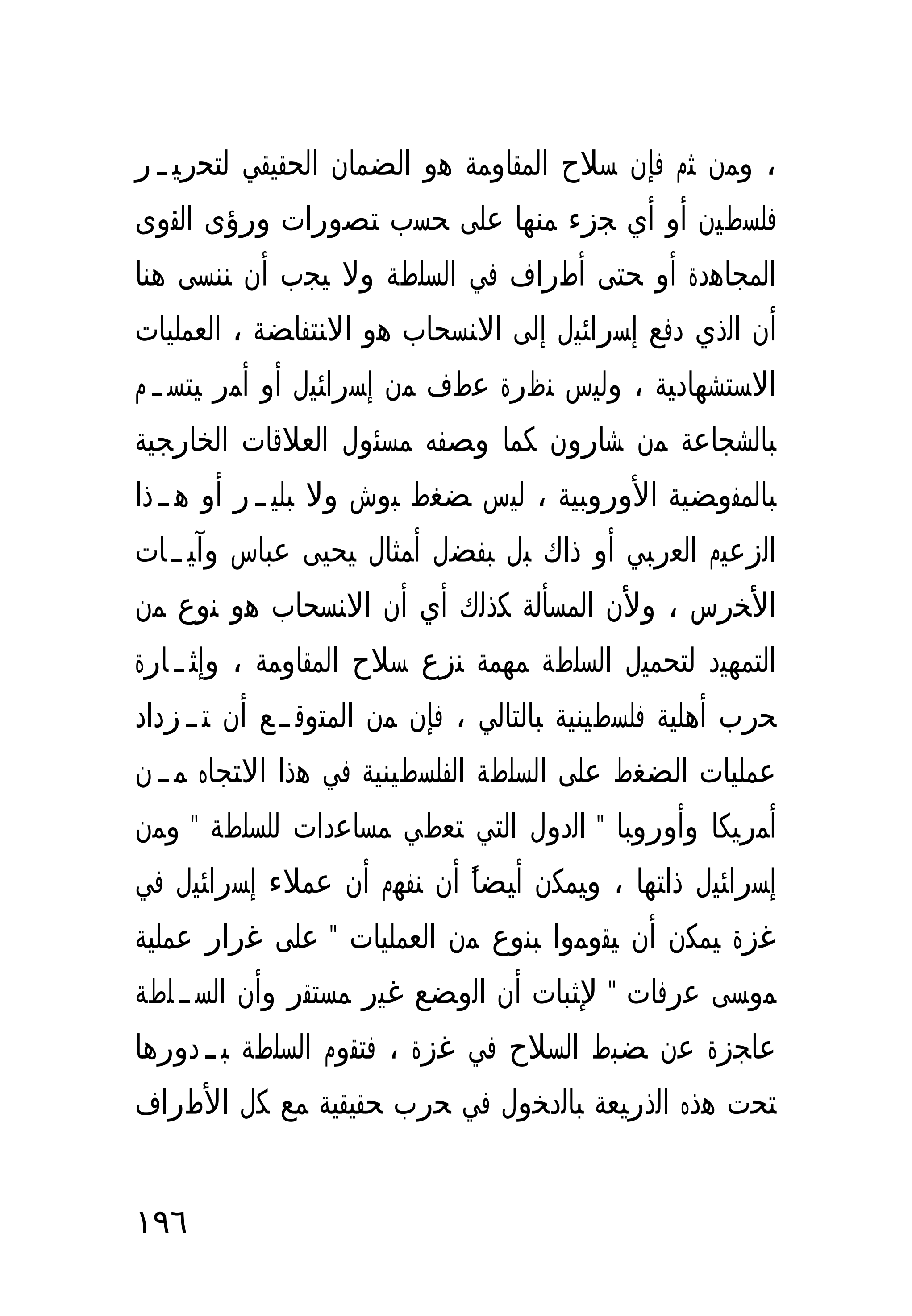


مستقبل النضال الفلسطيني بعد الانسحاب الإسرائيلي من غزة

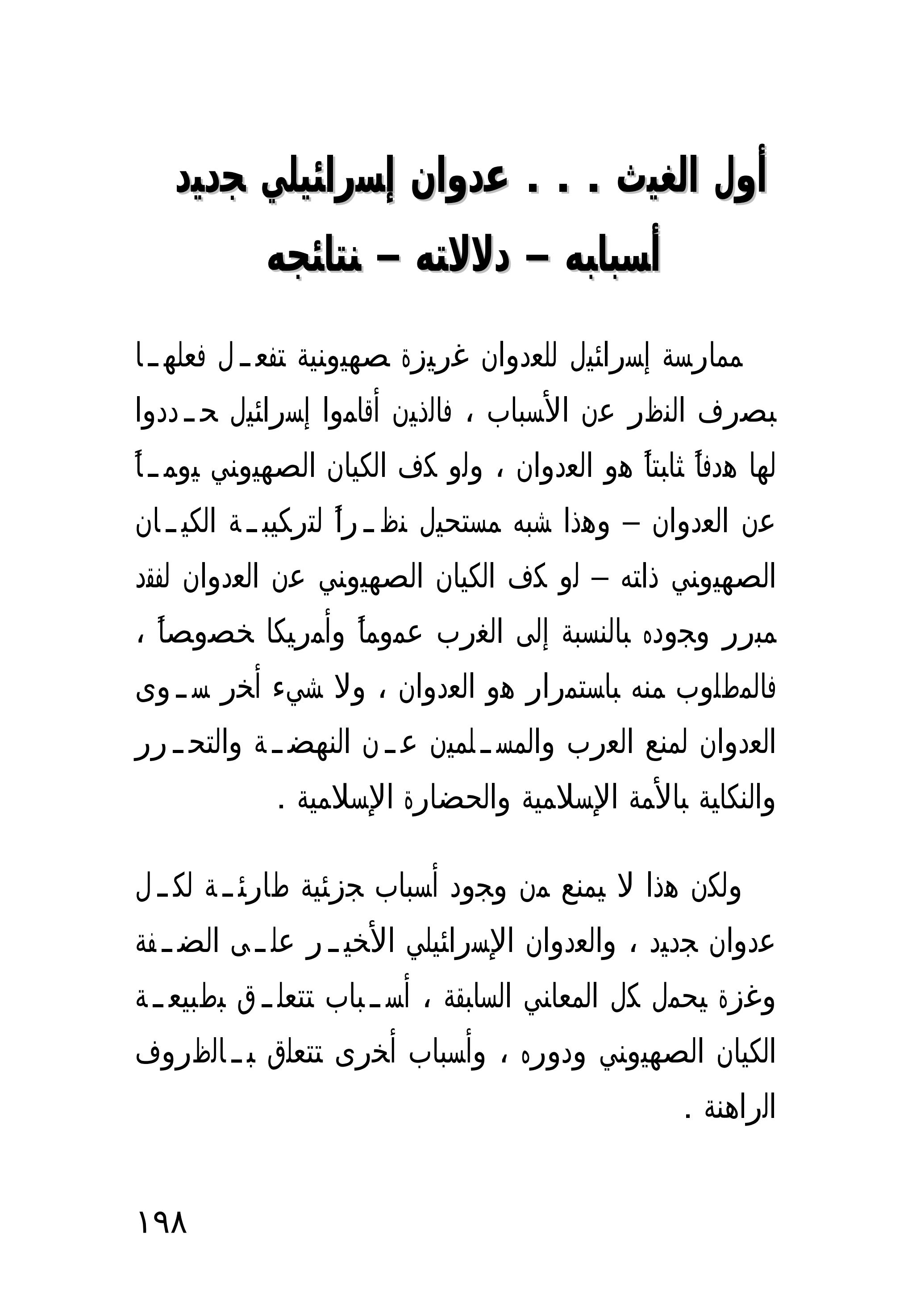
في قول لا يخلو من الدلالة قال بنيتا فيريرو – والدنر من المفوضية الأوروبية للشئون الخارجية – تعبيـراً عـن رأي الاتحاد الأوروبي بالتالي – " لقد أثنى المجتمع الدولي بشـدة على انسحاب إسرائيل من غزة ومن أربع مسـتعمرات فـي الضفة الغربية وتستحق الحكومـة الإسـرائيلية وشـعبها أن يفتخروا لرؤيتهم السياسية وشجاعتهم " . وهذا بالتحديد هـو أحد أهداف الانسحاب الإسرائيلي من غزة ، التي هي مكلفة أمنياً جـداً لإسـرائيل ، وكـان مـن الممكـن أن تتحـول المستعمرات الصهيونية فيها إلى رهائن بيد الفلسـطينيين إذا ما تحولت الانتفاضة إلى ثورة شاملة ، فأرادت إسـرائيل أن تتخلص أمنياً من كل ما هو خارج الجدار العازل وتحقق في نفس الوقت مكسباً سياسياً أمريكياً وأوروبيـاً وعالميـاً هـو الهدف الذي عبر عنه أحد مسئولي الاتحاد الأوروبي " بنيتـا فيريرو " . أي التخلص من العبء الأمني لغزة وإلقاء الكرة في الملعب الفلسطيني ، لتقوم السلطة بما لم تستطع أن تقـوم به إسرائيل من القضاء على المقاومة وخاصة حماس والجهاد

الإسلامي . يضيف نفس الشخص " بنيتا فيريرو " قائلاً " إن الثقة التي يمكن توليدها في الشهور القادمة سوف يتم حتمـاً القضاء عليها إذا لم يتم مجابهـة العنـف " . . . إذاً فلـيس المطلوب هذا إسرائيلياً فقط ، بل أصـبح رؤيـة إسـرائيلية أمريكية أوروبية ولا مانع من تسويقها عالمياً . ولعلنا هنا لا نضيف جديداً ، إذا قلنا أن الولايات المتحدة تضع كل حماس والجهاد وشهداء الأقصى على جدول الإرهـاب المطلـوب تصفيته وقامت الأجهزة الأمريكية بعمل قضايا وملاحقـات لرعايا أمريكيين من أصل فلسطيني أو عربي بتهمة تمويـل حماس أو الجهاد ، وكذا أعلن جورج بوش مؤخراً – ومـن قبل – أن على السلطة أن تتخلص من كل من يقاتل إسرائيل في الضفة وغزة وإلا فلا مبـرر لهـا وربـط المعونـات الأمريكية والاستمرار في خارطة الطريق بهـذا الشـرط – وهو نفس التصور الإسرائيلي – فقد أعلن أريل شـارون أن خارطة الطريق ليست موضع نقاش الآن وأن إسرائيل لـن تفاوض بشأنها مادام هناك فلسطينيون يقاتلون إسرائيل ! ! .
، إذاً فالمطلوب إدماج حماس في العمليـة السياسـية ، أو تصفيتها ، وإذا كان إدماج حماس في العملية السياسية هـو

نوع من الفخ ، فإن تصريحات بوش وشارون إما أن تعنـي دفع حماس للاتجاه في الاندماج في العملية السياسية بدعوى معاندة أمريكا وإسرائيل وإما أن أمريكا وإسرائيل لا ترضيان بأقل من ذبح حماس . من قبل فإن الاتحاد الأوروبي كان قد وضع حماس والجهاد على جدول الإرهاب ، ووصف حماس بأنها منظمة إرهابية ومع الانسحاب الإسرائيلي ، فإننا أمـام ضغط إسرائيلي – أوروبي أمريكي يتم تسويقه عالمياً لنـزع سلاح المقاومة . أي عملياً إنهاء القضـية الفلسـطينية ، لأن إسرائيل ومعها أمريكا من خلال وعد بـوش ، لا تريـدان الحديث أصلاً عن القدس واللاجئين . إذا كـان الانسـحاب الإسرائيلي من غزة هو آخـر المطـاف ، ولا بـأس مـن تعديلات وانسحابات أخرى جزئية تحتفظ فيها إسرائيل بكـل القدس وكل ما هو داخل الجدار من الضفة ، ومن ثم فهـي نهاية ظالمة جداً للموضوع الفلسطيني وإذا أدركنا أن المعابر والمياه والبحر والجو والجمارك وغيرها من الأمور السيادية لا تزال في يد إسرائيل بالنسبة لغزة ذاتها فمن الممكن في أي لحظة عودة الجيش الإسرائيلي إلى أي مكان في غـزة ، إذاً فهو مكسب مسموم مشكوك فيه يمكن مصادرته في أي لحظة


، ومن ثم فإن سلاح المقاومة هو الضمان الحقيقي لتحريـر فلسطين أو أي جزء منها على حسب تصورات ورؤى القوى المجاهدة أو حتى أطراف في السلطة ولا يجب أن ننسى هنا أن الذي دفع إسرائيل إلى الانسحاب هو الانتفاضة ، العمليات الاستشهادية ، وليس نظرة عطف من إسرائيل أو أمر يتسـم بالشجاعة من شارون كما وصفه مسئول العلاقات الخارجية بالمفوضية الأوروبية ، ليس ضغط بوش ولا بليـر أو هـذا الزعيم العربي أو ذاك بل بفضل أمثال يحيى عباس وآيـات الأخرس ، ولأن المسألة كذلك أي أن الانسحاب هو نوع من التمهيد لتحميل السلطة مهمة نزع سلاح المقاومة ، وإثـارة حرب أهلية فلسطينية بالتالي ، فإن من المتوقـع أن تـزداد عمليات الضغط على السلطة الفلسطينية في هذا الاتجاه مـن أمريكا وأوروبا " الدول التي تعطي مساعدات للسلطة " ومن إسرائيل ذاتها ، ويمكن أيضاً أن نفهم أن عملاء إسرائيل في غزة يمكن أن يقوموا بنوع من العمليات " على غرار عملية موسى عرفات " لإثبات أن الوضع غير مستقر وأن السـلطة عاجزة عن ضبط السلاح في غزة ، فتقوم السلطة بـدورها تحت هذه الذريعة بالدخول في حرب حقيقية مع كل الأطراف

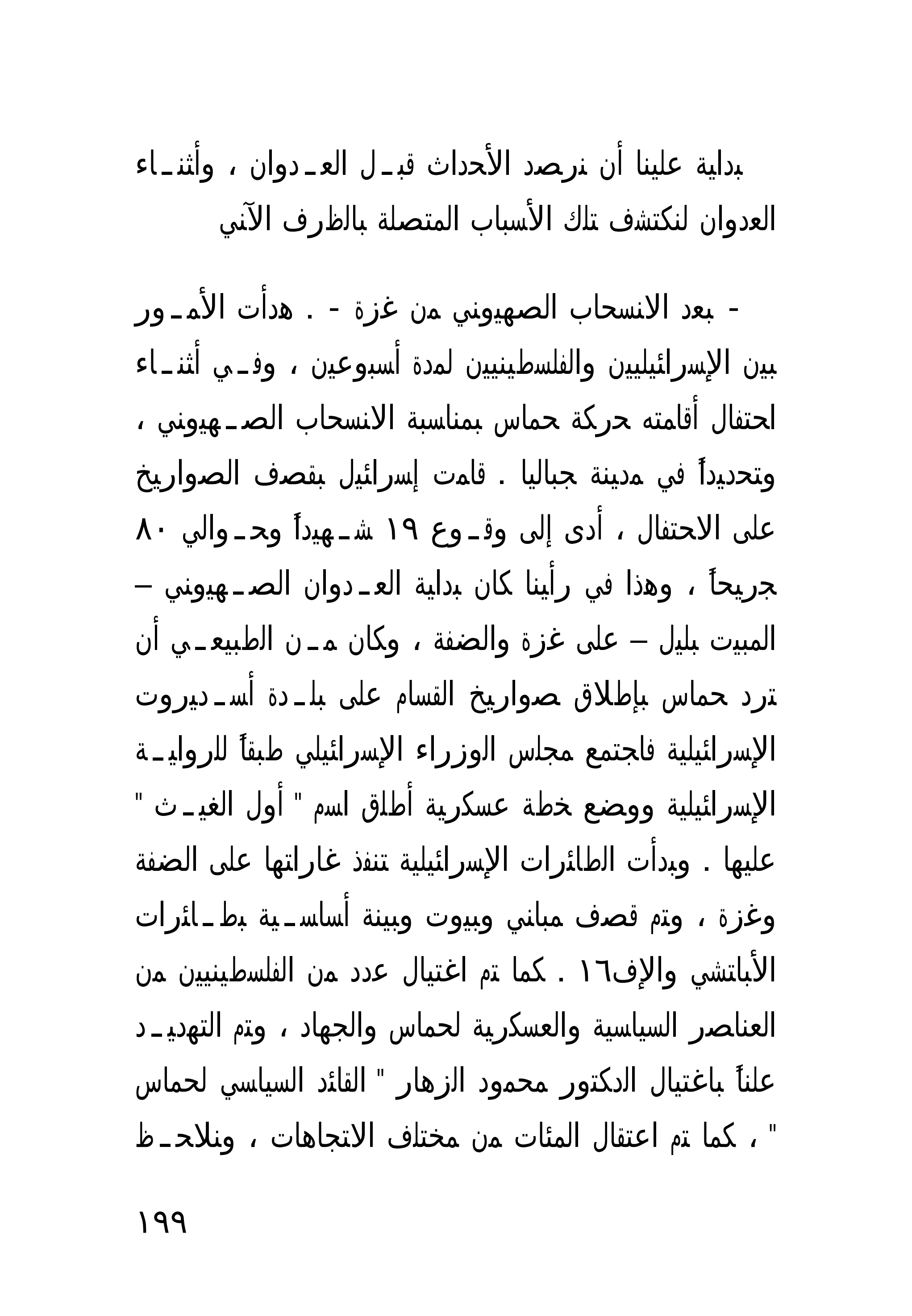
المسلحة ليس تحت عنوان نزع سلاح المقاومة ، بل تحـت عنوان جمع السلاح غير الشرعي ، أو تنفيذ القانون ، وسيادة القانون أو حماية أمن الأهالي . ـ الخ ، وبديهي أن سـلاح المقاومة لم يرتفع قط في وجه غير إسرائيلي – حتـى الآن على الأقل – ولا علاقة له بفوضى البلطجة المسلحة في غزة أو غيرها ، بل ربما كان رجال داخل السلطة ذاتها هم مـن ينظمون ذلك وعلى قدر وعي رجال المقاومـة ، وإدارتهـم المسألة بأسلوب مركب ومرن وملتزم بالثوابت ، وعلى قدر عدم انصياع السلطة لأوامر إسرائيل وأمريكا فإن أمان غزة واستمرار النضال سيكون هو عنوان المستقبل ، أما إذا حدث العكس ، فإنه سيكون ضياع ليس للمقاومة وحدها بل للسلطة ذاتها ولقضية الشعب الفلسطيني لسنوات طويلة قادمة .



أول الغيث . . . عدوان إسرائيلي جديد
أسبابه – دلالاته – نتائجه

ممارسة إسرائيل للعدوان غريزة صهيونية تفعل فعلها بصرف النظر عن الأسباب ، فالذين أقاموا إسرائيل حددوا لها هدفاً ثابتاً هو العدوان ، ولو كف الكيان الصهيوني يوماً عن العدوان – وهذا شبه مستحيل نظراً لتركيبة الكيان الصهيوني ذاته – لو كف الكيان الصهيوني عن العدوان لفقد مبرر وجوده بالنسبة إلى الغرب عموماً وأمريكا خصوصاً ، فالمطلوب منه باستمرار هو العدوان ، ولا شيء أخر سوى العدوان لمنع العرب والمسلمين عن النهضة والتحرر والنكاية بالأمة الإسلامية والحضارة الإسلامية .

ولكن هذا لا يمنع من وجود أسباب جزئية طارئة لكل عدوان جديد ، والعدوان الإسرائيلي الأخير على الضفة وغزة يحمل كل المعاني السابقة ، أسباب تتعلق بطبيعة الكيان الصهيوني ودوره ، وأسباب أخرى تتعلق بالظروف الراهنة .

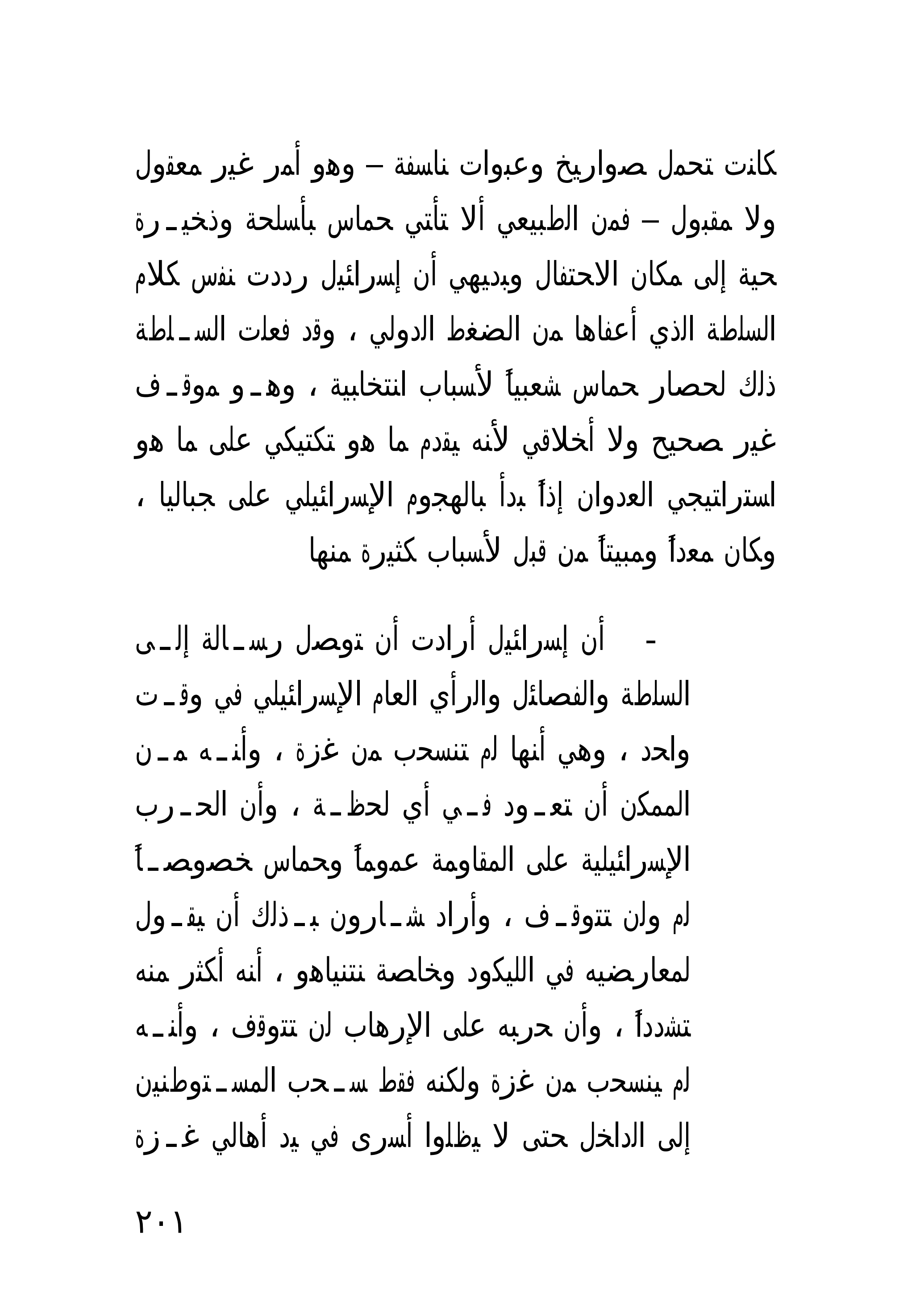


بداية علينا أن نرصد الأحداث قبـل العـدوان ، وأثنـاء العدوان لنكتشف تلك الأسباب المتصلة بالظرف الآني

- بعد الانسحاب الصهيوني من غزة - . هدأت الأمـور بين الإسرائيليين والفلسطينيين لمدة أسبوعين ، وفـي أثنـاء احتفال أقامته حركة حماس بمناسبة الانسحاب الصـهيوني ، وتحديداً في مدينة جباليا . قامت إسرائيل بقصف الصواريخ على الاحتفال ، أدى إلى وقـوع ١٩ شـهيداً وحـوالي ٨٠ جريحاً ، وهذا في رأينا كان بداية العـدوان الصـهيوني – المبيت بليل – على غزة والضفة ، وكان مـن الطبيعـي أن ترد حماس بإطلاق صواريخ القسام على بلـدة أسـديروت الإسرائيلية فاجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلي طبقاً للروايـة الإسرائيلية ووضع خطة عسكرية أطلق اسم " أول الغيـث " عليها . وبدأت الطائرات الإسرائيلية تنفذ غاراتها على الضفة وغزة ، وتم قصف مباني وبيوت وبينة أساسـية بطـائرات الأباتشي والإف١٦ . كما تم اغتيال عدد من الفلسطينيين من العناصر السياسية والعسكرية لحماس والجهاد ، وتم التهديـد علناً باغتيال الدكتور محمود الزهار " القائد السياسي لحماس " ، كما تم اعتقال المئات من مختلف الاتجاهات ، ونلاحـظ

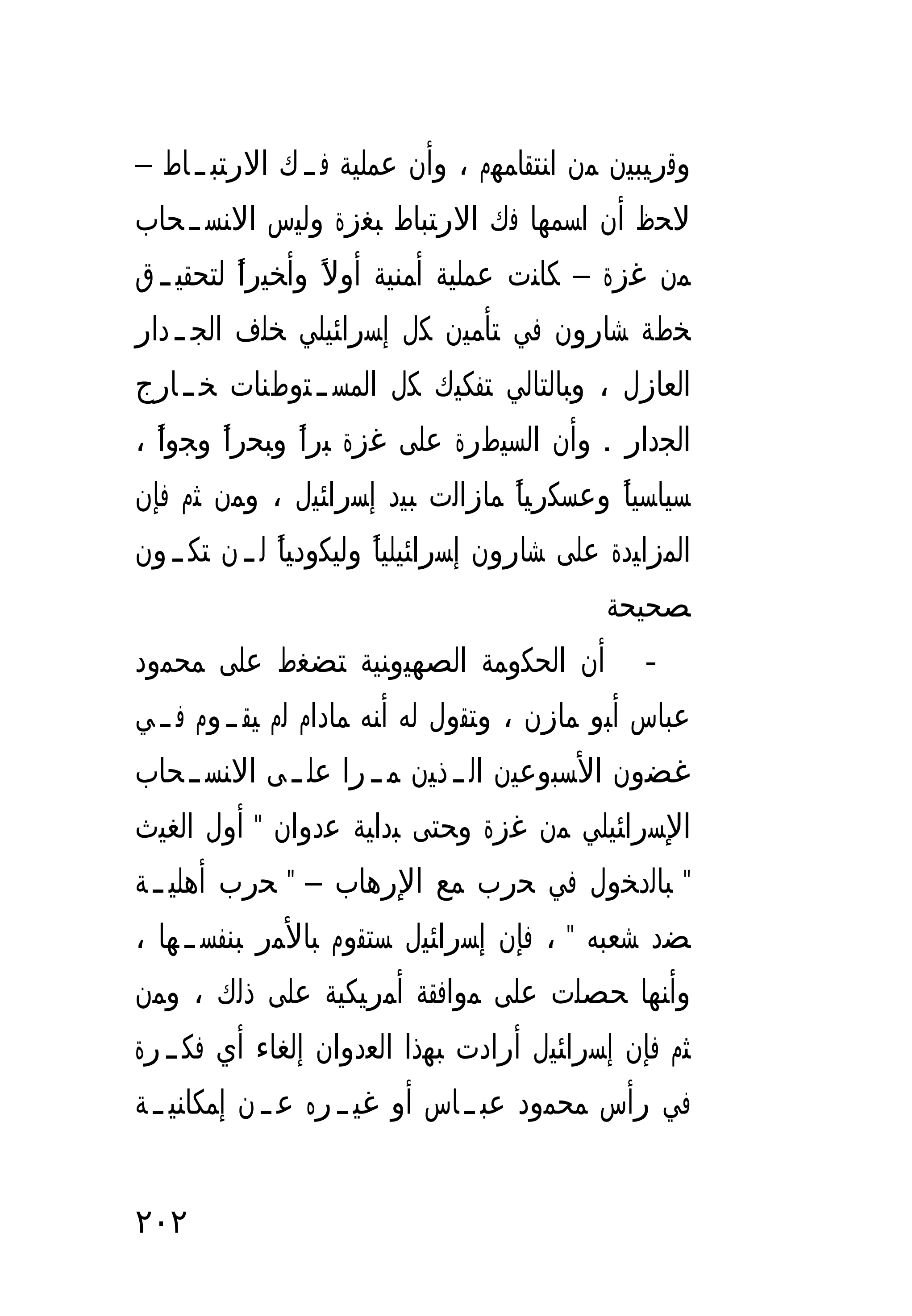
هنا استخدام طائرات ثقيلة لا تستخدم إلا في الحروب الكبيرة وليس العدوان على شعب ضـعيف وبيـوت آمنـة – هـي طائرات الإف١٦ كما نلاحظ أن تلك الطائرات كانت تتعمـد اختراق حاجز الصوت لكي ترعب أطفـال وأهـالي غـزة والضفة الغربية ! ! . كما تم إطلاق صـواريخ إسـرائيلية وقصف مدفعي ، ونلاحظ أيضاً أن القذائف الإسرائيلية مـن طائرات ومدفعية وصـواريخ اسـتهدفت مقـرات لحمـاس والجهاد وشهداء الأقصى والجبهة الشعبية وكـذا اسـتهدفت مواقعاً مدنية عادية مثل الجسور ، الورش المدارس ، مقرات للسلطة الفلسطينية ذاتها ، جمعيـات زكـاة دور للأيتـام ، جمعيات للقرآن والسـنة ، أنديـة رياضـية ، دار للعـلاج الطبيعي . . . الخ .

الرواية الإسرائيلية تقول أن عملية أول الغيث بدأت بعـد إطلاق صواريخ القسام على بلدة أسـديروت الإسـرائيلية ، وهذا غير صحيح ، فالعملية بدأت بإطلاق صواريخ إسرائيلية على احتفال حماس في جباليا والذي أدى إلى قتـل وجـرح ١٠٠ شخص ! ! ، ومن الغريب أن السلطة الفلسطينية ادعت أن حادث جباليا تم بسبب انفجار في شاحنة تابعـة لحمـاس

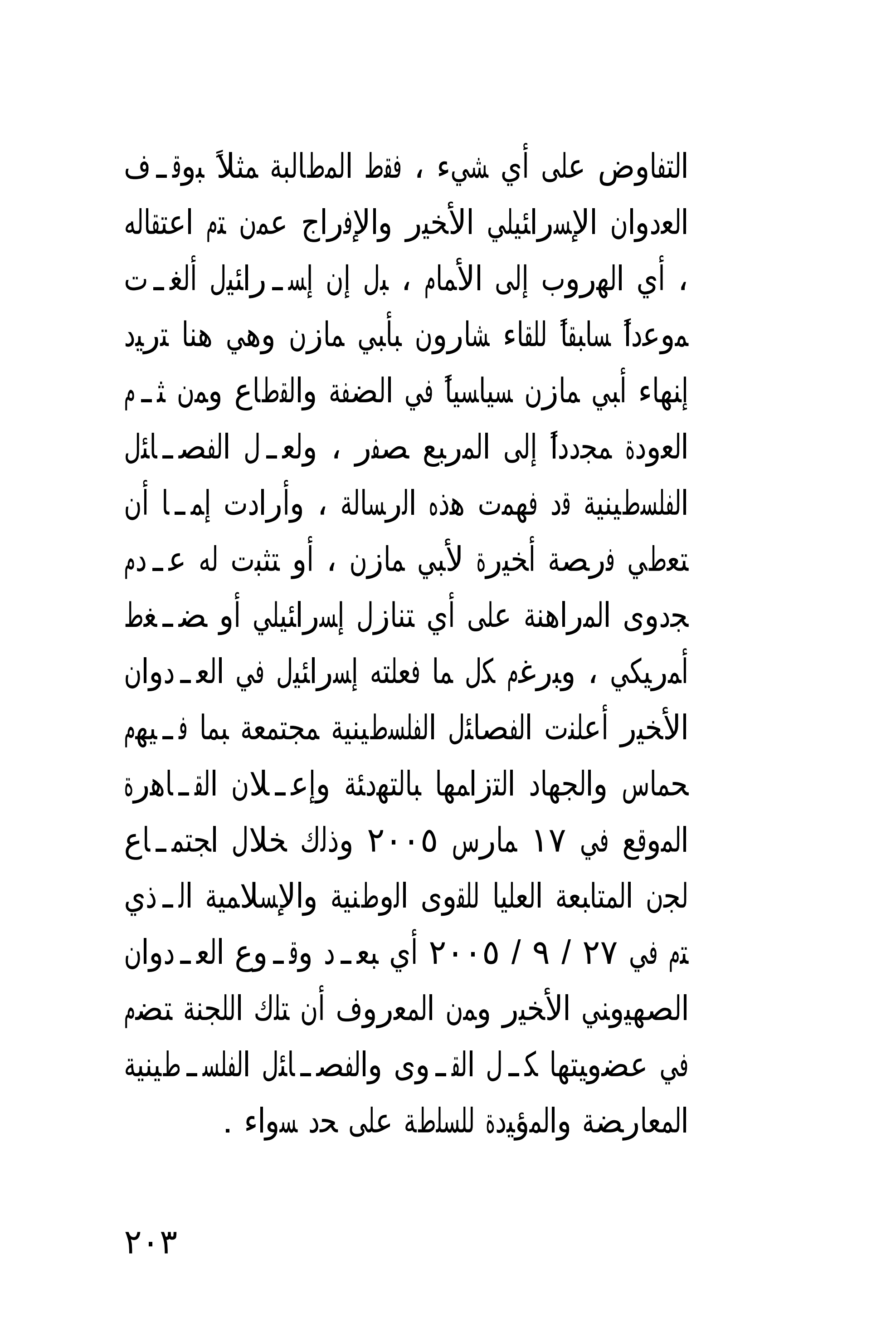


كانت تحمل صواريخ وعبوات ناسفة – وهو أمر غير معقول ولا مقبول – فمن الطبيعي ألا تأتي حماس بأسلحة وذخيـرة حية إلى مكان الاحتفال وبديهي أن إسرائيل رددت نفس كلام السلطة الذي أعفاها من الضغط الدولي ، وقد فعلت السـلطة ذلك لحصار حماس شعبياً لأسباب انتخابية ، وهـو موقـف غير صحيح ولا أخلاقي لأنه يقدم ما هو تكتيكي على ما هو استراتيجي العدوان إذاً بدأ بالهجوم الإسرائيلي على جباليا ، وكان معداً ومبيتاً من قبل لأسباب كثيرة منها

- أن إسرائيل أرادت أن توصل رسـالة إلـى السلطة والفصائل والرأي العام الإسرائيلي في وقـت واحد ، وهي أنها لم تنسحب من غزة ، وأنـه مـن الممكن أن تعـود فـي أي لحظـة ، وأن الحـرب الإسرائيلية على المقاومة عموماً وحماس خصوصـاً لم ولن تتوقـف ، وأراد شـارون بـذلك أن يقـول لمعارضيه في الليكود وخاصة نتنياهو ، أنه أكثر منه تشدداً ، وأن حربه على الإرهاب لن تتوقف ، وأنـه لم ينسحب من غزة ولكنه فقط سـحب المسـتوطنين إلى الداخل حتى لا يظلوا أسرى في يد أهالي غـزة

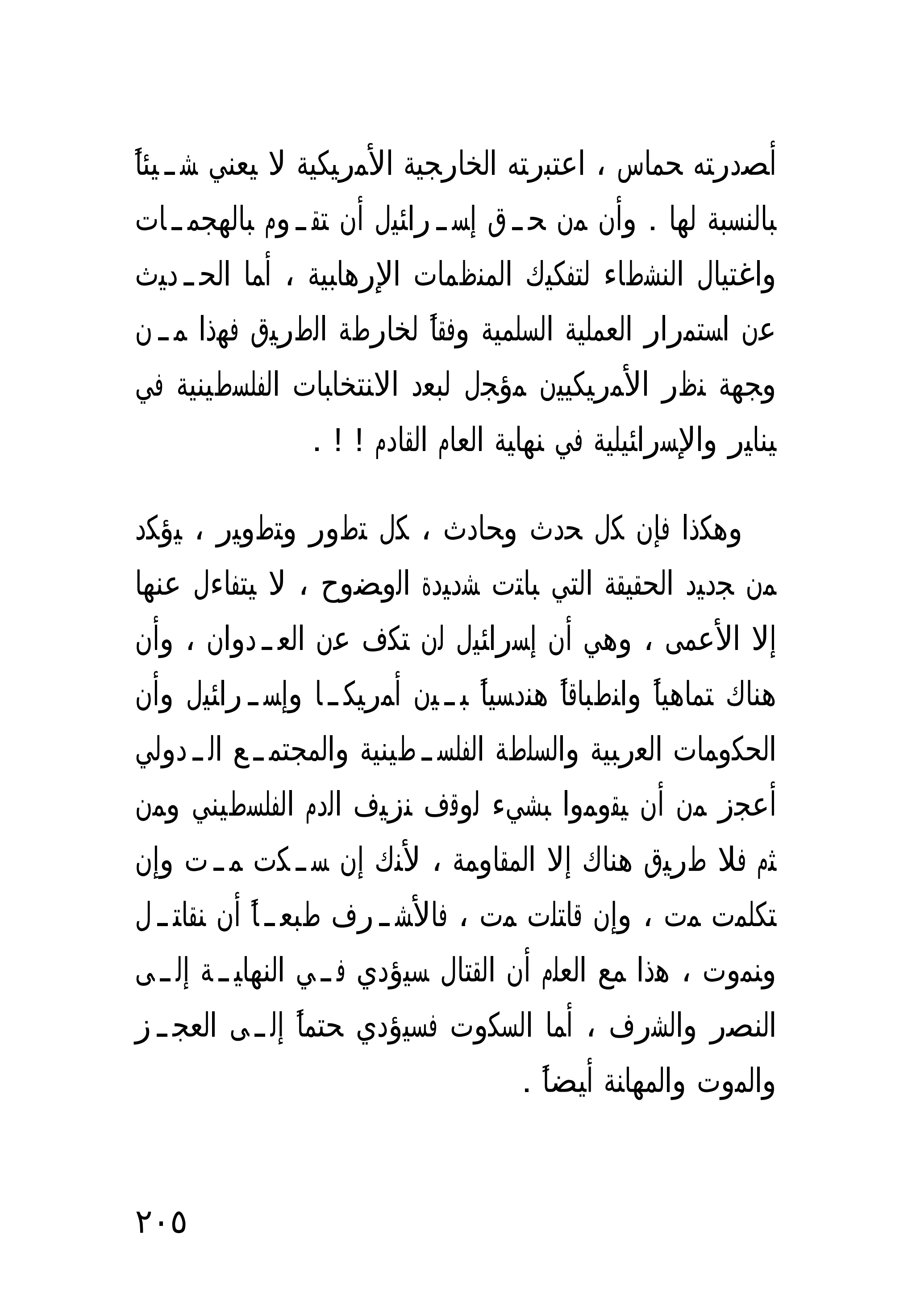

وقريبين من انتقامهم ، وأن عملية فـك الارتبـاط – لاحظ أن اسمها فك الارتباط بغزة وليس الانسـحاب من غزة – كانت عملية أمنية أولاً وأخيراً لتحقيـق خطة شارون في تأمين كل إسرائيلي خلف الجـدار العازل ، وبالتالي تفكيك كل المسـتوطنات خـارج الجدار . وأن السيطرة على غزة براً وبحراً وجواً ، سياسياً وعسكرياً مازالت بيد إسرائيل ، ومن ثم فإن المزايدة على شارون إسرائيلياً وليكودياً لـن تكـون صحيحة

- أن الحكومة الصهيونية تضغط على محمود عباس أبو مازن ، وتقول له أنه مادام لم يقـوم فـي غضون الأسبوعين الـذين مـرا علـى الانسـحاب الإسرائيلي من غزة وحتى بداية عدوان " أول الغيث " بالدخول في حرب مع الإرهاب – " حرب أهليـة ضد شعبه " ، فإن إسرائيل ستقوم بالأمر بنفسـها ، وأنها حصلت على موافقة أمريكية على ذلك ، ومن ثم فإن إسرائيل أرادت بهذا العدوان إلغاء أي فكـرة في رأس محمود عبـاس أو غيـره عـن إمكانيـة



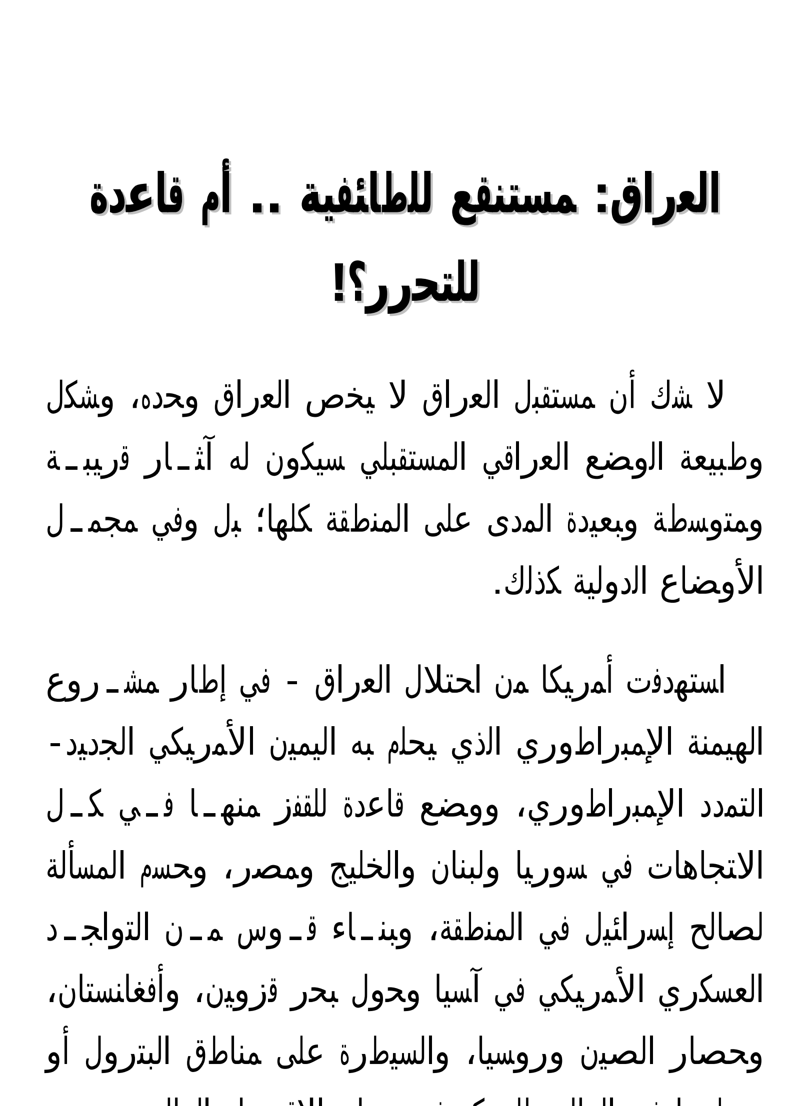
التفاوض على أي شيء ، فقط المطالبة مثلاً بوقف العدوان الإسرائيلي الأخير والإفراج عمن تم اعتقاله ، أي الهروب إلى الأمام ، بل إن إسرائيل ألغت موعداً سابقاً للقاء شارون بأبي مازن وهي هنا تريد إنهاء أبي مازن سياسياً في الضفة والقطاع ومن ثم العودة مجدداً إلى المربع صفر ، ولعل الفصائل الفلسطينية قد فهمت هذه الرسالة ، وأرادت إما أن تعطي فرصة أخيرة لأبي مازن ، أو تثبت له عدم جدوى المراهنة على أي تنازل إسرائيلي أو ضغط أمريكي ، وبرغم كل ما فعلته إسرائيل في العدوان الأخير أعلنت الفصائل الفلسطينية مجتمعة بما فيهم حماس والجهاد التزامها بالتهدئة وإعلان القاهرة الموقع في ١٧ مارس ٢٠٠٥ وذلك خلال اجتماع لجن المتابعة العليا للقوى الوطنية والإسلامية الذي تم في ٢٧ / ٩ / ٢٠٠٥ أي بعد وقوع العدوان الصهيوني الأخير ومن المعروف أن تلك اللجنة تضم في عضويتها كل القوى والفصائل الفلسطينية المعارضة والمؤيدة للسلطة على حد سواء .

الموقف الأمريكي من العدوان الصهيوني هو بدوره لـم يكن مفاجئاً ويبدو أنه هناك اتفاق أمريكي صـهيوني علـى الضغط على محمود عباس أبو مازن لدمغه في اتجاه الحرب الأهلية الفلسطينية ، فإذا لم يفعل تم التمهيد للاستغناء عنه أو حصاره وإهماله على غرار عرفات ، الموقف الأمريكي إذاً غض الطرف أو أيد العدوان الصهيوني الأخير ، فقد اكتفت الخارجية الأمريكية بإعلان قيامهـا بالاتصـال بـالطرفين الفلسطيني والإسرائيلي لمطالبتهما بالمحافظـة علـى منـاخ التهدئة ! ! – الصحيح قبول المـوت بهـدوء – واعتبـرت الخارجية الأمريكية أن ما يحدث هو مجرد سلسلة في أعمال العنف المتبادل بين الطـرفين ! ! . ولـم تـنس الأوسـاط الأمريكية أن تؤكد من جديد على أن حماس منظمة إرهابيـة يجب القضاء عليها . . . وكذا الجهـاد والجبهـة الشـعبية وشهداء الأقصى . وأن السلطة لم تقم بواجبها فـي القضـاء على هذا الخطر الذي يهدد إسرائيل ويطلق عليها الصواريخ – وكان علينا أن نموت مكتوفي الأيدي ، وانحـاز الموقـف الأمريكي إلى الرواية الإسرائيلية بشـأن سـبب العـدوان ، وبشأن تفسير حادث جباليا ، بـل إن بيـان التهدئـة الـذي



أصدرته حماس ، اعتبرته الخارجية الأمريكية لا يعني شـيئاً بالنسبة لها . وأن من حـق إسـرائيل أن تقـوم بالهجمـات واغتيال النشطاء لتفكيك المنظمات الإرهابية ، أما الحـديث عن استمرار العملية السلمية وفقاً لخارطة الطريق فهذا مـن وجهة نظر الأمريكيين مؤجل لبعد الانتخابات الفلسطينية في يناير والإسرائيلية في نهاية العام القادم ! ! .

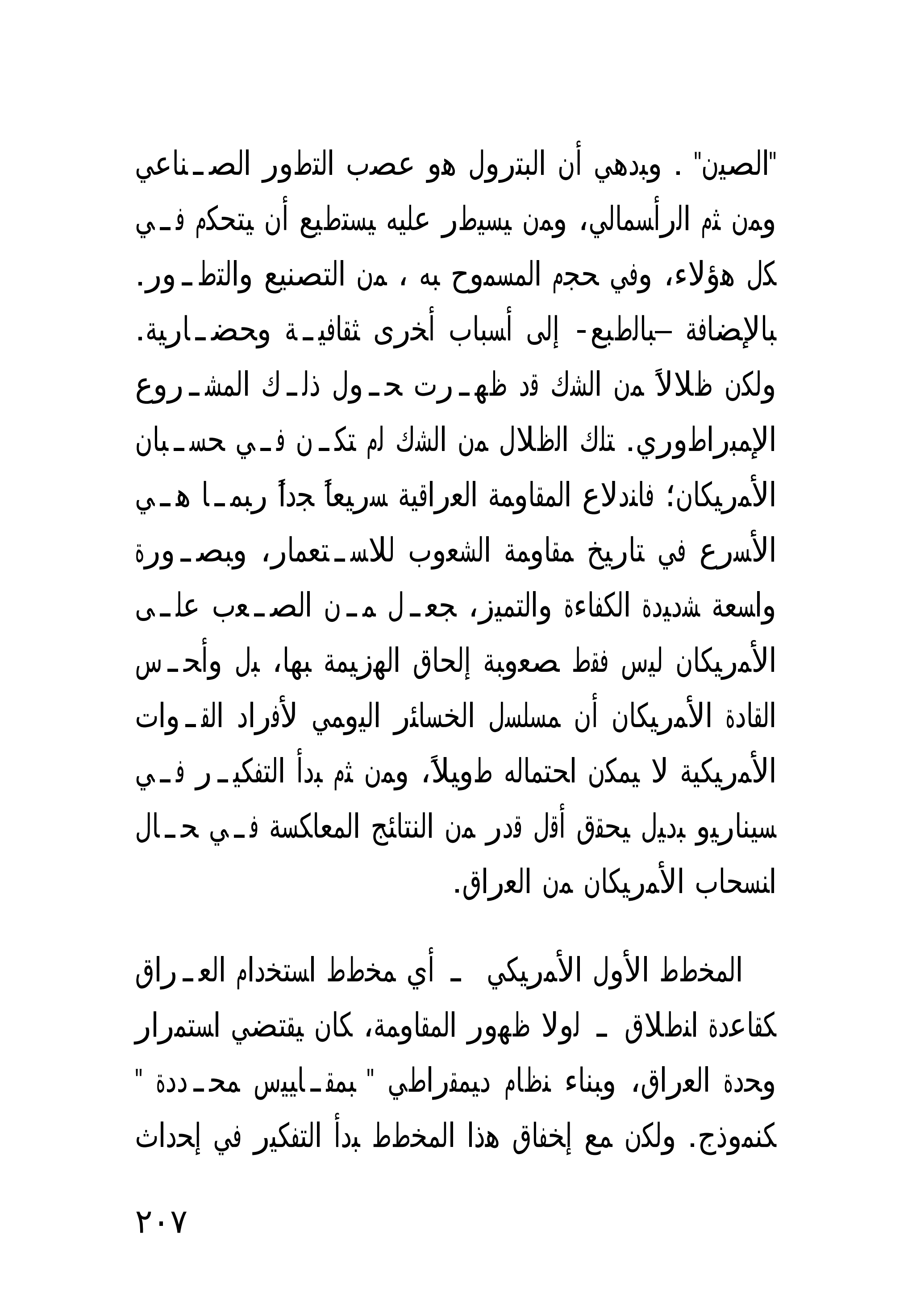
وهكذا فإن كل حدث وحادث ، كل تطور وتطوير ، يؤكد من جديد الحقيقة التي باتت شديدة الوضوح ، لا يتفاءل عنها إلا الأعمى ، وهي أن إسرائيل لن تكف عن العـدوان ، وأن هناك تماهياً وانطباقاً هندسياً بـين أمريكـا وإسـرائيل وأن الحكومات العربية والسلطة الفلسـطينية والمجتمـع الـدولي أعجز من أن يقوموا بشيء لوقف نزيف الدم الفلسطيني ومن ثم فلا طريق هناك إلا المقاومة ، لأنك إن سـكت مـت وإن تكلمت مت ، وإن قاتلت مت ، فالأشـرف طبعـاً أن نقاتـل ونموت ، هذا مع العلم أن القتال سيؤدي فـي النهايـة إلـى النصر والشرف ، أما السكوت فسيؤدي حتماً إلـى العجـز والموت والمهانة أيضاً .



العراق: مستنقع للطائفية .. أم قاعدة للتحرر؟!

لا شك أن مستقبل العراق لا يخص العراق وحده، وشكل وطبيعة الوضع العراقي المستقبلي سيكون له آثـار قريبـة ومتوسطة وبعيدة المدى على المنطقة كلها؛ بل وفي مجمـل الأوضاع الدولية كذلك.

استهدفت أمريكا من احتلال العراق - في إطار مشـروع الهيمنة الإمبراطوري الذي يحلم به اليمين الأمريكي الجديد- التمدد الإمبراطوري، ووضع قاعدة للقفز منهـا فـي كـل الاتجاهات في سوريا ولبنان والخليج ومصر، وحسم المسألة لصالح إسرائيل في المنطقة، وبنـاء قـوس مـن التواجـد العسكري الأمريكي في آسيا وحول بحر قزوين، وأفغانستان، وحصار الصين وروسيا، والسيطرة على مناطق البترول أو معظمها في العالم، للتحكم في مسار الاقتصاد العالمي، ومنع تطور الرأسماليات القوية في أوروبا "ألمانيـا"، واليابـان أو الدول الصناعية الكبرى، و تلك التي تنمو بصـورة سـريعة


"الصين" . وبدهي أن البترول هو عصب التطور الصـناعي ومن ثم الرأسمالي، ومن يسيطر عليه يستطيع أن يتحكم فـي كل هؤلاء، وفي حجم المسموح به ، من التصنيع والتطـور. بالإضافة –بالطبع- إلى أسباب أخرى ثقافيـة وحضـارية. ولكن ظلالاً من الشك قد ظهـرت حـول ذلـك المشـروع الإمبراطوري. تلك الظلال من الشك لم تكـن فـي حسـبان الأمريكان؛ فاندلاع المقاومة العراقية سريعاً جداً ربمـا هـي الأسرع في تاريخ مقاومة الشعوب للاسـتعمار، وبصـورة واسعة شديدة الكفاءة والتميز، جعـل مـن الصـعب علـى الأمريكان ليس فقط صعوبة إلحاق الهزيمة بها، بل وأحـس القادة الأمريكان أن مسلسل الخسائر اليومي لأفراد القـوات الأمريكية لا يمكن احتماله طويلاً، ومن ثم بدأ التفكيـر فـي سيناريو بديل يحقق أقل قدر من النتائج المعاكسة فـي حـال انسحاب الأمريكان من العراق.

المخطط الأول الأمريكي ـ أي مخطط استخدام العـراق كقاعدة انطلاق ـ لولا ظهور المقاومة، كان يقتضي استمرار وحدة العراق، وبناء نظام ديمقراطي " بمقـاييس محـددة " كنموذج. ولكن مع إخفاق هذا المخطط بدأ التفكير في إحداث

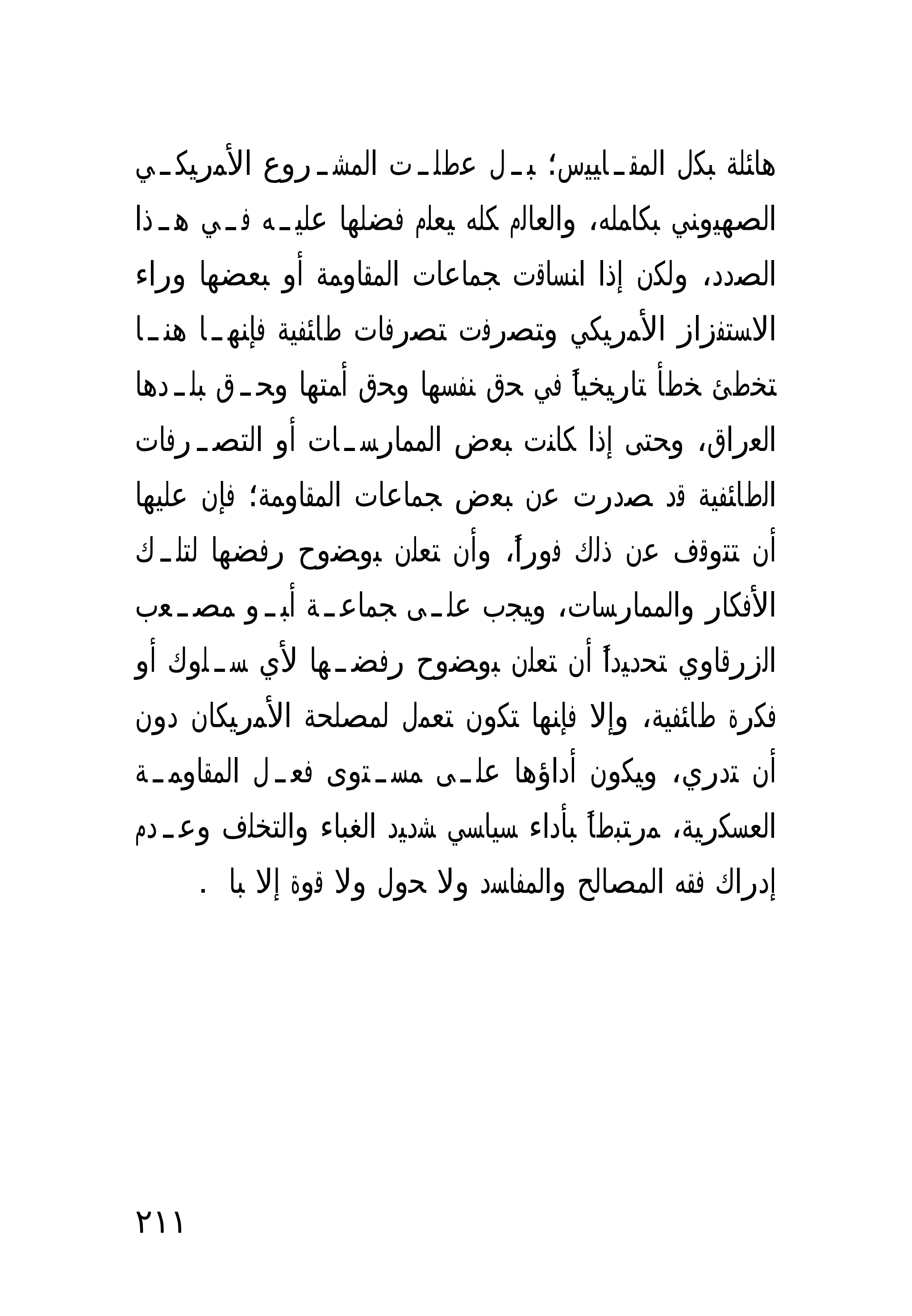
نوع من الفتنة الطائفية حتى إذا ترك الأمريكان العـراق لا يصبح قاعدة للتحرر الوطني في المنطقة.

المقاومة إذن هي العامل الأهم هنا في تحديد مسار التفكير المخطط أو السيناريو الأمريكي للعراق، وبداية فإن العسكرية الأمريكية فعلت كل شيء، من أجل القضاء على المقاومـة، استخدمت كل الأسلحة: الطائرات، والدبابات، والصـواريخ، واقتحام المدن، والقتل العشوائي، والاعتقال والتعذيب ولكـن المقاومة في كل مرة كانت تـزداد قـوة، وهكـذا وصـلت الولايات المتحدة إلى نتيجة مفادها عدم إمكانية القضاء على المقاومة. وسياسياً فعلت الإدارة الأمريكية كل شيء؛ جاءت بحكومات عميلة، أنشأت جيشاً وشرطة من الطوائف والقوى الموالية للاحتلال، ولكن كل ذلك لـم يقـدم ولـم يـؤخّر، والمحصلة النهائيـة أنـه لا السـيناريوهات السياسـية ولا العسـكرية قـادرة علـى القضـاء علـى المقاومـة. وهكذا كان على الولايات المتحدة أن تمنع بأي ثمن تحـول العراق في حال انسحابها إلى قاعدة للتحـرر الـوطني، أي نقطة تجمع وانطلاق للقوى المناهضة لأمريكا وإسرائيل في المنطقة .

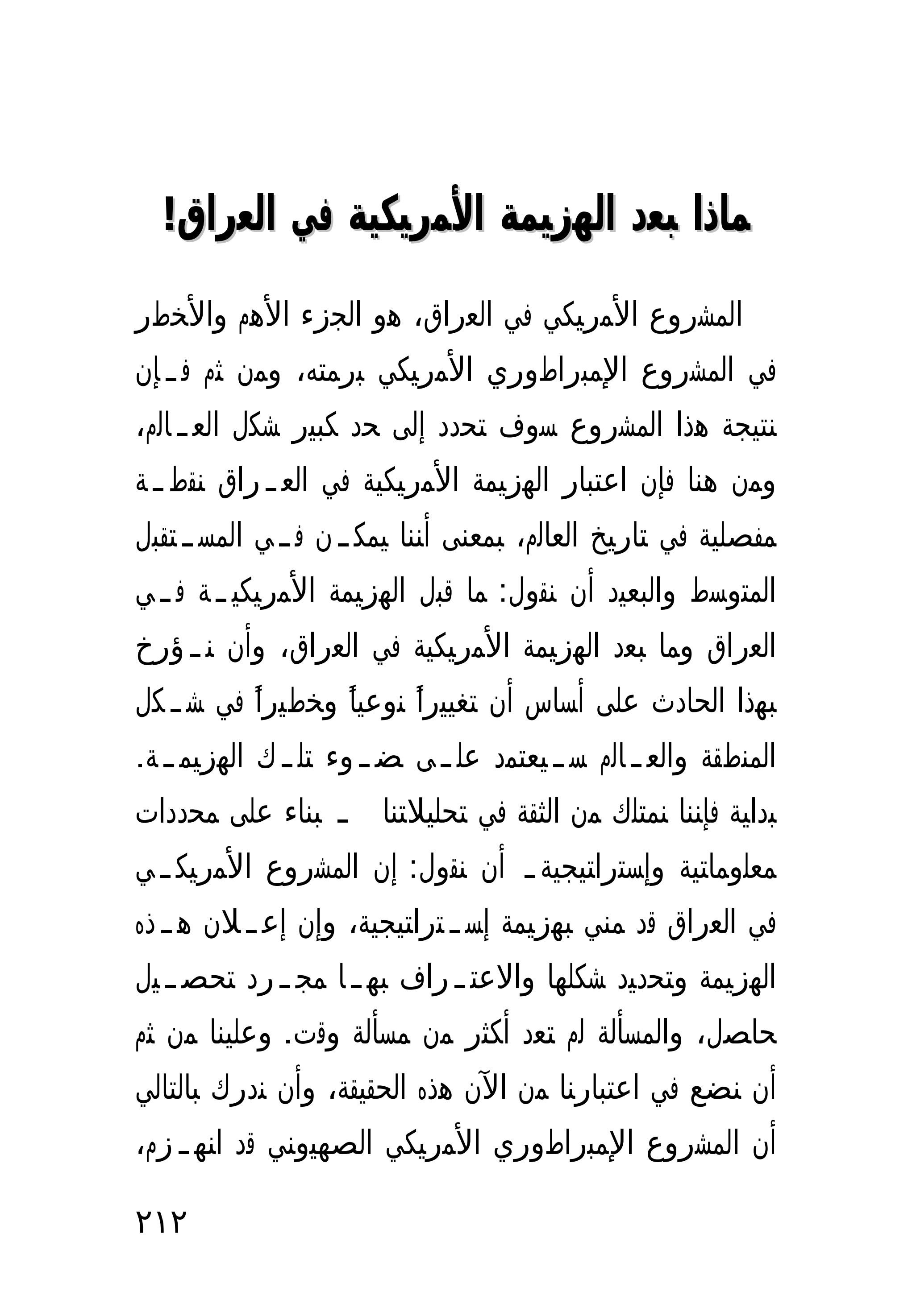
كان المطلوب حصار ذلك الأثر المتوقع والحتمي إذا ما خرج الأمريكان وانتصرت المقاومة، كان لا بد إذن من محاولة بناء واقع طائفي يتحول مع الوقت إلى مستنقع طائفي، بدأت أمريكا تؤسس لهذا السيناريو الاحتياطي في البداية، والذي تحول إلى سيناريو رئيسي، بعد ذلك بدأت المسألة فيما يسمى "توزيع المناصب بالمحاصصة الطائفية" في الوزارات والإدارات، ثم بالتفاهم والتعاون مع القوى الطائفية "المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وجماعة الحكيم، وحزب الدعوة "الجعفري" والأحزاب الكردية" ، ثم إجراء انتخابات مع استخدام نفوذ المرجع الشيعي الأعلى السيستاني لتحقيق نتائج طائفية، ووضع دستوريكرس الطائفية، ثم بناء جيش وشرطة "شبه طائفية" لتنفيذ مجازر في المدن السنية "الفلوجة"، الأنبار، تلعفر، سامراء، الفاتح ..الخ"، ومحاولة تصفية جماعة مقتدى الصدر رغم أنها شيعية؛ لأنها ترفض السلوك الطائفي وترفض الاحتلال ، ودفع جماعات المقاومة إلى ردود أفعال طائفية عن طريق الاستفزاز الطائفي، وافتعال أعمال ضد أفراد وجماعات ومساجد ومؤسسات شيعية ومناسبات دينية ثم

لصقها بالمقاومة عموماً، وبجماعة الزرقـاوي خصوصـاً، وهكذا يتحول العراق إلى مستنقع طائفي، ومع ما يحدث في لبنان من ممارسات تقود بـدورها إلـى الطائفيـة بتشـجيع أمريكي كامل، ومع الأخذ في الاعتبار وجـود شـيعة فـي العراق والسعودية والبحرين والكويـت ولبنـان وسـوريا. ووجود أكراد في سوريا والعراق وتركيا وإيران، لأمكننا فهم وإدراك خطورة هذا الأمر، الذي سيحول المنطقة إلى جحـيم طائفي، ويؤخر تطورها السياسي والاقتصادي والاجتمـاعي طويلاً جداً .

بالطبع يجب ألاّ تقف القوى السياسية المخلصة في العراق والمنطقة أمام هذا المخطط الشيطاني مكتوفة اليدين، لا بد أن تدرك أولاً أن السيناريو الأمريكي ليس قدراً، وأن بالإمكـان إفشاله، وعلى كل فرد وجماعة وحزب أن يعمل على إفشال هذا المخطط الطائفي، ولعل من المفيـد هنـا أن نقـول: إن جماعات المقاومة في العراق لديها فرصة تاريخيـة لجعـل العراق قاعدة للتحرر والنهضة والوحدة العربية والإسلامية، وإنهاء النفوذ الأمريكي والصهيوني في المنطقـة، وأن تلـك المقاومة قد أعادت روح الأمل إلى الأمة، وحققت منجـزات



هائلة بكل المقـاييس؛ بـل عطلـت المشـروع الأمريكـي الصهيوني بكامله، والعالم كله يعلم فضلها عليـه فـي هـذا الصدد، ولكن إذا انساقت جماعات المقاومة أو بعضها وراء الاستفزاز الأمريكي وتصرفت تصرفات طائفية فإنهـا هنـا تخطئ خطأ تاريخياً في حق نفسها وحق أمتها وحـق بلـدها العراق، وحتى إذا كانت بعض الممارسـات أو التصـرفات الطائفية قد صدرت عن بعض جماعات المقاومة؛ فإن عليها أن تتوقف عن ذلك فوراً، وأن تعلن بوضوح رفضها لتلـك الأفكار والممارسات، ويجب علـى جماعـة أبـو مصـعب الزرقاوي تحديداً أن تعلن بوضوح رفضـها لأي سـلوك أو فكرة طائفية، وإلا فإنها تكون تعمل لمصلحة الأمريكان دون أن تدري، ويكون أداؤها علـى مسـتوى فعـل المقاومـة العسكرية، مرتبطاً بأداء سياسي شديد الغباء والتخاف وعـدم إدراك فقه المصالح والمفاسد ولا حول ولا قوة إلا با .



ماذا بعد الهزيمة الأمريكية في العراق!

المشروع الأمريكي في العراق، هو الجزء الأهم والأخطر في المشروع الإمبراطوري الأمريكي برمته، ومن ثم فإن نتيجة هذا المشروع سوف تحدد إلى حد كبير شكل العالم، ومن هنا فإن اعتبار الهزيمة الأمريكية في العراق نقطة مفصلية في تاريخ العالم، بمعنى أننا يمكن في المستقبل المتوسط والبعيد أن نقول: ما قبل الهزيمة الأمريكية في العراق وما بعد الهزيمة الأمريكية في العراق، وأن نؤرخ بهذا الحادث على أساس أن تغييراً نوعياً وخطيراً في شكل المنطقة والعالم سيعتمد على ضوء تلك الهزيمة. بداية فإننا نمتلك من الثقة في تحليلاتنا - بناء على محددات معلوماتية وإستراتيجية - أن نقول: إن المشروع الأمريكي في العراق قد مني بهزيمة إستراتيجية، وإن إعلان هذه الهزيمة وتحديد شكلها والاعتراف بها مجرد تحصيل حاصل، والمسألة لم تعد أكثر من مسألة وقت. وعلينا من ثم أن نضع في اعتبارنا من الآن هذه الحقيقة، وأن ندرك بالتالي أن المشروع الإمبراطوري الأمريكي الصهيوني قد انهزم،

وأن نراهن من الآن على قدرة الشعوب على انتزاع حقهـا وهزيمة أمريكا وأكبر من أمريكا.

حسب المعطيات المقدمة إعلاميـاً الآن؛ فـإن الخسـائر البشرية الأمريكية في عامين من الاحتلال حـوالي (٢٠٠٠) جندي و(١٠) آلاف جريح، ومع الأخـذ فـي الاعتبـار أن البنتاجون لا يعلن إلا عن ٢٠ % فقط من خسائره الحقيقيـة فإن الرقم يقفز إلى عشرة آلاف جندي قتيل وعشرات الآلاف من الجرحى، وأنه تم إنفاق أكثر مـن (٣٠٠) مليـار دولار على العمليات العسكرية في العراق في غضون عامين وهو رقم يفوق توقعات وميزانيات الأمريكيين المرصـودة لهـذا الأمر، ومن ثم فإن هذا الاستنزاف المادي والبشري لن يكون بلا سقف!! هذا بالإضافة إلى حالات الهروب مـن الجـيش الأمريكي في العراق ـ يقدره الـبعض بـ ـ (٥٠٠٠) آلاف جندي سنوياً، يلجؤون إلى دول أخرى ثم يعودون إلى أمريكا لمواجهة المحاكمة.

ووفقاً لتقرير أعده السيناتور الأمريكي (كارل ليفين) بعـد دراسة مع فريق عمل في العراق فإن الروح المعنوية للجنود

الأمريكيين مترديـة جداً، وأنهم لا يفهمون لماذا جـاؤوا إلـى العراق، وأنهم يريدون العودة فوراً إلى بلادهم، وهذا يعني أن التبرير الأخلاقي والمعنوي الأمريكي لهذه الحرب قد سـقط بالنسبة لهؤلاء الجنود، وهذا يؤدي مباشرة إلـى الهزيمـة. على الجانب الآخر؛ فإنه وفقاً للمعلومات المتاحـة والتـي لا يشك أحد فيها فإن:

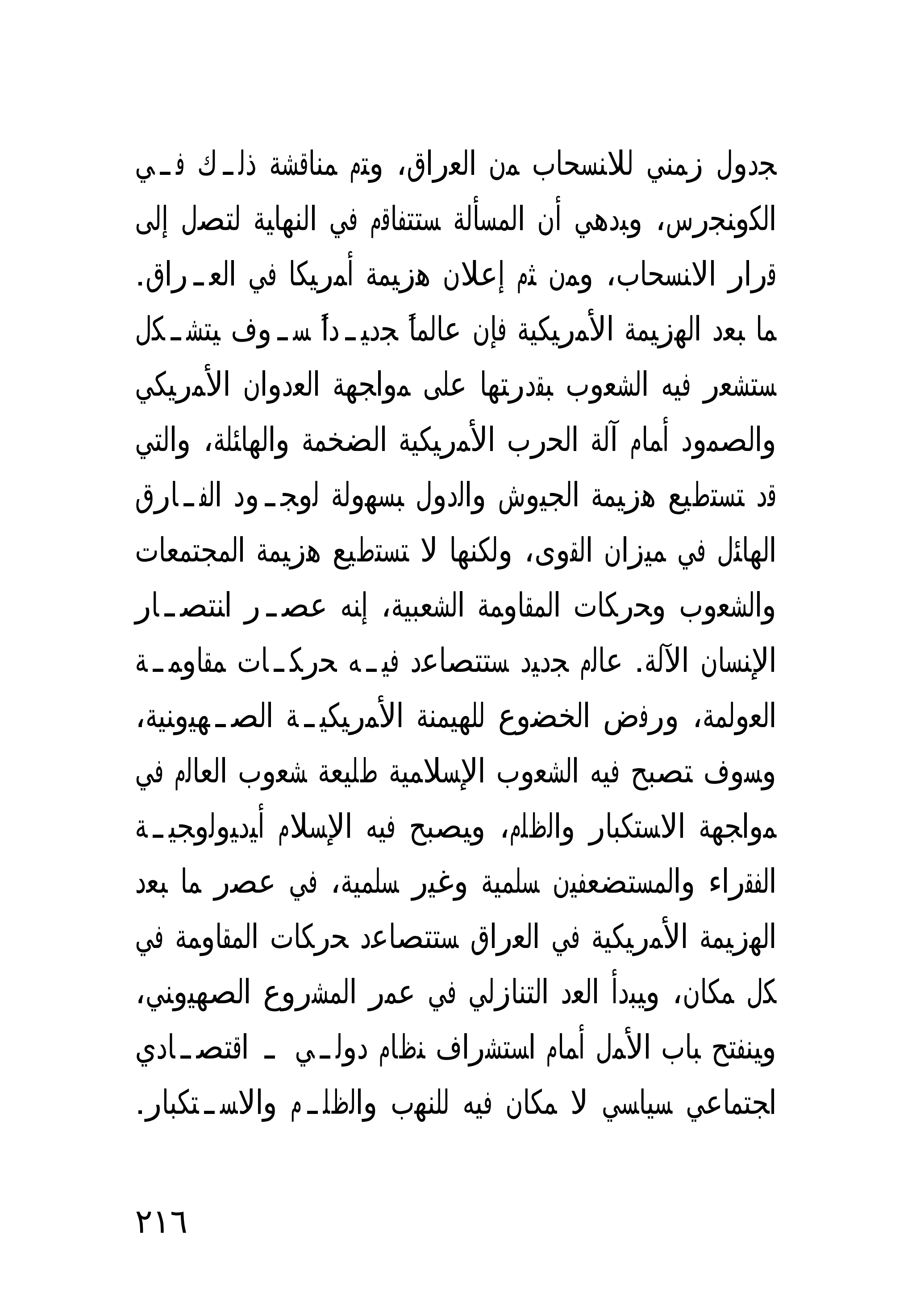
- المقاومة العراقية اندلعت بعد شهرين فقط من سـقوط بغداد.

- المقاومة استمرت في تصاعد مسـتمر منـذ بـدايتها، وبالرغم من أن القوات الأمريكية فعلت كل شـيء للقضـاء عليها سواء بتنظيم عمليات من أمثال الأفعى ذات الأجراس، وعقرب الصحراء، وعمليات الخنجـر والـرمح والسـيف ....الخ، وبالرغم من اقتحـام عشـرات المـدن العراقيـة، وبالرغم من استخدام العراقيين من العملاء، واستخدام جيش عراقي تم تكوينه لصالح الأمريكيين (٦٠ ألف جندي) وقوات شرطة، ومليشيات تابعة للشيعة والأكراد؛ فإن ذلك لم يـزد المقاومة إلا إصراراً، وفي كل مرة يتحدث الأمريكيـون أو

الحكومة العراقية عن إضعاف المقاومـة، فـإن العمليـات المنسوبة إلى المقاومة تزداد كماً وكيفاً.

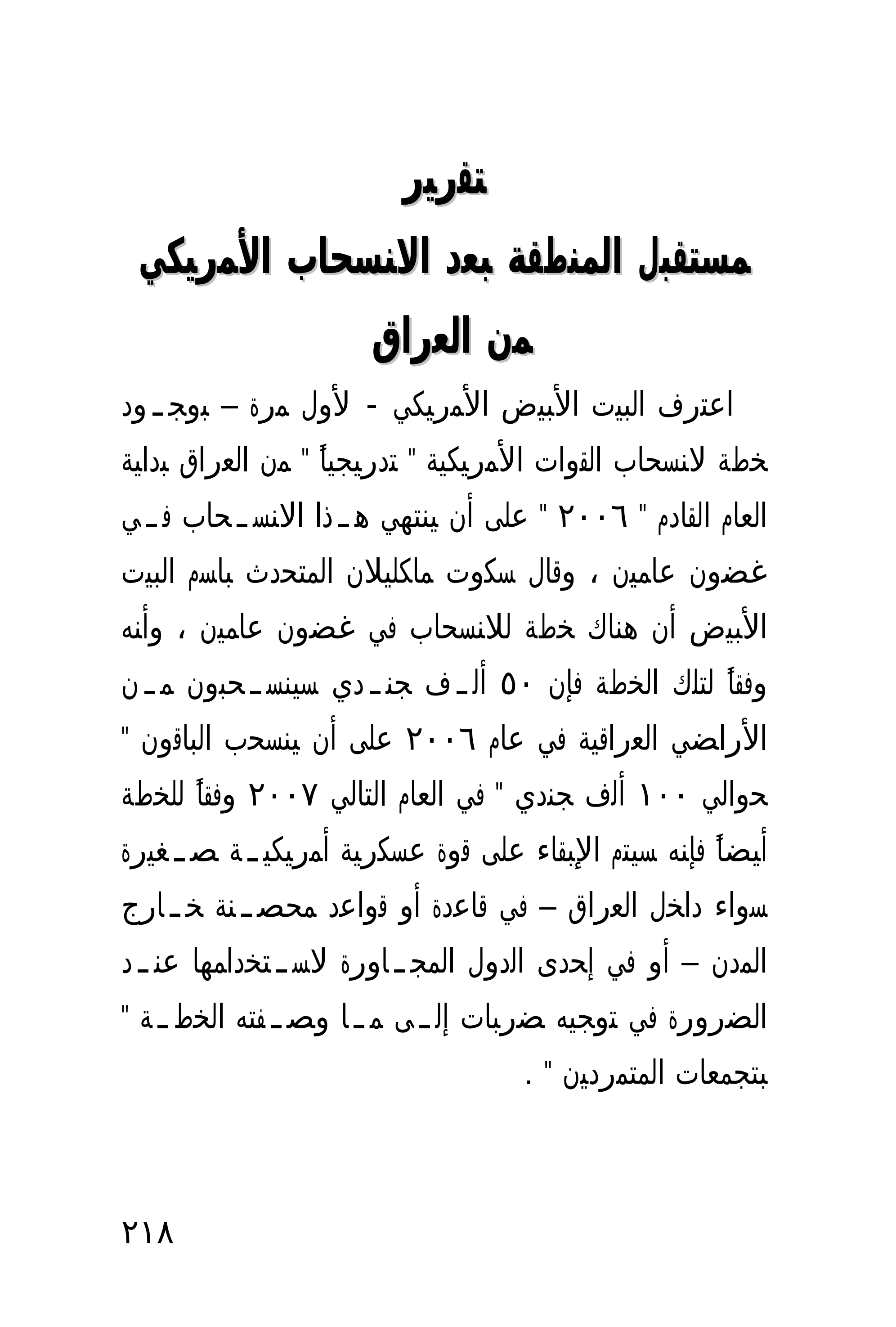
- الإدارة الأمريكية استخدمت كل ما هو متـاح وغيـر متاح سياسياً، من غطاء دولي عن طريق الأمم المتحدة، إلى تشكيل حكومات عراقية بعضها معين والآخر منتخب، إلـى محاولة إحداث فتنة طائفية بين العراقيين، إلى الضغط علـى دول الجوار بهدف دفعها إلى منع المقاومين من الدخول إلى العراق وغيرها من الوسائل، ومع ذلك فإن المقاومة تـزداد كماً ونوعاً.

من ناحية ثالثة فإن الداخل الأمريكي ذاته بدأ يتحرك ضد الحرب، ويطالب بعودة الجنود الأمريكيين إلى بلادهم، وبعد أن كان غزو العراق يحظى بشـعبية لـدى الـرأي العـام الأمريكي أظهرت استطلاعات الرأي العام مؤخراً أن نسـبة الأمريكيين الذين يرفضون استمرار الحرب ويطالبون بعودة الجنود قد تزايدت عن الذين يطالبون باستمرار الحرب، وأن النسبة في زيادة مطردة، ومن جانب آخـر فـإن أعضـاء الكونجرس بما فيهم جمهوريون أصبحوا يطالبون علناً بوضع



جدول زمني للانسحاب من العراق، وتم مناقشة ذلـك فـي الكونجرس، وبدهي أن المسألة ستتفاقم في النهاية لتصل إلى قرار الانسحاب، ومن ثم إعلان هزيمة أمريكا في العـراق. ما بعد الهزيمة الأمريكية فإن عالماً جديـداً سـوف يتشـكل ستشعر فيه الشعوب بقدرتها على مواجهة العدوان الأمريكي والصمود أمام آلة الحرب الأمريكية الضخمة والهائلة، والتي قد تستطيع هزيمة الجيوش والدول بسهولة لوجـود الفـارق الهائل في ميزان القوى، ولكنها لا تستطيع هزيمة المجتمعات والشعوب وحركات المقاومة الشعبية، إنه عصـر انتصـار الإنسان الآلة. عالم جديد ستتصاعد فيـه حركـات مقاومـة العولمة، ورفض الخضوع للهيمنة الأمريكيـة الصـهيونية، وسوف تصبح فيه الشعوب الإسلامية طليعة شعوب العالم في مواجهة الاستكبار والظلم، ويصبح فيه الإسلام أيديولوجيـة الفقراء والمستضعفين سلمية وغير سلمية، في عصر ما بعد الهزيمة الأمريكية في العراق ستتصاعد حركات المقاومة في كل مكان، ويبدأ العد التنازلي في عمر المشروع الصهيوني، وينفتح باب الأمل أمام استشراف نظام دولـي ـ اقتصـادي اجتماعي سياسي لا مكان فيه للنهب والظلـم والاسـتكبار.

ما بعد الهزيمة الأمريكية في العراق سيكون كل هم الولايات المتحدة الأمريكية النجاة بنفسها، ومنع وصول الإرهاب إلـى أراضيها، وتقليل آثار الهزيمة ما أمكن ذلك، وسوف تظهـر قوى وأقطاب دولية جديدة، ولن تنفرد الولايات المتحدة بالقوة في العالم، إنه عصر الإنسان، وتحية إلى المقاومة العراقيـة التي انتزعت هذا الفجر من دياجير الظلام.



تقرير

مستقبل المنطقة بعد الانسحاب الأمريكي من العراق

اعترف البيت الأبيض الأمريكي - لأول مرة – بوجـود خطة لانسحاب القوات الأمريكية " تدريجياً " من العراق بداية العام القادم " ٢٠٠٦ " على أن ينتهي هـذا الانسـحاب فـي غضون عامين ، وقال سكوت ماكليلان المتحدث باسم البيت الأبيض أن هناك خطة للانسحاب في غضون عامين ، وأنه وفقاً لتلك الخطة فإن ٥٠ ألـف جنـدي سينسـحبون مـن الأراضي العراقية في عام ٢٠٠٦ على أن ينسحب الباقون " حوالي ١٠٠ ألف جندي " في العام التالي ٢٠٠٧ وفقاً للخطة أيضاً فإنه سيتم الإبقاء على قوة عسكرية أمريكيـة صـغيرة سواء داخل العراق – في قاعدة أو قواعد محصـنة خـارج المدن – أو في إحدى الدول المجـاورة لاسـتخدامها عنـد الضرورة في توجيه ضربات إلـى مـا وصـفته الخطـة " بتجمعات المتمردين " .

وفي إطار الخطة أيضاً ينبغي عدم السماح للسنة بـالعودة لحكم العراق وإتاحة الفرصة للشيعة والأكراد للمشاركة فـي السلطة في إطار ترتيبـات يقبلهـا الجميـع ! ! . ، ونقـل الصلاحيات الأمنية إلى قـوات الأمـن العراقيـة والجـيش العراقي الذي دربته الولايات المتحدة .

لا يعنينا بالطبع ما تتصور أمريكا أنها ستقوم به لصياغة عراق ما بعد الانسحاب ، لأن هذا يخضع لعوامل كثيرة لـن تستطيع الولايات المتحدة الاستعداد لهـا ووضـع الخطـط المناسبة لهذا اليوم ، واستثمار تلك الهزيمة من أجل مصلحة العراق والعرب والمسلمين ، علينا أن نفتح ملف " مـا بعـد الهزيمة الأمريكية في العراق " وأن نستعد لسيناريوهات مـا بعد الانسحاب الأمريكي من العراق .

وبداية فإن المشروع الأمريكي في العراق ، هو الجـزء الأهم والأخطر في المشروع الإمبراطوري الأمريكي برمته ، ومن ثم فإن نتيجة هذا المشروع سوف تحدد إلى حد كبير شكل العالم ، ومن هنا فإن اعتبار الهزيمة الأمريكيـة فـي العراق نقطة مفصلية في تاريخ العالم ، بمعنى أننا يمكن في المستقبل المتوسط والبعيد أن نقـول : مـا قبـل الهزيمـة

الأمريكية في العراق وما بعد الهزيمة الأمريكية في العراق ، وأن نؤرخ بهذا الحادث على أساس أن تغييراً نوعياً وخطيراً في شكل المنطقة والعالم سيعتمد على ضوء تلك الهزيمـة . بداية فإننا نمتلك من الثقة في تحليلاتنا - بناء على محددات معلوماتية وإستراتيجية - أن نقول : إن المشروع الأمريكي في العراق قد مني بهزيمة إستراتيجية ، وإن إعـلان هـذه الهزيمة وتحديد شكلها والاعتراف بها مجرد تحصيل حاصل ، والمسألة لم تعد أكثر من مسألة وقت . وعلينا من ثـم أن نضع في اعتبارنا من الآن هذه الحقيقة ، وأن ندرك بالتـالي أن المشروع الإمبراطوري الأمريكي الصهيوني قد انهـزم ، وأن نراهن من الآن على قدرة الشعوب على انتزاع حقهـا وهزيمة أمريكا وأكبر من أمريكا .

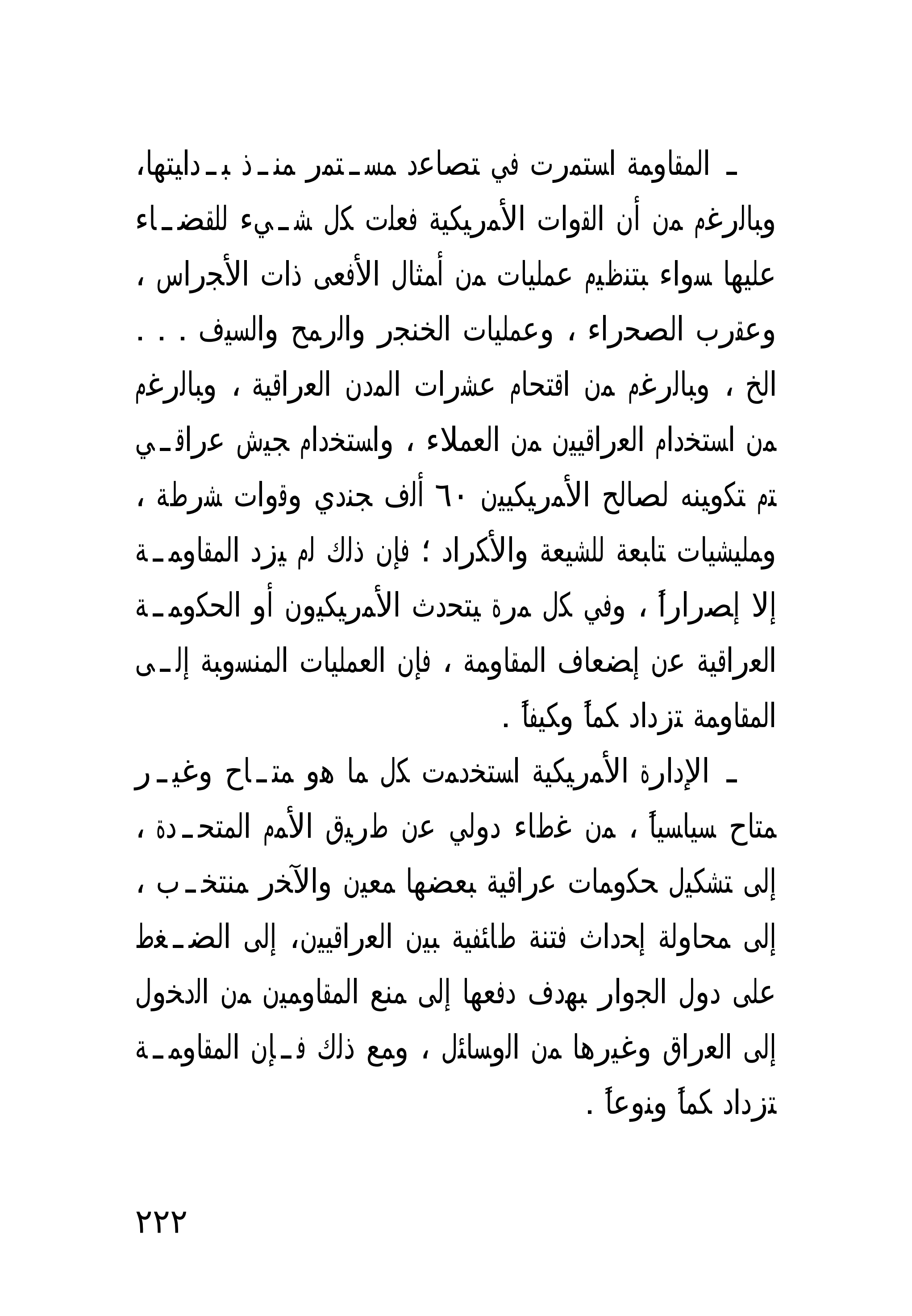
حسب المعطيات المقدمة إعلامياً الآن ؛ فـإن الخسـائر البشرية الأمريكية في عامين ونصف من الاحتلال حـوالي ٢٥٠٠ جندي و ١٠ آلاف جريح ، ومع الأخذ في الاعتبـار أن البنتاجون لا يعلن إلا عـن ٢٠ % فقـط مـن خسـائره الحقيقية فإن الرقم يقفز إلـى عشـرة آلاف جنـدي قتيـل وعشرات الآلاف من الجرحى ، وأنه تم إنفاق أكثر من ٣٠٠

مليار دولار على العمليات العسكرية في العراق في غضون عامين وهو رقم يفـوق توقعـات وميزانيـات الأمـريكيين المرصودة لهذا الأمر ، ومن ثم فإن هذا الاستنزاف المـادي والبشري لن يكون بلا سقف ! ! هذا بالإضافة إلى حـالات الهروب من الجيش الأمريكي في العراق - يقدره الـبعض بـ خمسة آلاف جندي سنوياً ، يلجئون إلى دول أخرى ثـم يعودون إلى أمريكا لمواجهة المحاكمة .

ووفقاً لتقرير أعده السيناتور الأمريكي " كارل ليفين " بعد دراسة مع فريق عمل في العراق فإن الروح المعنوية للجنود الأمريكيين متردية جداً ، وأنهم لا يفهمون لماذا جاءوا إلـى العراق ، وأنهم يريدون العودة فوراً إلى بلادهم ، وهذا يعنـي أن التبرير الأخلاقي والمعنوي الأمريكي لهذه الحـرب قـد سقط بالنسبة لهؤلاء الجنود ، وهـذا يـؤدي مباشـرة إلـى الهزيمة.

على الجانب الآخر ؛ فإنه وفقاً للمعلومات المتاحة والتـي لا يشك أحد فيها فإن :

- المقاومة العراقية اندلعت بعد شهرين فقط من سـقوط بغداد .



ـ المقاومة استمرت في تصاعد مسـتمر منـذ بـدايتها، وبالرغم من أن القوات الأمريكية فعلت كل شـيء للقضـاء عليها سواء بتنظيم عمليات من أمثال الأفعى ذات الأجراس ، وعقرب الصحراء ، وعمليات الخنجر والرمح والسيف . . . الخ ، وبالرغم من اقتحام عشرات المدن العراقية ، وبالرغم من استخدام العراقيين من العملاء ، واستخدام جيش عراقـي تم تكوينه لصالح الأمريكيين ٦٠ ألف جندي وقوات شرطة ، ومليشيات تابعة للشيعة والأكراد ؛ فإن ذلك لم يزد المقاومـة إلا إصراراً ، وفي كل مرة يتحدث الأمريكيون أو الحكومـة العراقية عن إضعاف المقاومة ، فإن العمليات المنسوبة إلـى المقاومة تزداد كماً وكيفاً .

ـ الإدارة الأمريكية استخدمت كل ما هو متـاح وغيـر متاح سياسياً ، من غطاء دولي عن طريق الأمم المتحـدة ، إلى تشكيل حكومات عراقية بعضها معين والآخر منتخـب ، إلى محاولة إحداث فتنة طائفية بين العراقيين، إلى الضـغط على دول الجوار بهدف دفعها إلى منع المقاومين من الدخول إلى العراق وغيرها من الوسائل ، ومع ذلك فـإن المقاومـة تزداد كماً ونوعاً .

من ناحية ثالثة فإن الداخل الأمريكي ذاته بدأ يتحرك ضد الحرب ، ويطالب بعودة الجنود الأمريكيين إلى بلادهم ، وبعد أن كان غزو العراق يحظى بشعبية لدى الرأي العام الأمريكي أظهرت استطلاعات الرأي العام مؤخراً أن نسبة الأمريكيين الذين يرفضون استمرار الحرب ويطالبون بعودة الجنود قد تزايدت عن الذين يطالبون باستمرار الحرب ، وأن النسبة في زيادة مطردة .

ما بعد الهزيمة الأمريكية فإن عالماً جديداً سوف يتشكل ستشعر فيه الشعوب بقدرتها على مواجهة العدوان الأمريكي والصمود أمام آلة الحرب الأمريكية الضخمة والهائلة ، والتي قد تستطيع هزيمة الجيوش والدول بسهولة لوجود الفارق الهائل في ميزان القوى ، ولكنها لا تستطيع هزيمة المجتمعات والشعوب وحركات المقاومة الشعبية ، إنه عصر انتصار الإنسان على الآلة . عالم جديد ستتصاعد فيه حركات مقاومة العولمة ، ورفض الخضوع للهيمنة الأمريكية الصهيونية ، وسوف تصبح فيه الشعوب الإسلامية طليعة شعوب العالم في مواجهة الاستكبار والظلم ، ويصبح فيه الإسلام أيديولوجية الفقراء والمستضعفين .

في عصر ما بعد الهزيمة الأمريكية في العراق ستتصاعد حركات المقاومة في كل مكان ، ويبدأ العد التنازلي في عمر المشروع الصهيوني ، وينفتح باب الأمل أمام استشراف نظام دولي - اقتصادي اجتماعي سياسي لا مكـان فيـه للنهـب والظلم والاستكبار .

ما بعد الهزيمة الأمريكية في العراق سـيكون كـل هـم الولايات المتحدة الأمريكية النجاة بنفسها ، ومنـع وصـول الإرهاب إلى أراضيها ، وتقليل آثار الهزيمة ما أمكن ذلك ، وسوف تظهر قوى وأقطاب دوليـة جديـدة ، ولـن تنفـرد الولايات المتحدة بالقوة في العالم ، إنـه عصـر الإنسـان ، وتحية إلى المقاومة العراقية التي انتزعت هذا الفجـر مـن دياجير الظلام .

بوابة النهر للخروج من العراق

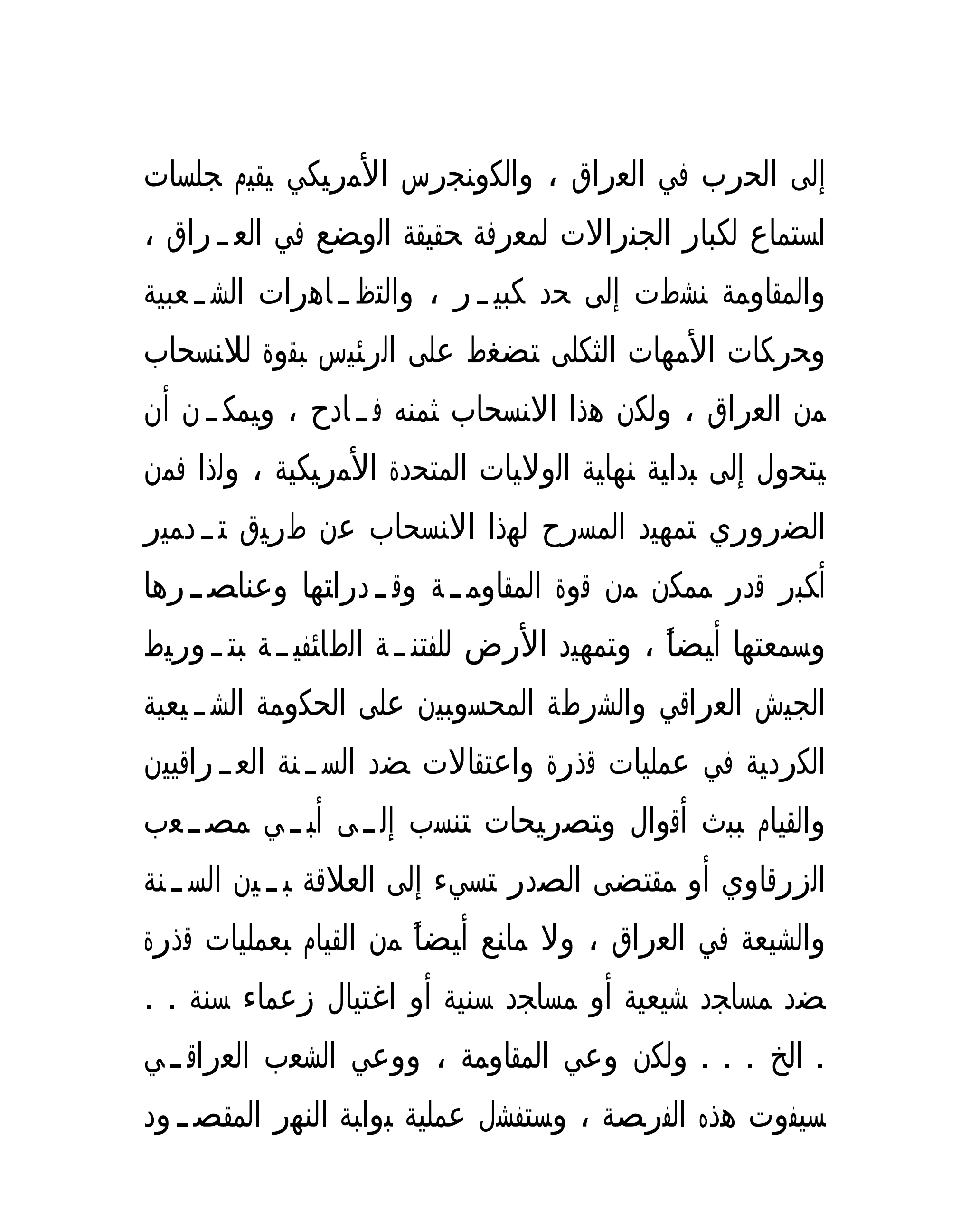
بوابة النهر هو الاسم الكودي لأكبر عملية عسكرية هـذا العام تقوم بها القوات الأمريكية " ٢٥٠٠ من مشاه البحرية " بالإضافة إلى قوات من الجيش والشرطة العراقية ، بهـدف القضاء على نشاط مقاتلي القاعدة والمجاهدين العراقيين فـي منطقة الأنبار وتحديداً في مدن " الحديثة " والحقلانية وبروانا ، وقد جاءت هذه العملية بعد ثلاثة أيام فقط من عملية القبضة الحديدية على عدد من المدن الواقعة غـرب الحـدود مـع سوريا . العمليات العسكرية الأمريكية ضد المقاومة العراقية ليست أمراً جديداً لا هذا العام ولا العام الذي سبقه ، وفي كل مرة يتم حشد طائرات ودبابات ، ومشاه بحرية ، ويتم إطلاق أسماء رنانة على تلك العمليات من أمثال القبضة الحديديـة ، الأفعى ذات الأجراس ، عقرب الصحراء . . . الخ ، ويـتم قصف مدن كالفلوجة والموصل وتلعفر وقتل مدنيين وهـدم بيوت . . . الخ ، ومع ذلك تستمر المقاومة بل تتصاعد ، بل إن الأمر وصل في الآونة الأخيرة إلى حد أن هـذه المـدن المستهدفة في العملية الأمريكية الأخيرة وهي مدن " الحديثة – الحقلانية – بروانا " بزعم الأمريكيين أنفسهم أن مقـاتلي

القاعدة والمقاومة قد سيطروا تماماً عليها وبدءوا في تطبيـق نظام حكم إسلامي أشبه بنظام حركة طالبان . . . إذاً فإن كل العمليات الأمريكية السابقة لم تفلـح فـي تقلـيص مسـاحة المقاومة ، بل ربما زادتها زيادة ملحوظة ، وهكذا فإنه مهما فعل الأمريكان والجيش والشرطة العراقية في عملية " بوابة البحر " فإن المسألة لن تعدو أن تكون كسابقاتها أي نوع من الكر والفر من قبل المقاومة يستمر فترة معينـة فـي تلـك المنطقة مع الضغط على مناطق أخرى حتى تنتهي العمليـة ويعود المقاتلون إلى أماكنهم . في كل الأحوال نحـن أمـام متغيرات هامة وموضوعية ، في الشأن العراقي ، فالحكومة العراقية مثلاً تشهد انقساماً حاداً بين الجعفري والطالباني مما يهدد الائتلاف الحكومي برمته ، ورغم تمريـر الدسـتور – المزعوم – فإن السنة من الناحية العملية يرفضونه ، وهـو بالتالي دستور مشكوك فيه ، والسلطة في العراق باتت شيعية كردية بالكامل . وهناك تحركات لا تخطئها العين نحو إقامة هلال شيعي يضم شيعة العراق وإيران والبحرين والسعودية والكويت ، وهذا أمر خطير للغاية ، لأن معناه تقسيم العراق ، واقتطاع أجزاء من دول أخرى ، ولعل هذا نفسه ما جعل

وزير الخارجية السعودي يقول أن أمريكا تخدم المخططـات الإيرانية في العراق دون أن تدري ، ولعل هذا هـو نفسـه الذي يجعل الدول الخليجية وكنوع من الدفاع عـن الـنفس تحترم المقاومة العراقية السنية وتشعر بأن هـذه المقاومـة تحميها هي نفسها من خطر التجزئة ومنع إقامة إمبراطورية شيعية في المنطقة . وهكذا فإن المقاومة العراقية تدافع عـن شرف الأمة عموماً ضد الاحتلال الأجنبي ، وتدافع عن الأمة ضد مشروع طائفي شيعي يمزق الأمة تمزيقاً ، وتدافع عـن دول الخليج المستهدف من ذلك المشروع ، وتدافع عن وحدة العراق ، بل هي تحمي العالم كله من مخاطر انفراد أمريكـا بالهيمنة عليه والسيطرة على كل منـابع البتـرول وتهديـد أوروبا والصين واليابان ، وهذه المقاومة الباسلة تفتح البـاب أمام الشعوب لانتزاع حقوقها ، فإذا كان من الممكن هزيمـة أمريكا فإن شيئاً لن يصبح مسـتحيلاً أمـام إرادة الإيمـان والصبر . ولأن المقاومة تملك كل هذا الإنجاز ، فإن عليهـا أن ترتفع إلى ما فوق الطائفية ، وأن تفوت الفرصـة علـى الأمريكان لتحويل العراق إلى مستنقع للطائفية ، وصحيح أن أمريكا والحكومة العراقية بقيادة الجعفري تقوم بكل ما يكرس

الطائفية ، وتعتقل شباب السنة ، وتدير الحكومـة بصـورة تستبعد بها السنة إلا أن ذلك كله يجـب ألا يـدفع المقاومـة للوقوع في مستنقع الطائفية ، لأن الأمة الإسلامية أولاً أغلبها سني " أكثر من ٩٠ % " ومن ثم فإن التعالي على الطائفيـة هو لمصلحة الأمة ومصلحة الأمة من مصلحة السنة ، وثانياً فإن خطاباً يؤكد على قاعدة الموقف من الاحتلال يمكـن أن يدفع قطاعات أكبر من الشيعة إلى الانخراط في المقاومـة " كيتا – الخالص – والصدر مثلاً " ويفتح البـاب أمـام كـل وطني وكل مسلم حقيقي وليس طائفي بل وكل عربي أو كل إنسان يرفض الإذعان والخضوع إلى الاشتراك في المقاومة ، فتصبح المقاومة حالة عراقية عربية إسلامية إنسانية شاملة وتصبح العراق قاعدة للتحرر الوطني والعربي والإسـلامي الشامل .

بوابة النهر هي نوع من العمليات المترتبة علـى الفشـل الأمريكي الذريع في العراق ، فالحكومة العراقية عـاجزة ، والأوضاع داخل أمريكا نفسها تطالب بالانسحاب من العراق، وهناك نقص كبير في أعداد المجندين الجـدد فـي الجـيش الأمريكي وصل إلى ٨ % وذلك بسبب الخوف من الـذهاب


إلى الحرب في العراق ، والكونجرس الأمريكي يقيم جلسات استماع لكبار الجنرالات لمعرفة حقيقة الوضع في العـراق ، والمقاومة نشطت إلى حد كبيـر ، والتظـاهرات الشـعبية وحركات الأمهات الثكلى تضغط على الرئيس بقوة للانسحاب من العراق ، ولكن هذا الانسحاب ثمنه فـادح ، ويمكـن أن يتحول إلى بداية نهاية الولايات المتحدة الأمريكية ، ولذا فمن الضروري تمهيد المسرح لهذا الانسحاب عن طريق تـدمير أكبر قدر ممكن من قوة المقاومـة وقـدراتها وعناصـرها وسمعتها أيضاً ، وتمهيد الأرض للفتنـة الطائفيـة بتـوريط الجيش العراقي والشرطة المحسوبين على الحكومة الشـيعية الكردية في عمليات قذرة واعتقالات ضد السـنة العـراقيين والقيام ببث أقوال وتصريحات تنسب إلـى أبـي مصـعب الزرقاوي أو مقتضى الصدر تسيء إلى العلاقة بـين السـنة والشيعة في العراق ، ولا مانع أيضاً من القيام بعمليات قذرة ضد مساجد شيعية أو مساجد سنية أو اغتيال زعماء سنة . . . الخ . . . ولكن وعي المقاومة ، ووعي الشعب العراقـي سيفوت هذه الفرصة ، وستفشل عملية بوابة النهر المقصـود

بها بوابة إلى المستنقع الطائفي ، وسوف تستمر المقاومة إن شاء ا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

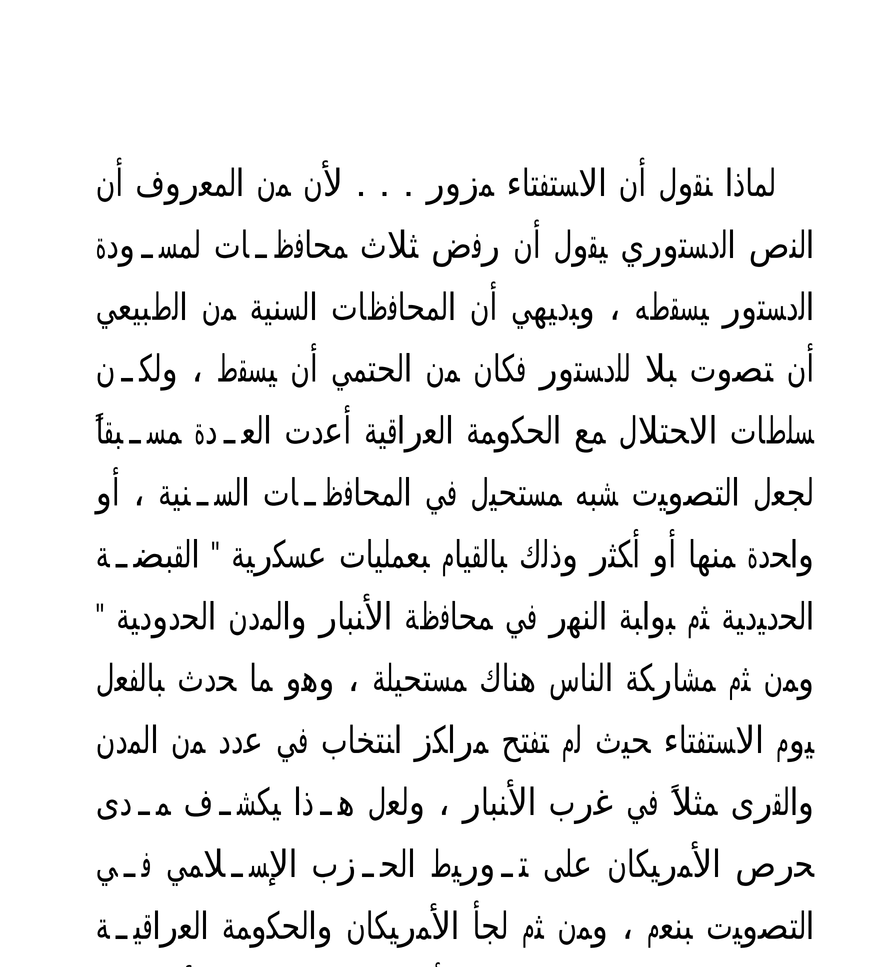
العراق . . . تمرير دستور الاحتلال بدبابات الاحتلال

يخطئ من يتصور أن إجراء الاستفتاء على مـا يسـمى بمسودة الدستور العراقي والتي تمت يوم ١٥ أكتوبر ٢٠٠٥ ، ومن ثم إجازة هذا الدستور بعد موافقة الأغلبية عليه فـي العراق ، يخطئ من يتصور أن ما تـم كـان نوعـاً مـن الممارسة الديمقراطية النزيهة ، بل كانـت عمليـة تزويـر واضحة المعالم لا تمت للديمقراطية بصلة . . . وقد تم إعداد تلك المسرحية المزورة مسبقاً بالاتفاق بين سلطات الاحتلال والقوى المتعاونة معها من كل الطوائف ، وليس من الأكراد والشيعة فقط . هذا الدستور الذي أعلن الـرفض لـه كـل قطاعات الشعب العراقـي المناهضـة للاحـتلال ، سـواء بالمقاطعة المبدئية وقد كانت تلك المقاطعـة هـي الموقـف الأصح ، لأن من البديهي أن سلطات الاحتلال لـن تسـمح بإسقاط الدستور حتى ولو تم تزوير النتائج النهائيـة ! ! . أو بتلك القوى التي فضلت المشاركة مع الرفض ، وأيـاً كـان الأمر فإن معظم السنة قاطعوا أو رفضوا ، وكذا تيار آية ا الخالص ، وتيار مقتضى الصدر ، أي أن الرافضين للدستور

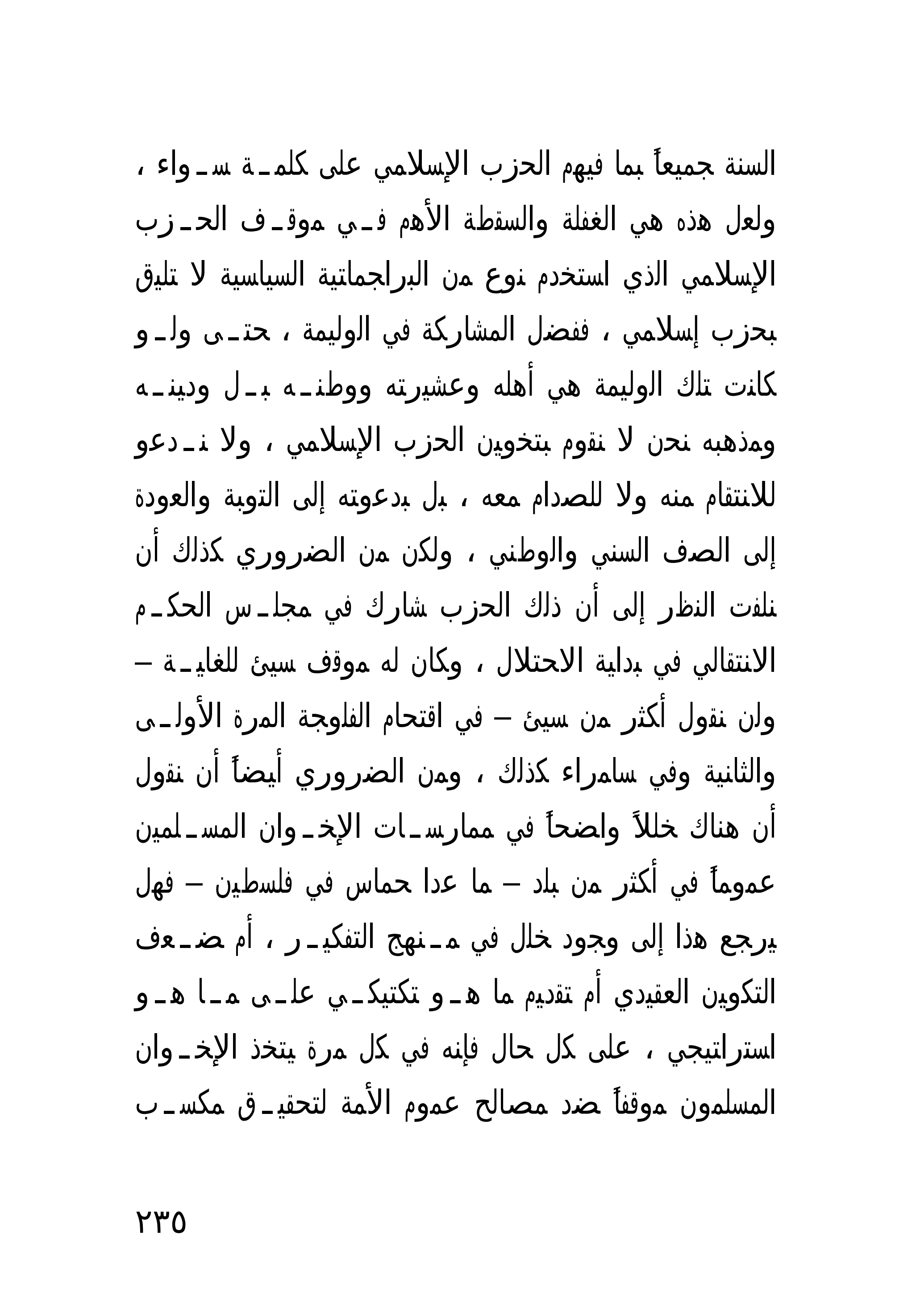
كانوا هم أنفسهم الرافضين للاحتلال ، أما الذين أيدوا فكانوا الأحزاب الكردية - المجلس الأعلى للثورة فـي العـراق " جماعة الحكيم " – حزب الدعوة " جماعة الجعفري رئـيس الوزراء " ، آية ا السيستاني الذي دعـا العـراقيين إلـى التصويت بنعم ، الحـزب الإسـلامي العراقـي " الإخـوان المسلمين " . وبمجرد نظرة على هؤلاء الذين وافقـوا علـى الدستور نكتشف أنهم هم أنفسهم الذين تعاونوا مع الاحـتلال منذ البداية ، والذين تشكل منهم مجلس الحكم الانتقالي ، وأن منهم أكراد ، وشيعة ومنهم سنة أيضاً " الحـزب الإسـلامي مثلاً " ، وهكذا فإن الفرز حول موضوع الدستور ليس فرزاً طائفياً ، بل هو فرز على قاعدة مقاومة الاحتلال أم التعاون معه ! ! ولعل هذا في حد ذاته يكشف طبيعة المعركـة فـي العراق ، وأنها في جوهرها ليست معركة طائفية ، بل هـي معركة وطنية ضد الاحتلال الذي نجح في تـوريط رمـوز طائفية معه ، ومن ثم محاولة جر العـراق إلـى المسـتنقع الطائفي ، وأن الذي يثر الفتنة الطائفية هم المتعـاونون مـع الاحتلال ، أو قوات الاحتلال ذاتها ، وأو عملاء الموسـاد ، أو عملاء دول مجاورة للعراق . . . الخ ، وليست المقاومـة

العراقية الباسلة وأن اتهام جماعة الزرقاوي بعمليات مشبوهة هو جزء من خطة الاحتلال وأعوانه أكثر منها حقيقة . ولأن المسألة مسألة فرز مواقف حول قاعدة مقاومة الاحـتلال أو التعاون معه ، فإن الاعتراضات على الدستور لم تكن سـنية فقط – وشرف كبير للسنة طبعاً أن يتهموا بمعارضة الدستور ومقاومة الاحتلال – بل قل إنها كانت وطنية ، فـالاعتراض جاء على أن هذا الدستور يكرس للطائفية وتمزيـق العـراق وتقسيمه عاجلاً أم آجلاً وأنه يقلل من قيمة الإسـلام حـين يجعله فقط إحدى مصادر التشريع الرئيسية وليس المصـدر الرئيسي أو الوحيد مثلاً أي أنه يسـاوي بينـه وبـين بقيـة المصادر ، وكذلك في وجود نصوص غامضة حول اقتسـام الثروة وموضوع مدينة كركوك ، ومن ثم فإن الاعتـراض على الدستور كان من أجل وحدة العراق وليس مـن أجـل العرب أو السنة مثلاً ، والذين أيدوا الدستور كانوا إما عملاء للاحتلال أو لإيران ، أو لهم حسابات براجماتية ضيقة ولـو على حساب العراق والسنة والأمة وكل شيء ! ! .

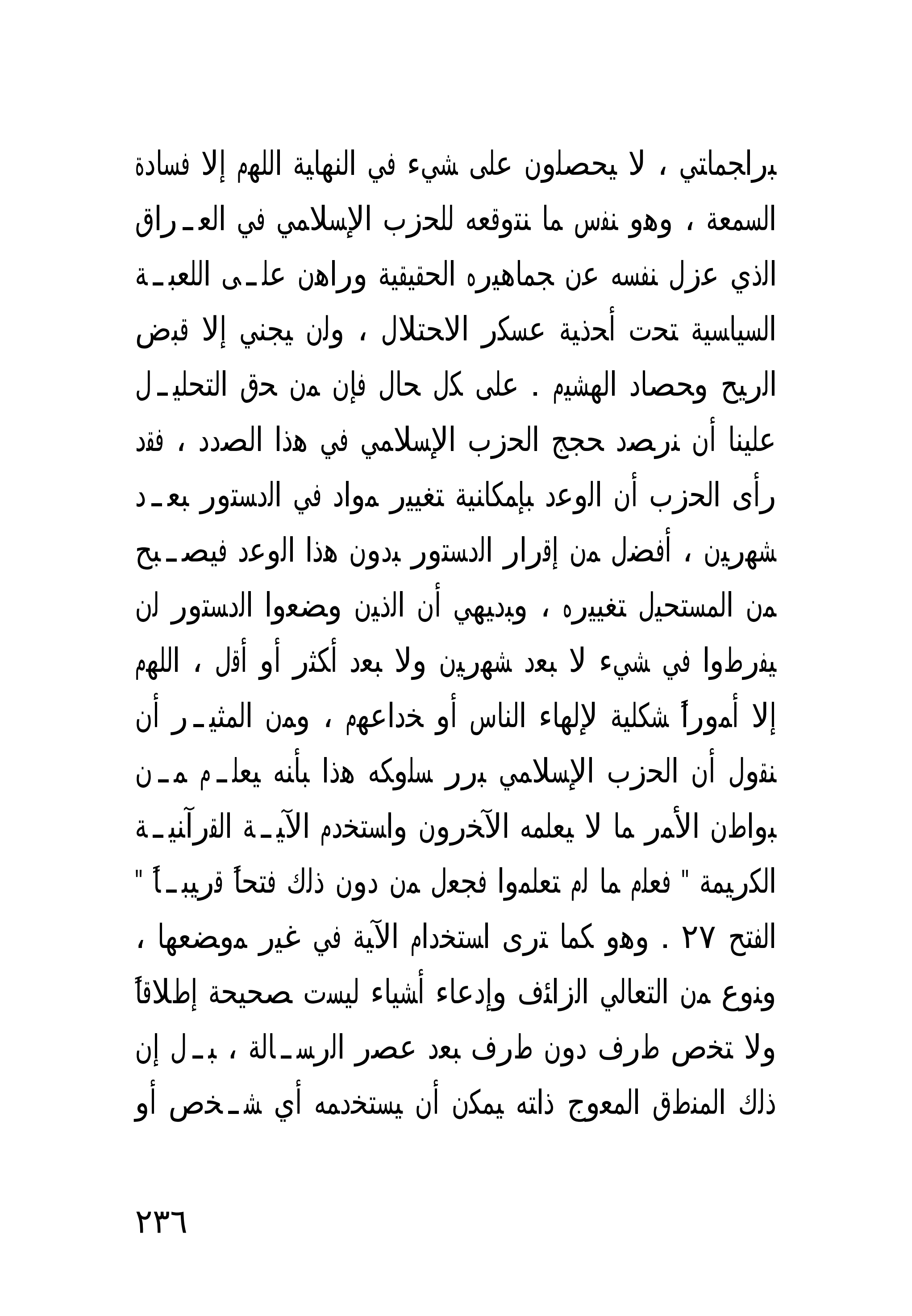
* * *



لماذا نقول أن الاستفتاء مزور . . . لأن من المعروف أن النص الدستوري يقول أن رفض ثلاث محافظـات لمسـودة الدستور يسقطه ، وبديهي أن المحافظات السنية من الطبيعي أن تصوت بلا للدستور فكان من الحتمي أن يسقط ، ولكـن سلطات الاحتلال مع الحكومة العراقية أعدت العـدة مسـبقاً لجعل التصويت شبه مستحيل في المحافظـات السـنية ، أو واحدة منها أو أكثر وذلك بالقيام بعمليات عسكرية " القبضـة الحديدية ثم بوابة النهر في محافظة الأنبار والمدن الحدودية " ومن ثم مشاركة الناس هناك مستحيلة ، وهو ما حدث بالفعل يوم الاستفتاء حيث لم تفتح مراكز انتخاب في عدد من المدن والقرى مثلاً في غرب الأنبار ، ولعل هـذا يكشـف مـدى حرص الأمريكان على تـوريط الحـزب الإسـلامي فـي التصويت بنعم ، ومن ثم لجأ الأمريكان والحكومة العراقيـة إلى التزوير المباشر ،و ادعوا أنه لا تزوير هناك لأن هناك من السنة من يقول نعم ، وادعوا أن تلك هي أغلبيـة أهـل السنة الذين يمثلهم الحزب الإسلامي ، وصحيح أن ذلك كذب واضح لأن الحزب الإسلامي لا يمثل كثيراً لـدى السـنة ، ولكنه كان أفضل للأمريكان والحكومة من لو اجتمـع أهـل



السنة جميعاً بما فيهم الحزب الإسلامي على كلمـة سـواء ، ولعل هذه هي الغفلة والسقطة الأهم فـي موقـف الحـزب الإسلامي الذي استخدم نوع من البراجماتية السياسية لا تليق بحزب إسلامي ، ففضل المشاركة في الوليمة ، حتـى ولـو كانت تلك الوليمة هي أهله وعشيرته ووطنـه بـل دينـه ومذهبه نحن لا نقوم بتخوين الحزب الإسلامي ، ولا نـدعو للانتقام منه ولا للصدام معه ، بل بدعوته إلى التوبة والعودة إلى الصف السني والوطني ، ولكن من الضروري كذلك أن نلفت النظر إلى أن ذلك الحزب شارك في مجلـس الحكـم الانتقالي في بداية الاحتلال ، وكان له موقف سيئ للغايـة – ولن نقول أكثر من سيئ – في اقتحام الفلوجة المرة الأولـى والثانية وفي سامراء كذلك ، ومن الضروري أيضاً أن نقول أن هناك خللاً واضحاً في ممارسـات الإخـوان المسـلمين عموماً في أكثر من بلد – ما عدا حماس في فلسطين – فهل يرجع هذا إلى وجود خلل في مـنهج التفكيـر ، أم ضـعف التكوين العقيدي أم تقديم ما هـو تكتيكـي علـى مـا هـو استراتيجي ، على كل حال فإنه في كل مرة يتخذ الإخـوان المسلمون موقفاً ضد مصالح عموم الأمة لتحقيـق مكسـب



براجماتي ، لا يحصلون على شيء في النهاية اللهم إلا فسادة السمعة ، وهو نفس ما نتوقعه للحزب الإسلامي في العـراق الذي عزل نفسه عن جماهيره الحقيقية وراهن علـى اللعبـة السياسية تحت أحذية عسكر الاحتلال ، ولن يجني إلا قبض الريح وحصاد الهشيم . على كل حال فإن من حق التحليـل علينا أن نرصد حجج الحزب الإسلامي في هذا الصدد ، فقد رأى الحزب أن الوعد بإمكانية تغيير مواد في الدستور بعـد شهرين ، أفضل من إقرار الدستور بدون هذا الوعد فيصـبح من المستحيل تغييره ، وبديهي أن الذين وضعوا الدستور لن يفرطوا في شيء لا بعد شهرين ولا بعد أكثر أو أقل ، اللهم إلا أموراً شكلية لإلهاء الناس أو خداعهم ، ومن المثيـر أن نقول أن الحزب الإسلامي برر سلوكه هذا بأنه يعلـم مـن بواطن الأمر ما لا يعلمه الآخرون واستخدم الآيـة القرآنيـة الكريمة " فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريبـاً " الفتح ٢٧ . وهو كما ترى استخدام الآية في غير موضعها ، ونوع من التعالي الزائف وإدعاء أشياء ليست صحيحة إطلاقاً ولا تخص طرف دون طرف بعد عصر الرسـالة ، بـل إن ذلك المنطق المعوج ذاته يمكن أن يستخدمه أي شـخص أو

جماعة أو قائد إذا ما أراد التفريط في أي شيء ! ! . وهـو منطق ربما يتفق مع الفقه الشيعي ، ولا يتفق بتاتاً مع الفقـه السني . ويرى بعض المراقبين – وا تعالى أعلم بالنوايا – أن موقف الحزب الإسلامي في العراق هو نوع من الخضوع لإرشادات إخوانية دولية تريد أن ترسل رسالة إلى الولايات المتحدة تقول فيها أنها مستعدة للتعاون إلى آخر مدى ! ! وأن تمديدها لأمريكا في العراق بانتظار أن تمد أمريكا يدها لهـا في مصر مثلاً أو غيرها وهو لعمـري نـوع مـن الحـب الإخواني من طرف واحد لن يرد عليه الأمريكان ولا حتـى بنظرة عطف .

***

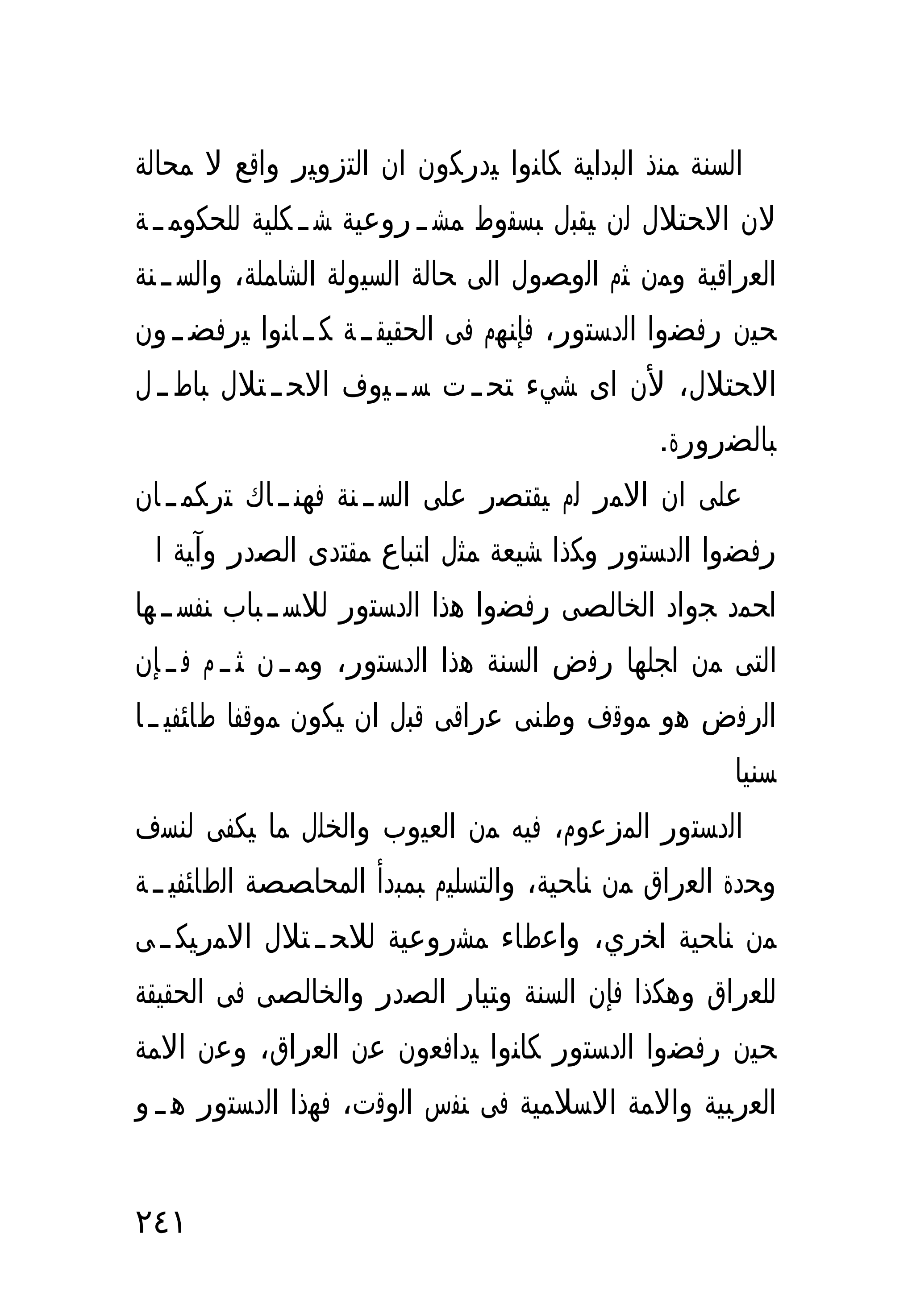
بقى أن نقول أن تمرير الدستور في العراق لن يفيد فـي المعادلة العراقية شيئاً ، فالمعسكران المتمايزان هما نفسـهما معسكر الاحتلال وأعوانه ، ومعسكر المقاومـة وأنصـارها وأنه طالما أن المقاومة متمسكة بخيارها الصحيح ولا تساوم عليه ولا تتراجع فإن تمرير الدستور مثـل عـدم تمريـره ومجلس الحكم الانتخابي مثل الحكومة المنتخبـة ، وبريمـر

مثل خليل زاده ، وما دامت المقاومة تعرف طريقهـا فـإن ورقة التوت لن تغير شيئاً في جوهر الموضوع .

لماذا رفض السنة مسودة الدستور فى العراق

بعد ان تم اعلان نتائج الاستفتاء على ما يسمى بمسـودة الدستور فى العراق، الصحيح انها مسودة دستور الاحـتلال، وجاءت النتائج الرسمية، وهى فى الحقيقة مزورة، تقـول ان ٧٩% من الشعب العراقى قبل هذه المسودة، ورفضها ٢١% وفى نتيجة اشبه بالاحصاء الطائفى الذى تروج له سـلطات الاحتلال والاعلام التابع لها، وايضا تقول النتـائج ان ٩٦% من ناخبى محافظة الانبار رفضوا تلك المسودة ٨١% مـن محافظة نينوى رفضوها ايضا وان ٥٥% من محافظة ثالثـة قد رفضوا المسودة، وبالتالى فإن هنـاك ثـلاث محافظـات رفضت المسودة، ولكن وفقا للقانون الذى تم طبخه سلفا فانه كان يلزم وصول نسب الـرفض الـى ٦٧% فـى ثـلاث محافظات على الاقل لسقوط المسودة وبما ان النسبة تجاوزت ذلك فى محافظتين فقط، ولكنهـا توقفـت عنـد ٥٥% فـى المحافظة الثالثة نينوى فإن الدستور قد تـم تمريـره وفـى الحقيقة فإن هذه النتيجة ذاتها كنا قد توقعناها بحذافيرها قبـل

اعلان النتائج باسبوع على الاقـل، وتحديـدا يـوم اجـراء الاستفتاء وقلنا ان سلطات الاحتلال لجأت الى المساومة مـع الحزب الاسلامى واعطائه وعودا بمكاسـب فـى العـراق وخارج العراق للاخوان المسلمين مقابل التصويت بنعم فـلا يستطيع السنة بالتالى الحصول على نسبة الثلثين المطلوبـة للرفض فى محافظة نينوى التابعة لها مدينة الوصـل وهـى العقل الاساسى للحزب الاسـلامي، وكـان قبـول الحـزب الاسلامى فى العراق لهذه الصفقة طعنة خنجر فـى ظهـر السنة، وعلى كل حال فإن ذلك كان يسـتهدف اولا تمريـر الدستور فى نينوي، او عدم وصول الرفض الى ٦٧% مـن  الناخبين، اوحتى الاستناد الى هذه الحجة ـ حجة وجود قوة كبيرة للحزب الاسلامى فى الموصل ونينوى للتلاعـب فـى النتـائج ـ وهـذا مـا نرجحـه علـى اى حـال. وبديهى ان موقف الحزب الاسـلامى كـان غيـر اخلاقـى واعطى للتزوير الامريكى غطاء، ولكن النسبة العاليـة مـن الرفض فى كل وثائق السنة تؤكد ان الحزب فى طريقه الـى الانحسار.



السنة منذ البداية كانوا يدركون ان التزوير واقع لا محالة لان الاحتلال لن يقبل بسقوط مشـروعية شـكلية للحكومـة العراقية ومن ثم الوصول الى حالة السيولة الشاملة، والسـنة حين رفضوا الدستور، فإنهم فى الحقيقـة كـانوا يرفضـون الاحتلال، لأن اى شيء تحـت سـيوف الاحـتلال باطـل بالضرورة.

على ان الامر لم يقتصر على السـنة فهنـاك تركمـان رفضوا الدستور وكذا شيعة مثل اتباع مقتدى الصدر وآية ا احمد جواد الخالصى رفضوا هذا الدستور للاسـباب نفسـها التى من اجلها رفض السنة هذا الدستور، ومـن ثـم فـإن الرفض هو موقف وطنى عراقى قبل ان يكون موقفا طائفيـا سنيا

الدستور المزعوم، فيه من العيوب والخلل ما يكفى لنسف وحدة العراق من ناحية، والتسليم بمبدأ المحاصصة الطائفيـة من ناحية اخري، واعطاء مشروعية للاحـتلال الامريكـى للعراق وهكذا فإن السنة وتيار الصدر والخالصى فى الحقيقة حين رفضوا الدستور كانوا يدافعون عن العراق، وعن الامة العربية والامة الاسلامية فى نفس الوقت، فهذا الدستور هـو

بروفة لما يمكن ان يحدث هنا او هناك فى مصر او المغرب او ايران ذاتها.

حين رفض السنة والصدر مبدأ ان الشـريعة الاسـلامية مصدر رئيسى للتشريع وكانوا يريدون ان تكـون الشـريعة الاسلامية المصدر الوحيد او الرئيسى للتشريع، وانه لا يجوز مساواة الشريعة بغيرها من مصادر التشريع فإنهم هنا كـانوا يدافعون عن الاسلام، ونلاحظ مثلاً ان الدسـتور المصـرى ينص على ان الشريعة الاسلامية هـى المصـدر الرئيسـى للتشريع، ولكن هناك اصواتا علمانية ومسيحية تطالب بالغاء تلك المادة، وبديهى ان اقرار الدستور العراقى بهذه الطريقة سيكون دافعا للمزيـد مـن الضـغط فـى هـذا الاتجـاه!! ان الدستور العراقى يعطى الحق لثلاث محافظات اذا اتفقـت كلمتها على الانفصال، أى إن هناك قنبلة موقوتـة موجـودة بالفعل داخل الدستور يمكن تفعيلها فى أى لحظـة، وهـذا لا يجعل تقسيم العراق ممكنا فقط، بل يمكن ان يكون نموذجـا لدساتير اخرى فى بلاد بهـا مشـاكل عرقيـة كالسـودان، والمغرب والجزائر بل ومصر ولبنـان وسـوريا وتركيـا الامازيغ والاكراد والزنج وهلما جرا!! .

ان الدستور العراقى يضعف الانتماء العربـى للعـراق، لدرجة ان جامعة الدول العربية ذاتها اعترضت علـى هـذا الامر، فالدستور ينص على ان الشعب العربى فى العراق هو جزء من الامة العربية، وهذا يعنى مباشرة، ان التعامل مـع المسائل يتم بالقطعة وليس بالاغلبية ٨٠% من سكان العراق عرب ومادام الامر كذلك فإن من حـق اسـرائيل مـثلاً ان يسكنها ١,٥مليون عربى ان تطالـب بالانضـمام للجامعـة العربية، ومن حق الامازيج فى الجزائر والمغرب والاكـراد فى سوريا وايران وتركيا ان يشترطوا عدم انتماء هذه الدول الى ثقافة الاغلبية فيها مثلاً!! وهو مقدمة لانقسامات ايضـا بنفس الطريقة فى دول بها شيعة مثل السـعودية والكويـت والبحرين.. الخ.

هذه المخـاوف وغيرهـا حقيقـة ملموسـة لدرجـة ان مجموعات دولية - غير عربية ولا اسلامية - قد رصـدتها فمجموعة انترناشيونال كريسـيس جـروب قالـت ان هـذا الدستور سيسرع فى تقسيم البلاد. على كل حال فإن اقـرار هذا الدستور المزعوم، لن يقدم ولن يؤخر فقد تـم تزويـره اولاً، وهو دستور الاحتلال ثانيا، والمقاومـة هـى العامـل

الاساسى فى الموضوع ثالثا، ولا يؤثر علـى المقاومـة ان تتعامل مع حكومة تسمى مجلس الحكم الانتقالى او حكومـة منتخبة مؤقتة او دائمة بحكم الدستور فـالجميع هـو ظـل للاحتلال لا اكثر ولا اقل، وليس هناك فـرق حقيقـى بـين حكومة يشكلها بريمر او اخرى يشكلها خليل زادة.

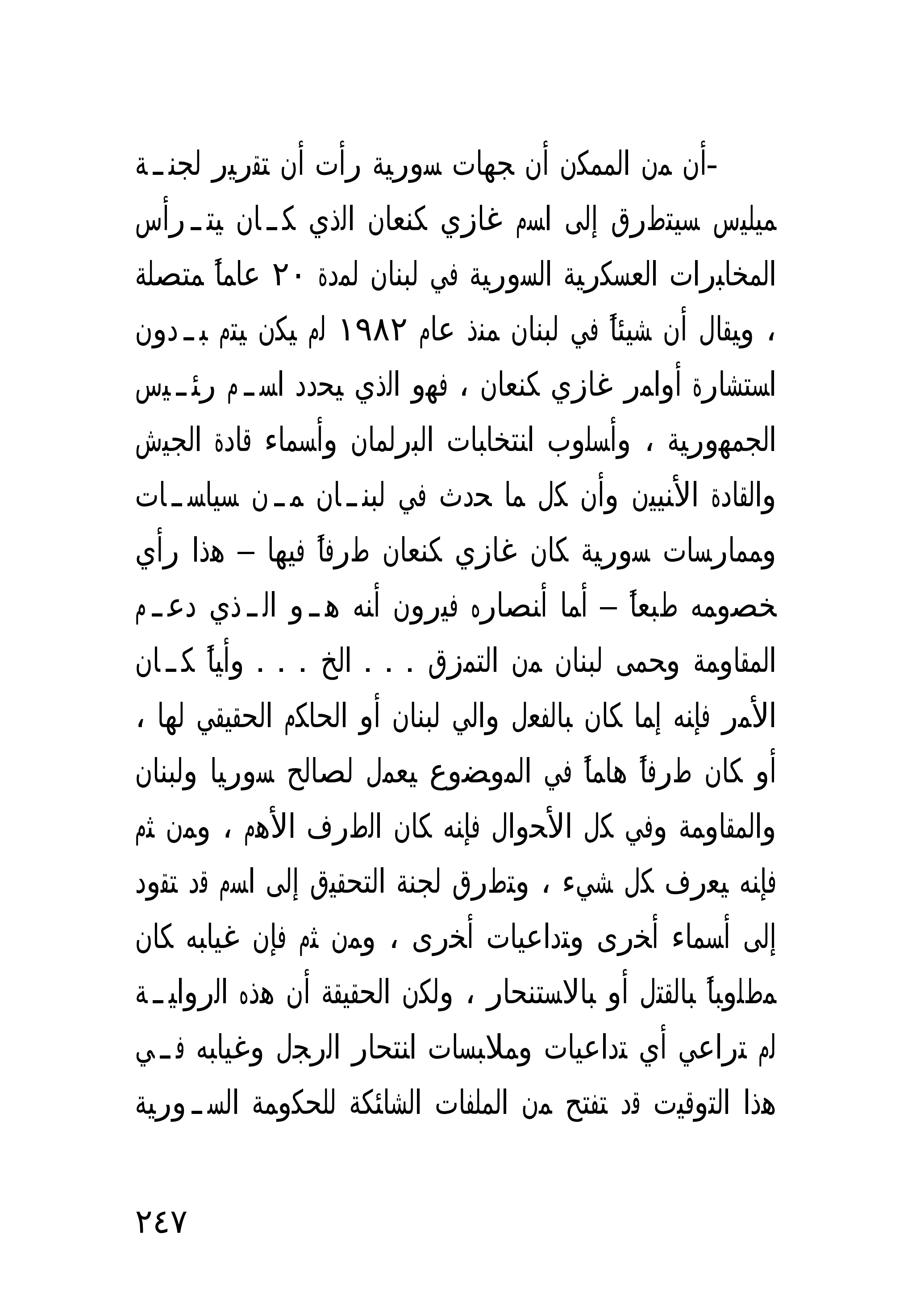
أمريكا سوريا
تداعيات انتحار غازي كنعان
ترويض الأسد بدلاً من قتله

جاءت عملية انتحار وزير الداخلية السوري اللواء غازي كنعان وهو شخصية هامة جداً من ناحية ما قام به مـن دور معروف وخطير في لبنان تحديداً وفي لبنان وسوريا عموماً ، وما ينتظر سوريا من استحقاقات يمكن أن تطلب منها عقـب نشر تقرير لجنة ميليس " القاضي الألماني الذي يحقـق فـي عملية اغتيال الرئيس الحريري " . جاءت عمليـة انتحـار اللواء غازي كنعان في مكتبه صباح يوم الأربعاء ١٢ أكتوبر ٢٠٠٥ لتطرح من الأسئلة أكثر مما تقدم من إجابـات هـل انتحر الرجل حقاً . . . أم أنه طلب منه الانتحار فوافق أم تم قتله وصدر بيان رسمي بانتحاره بأنه أطلق الرصاص علـى نفسه في مكتبه بالطبع علينا أن نأخـذ بالروايـة الرسـمية السورية التي تتحدث عن انتحار الرجل لأن مـن الصـعب إجراء تحقيق حول ملابسات الحادث داخل سـوريا ذاتهـا . ولكن يجب رصد عدد من الأمور التي سبقت هذا الانتحـار

منها:

-أن تسريبات إعلامية قيل أنها خرجت من لجنة التحقيق الخاصة بمصرع الحريري تتحدث عن أن الرجل قدم للجنـة إبان زيارتها إلى سوريا عدداً من الشيكات المصرفية التـي كان الحريري يعطيها للواء غازي كنعان وذلك فـي إطـار نفي الرجل إمكانية قتل الحريري الذي كان أحـد مصـادر رزقه ، وهذا الأمر بالطبع مستبعد لأن الرجل لا يمكـن أن يتهم نفسه بالرشوة حتى ولو في إطار نفي تهمة المشاركة في القتل ، وقد نفي الرجل قبيل موتـه هـذا الأمـر تمامـاً . سنفترض أن هذا الأمر صحيح وأن الرجل وثق فـي لجنـة ميليس ولكنها خانت الثقة وسربت الخبر مما اعتبره الرجـل مساساً بسمعته ومن ثم أقدم على الانتحار.

-أن الرئيس السوري بشار الأسد كان قد صـرح قبيـل حادث الانتحار بيوم واحد أن من يثبت تورطه فـي مقتـل الحريري من المسئولين السوريين سيتم اعتباره خائناً ، ومن الممكن أن اللواء غازي كنعان تصـور أن لجنـة التحقيـق ستزج به وبأخرين من المسئولين السوريين فـي موضـوع اغتيال الحريري فبادر بالانتحار



-أن من الممكن أن جهات سورية رأت أن تقرير لجنـة ميليس سيتطرق إلى اسم غازي كنعان الذي كـان يتـرأس المخابرات العسكرية السورية في لبنان لمدة ٢٠ عاماً متصلة ، ويقال أن شيئاً في لبنان منذ عام ١٩٨٢ لم يكن يتم بـدون استشارة أوامر غازي كنعان ، فهو الذي يحدد اسـم رئـيس الجمهورية ، وأسلوب انتخابات البرلمان وأسماء قادة الجيش والقادة الأنيين وأن كل ما حدث في لبنـان مـن سياسـات وممارسات سورية كان غازي كنعان طرفاً فيها – هذا رأي خصومه طبعاً – أما أنصاره فيرون أنه هـو الـذي دعـم المقاومة وحمى لبنان من التمزق . . . الخ . . . وأياً كـان الأمر فإنه إما كان بالفعل والي لبنان أو الحاكم الحقيقي لها ، أو كان طرفاً هاماً في الموضوع يعمل لصالح سوريا ولبنان والمقاومة وفي كل الأحوال فإنه كان الطرف الأهم ، ومن ثم فإنه يعرف كل شيء ، وتطرق لجنة التحقيق إلى اسم قد تقود إلى أسماء أخرى وتداعيات أخرى ، ومن ثم فإن غيابه كان مطلوباً بالقتل أو بالاستنحار ، ولكن الحقيقة أن هذه الروايـة لم تراعي أي تداعيات وملابسات انتحار الرجل وغيابه فـي هذا التوقيت قد تفتح من الملفات الشائكة للحكومة السـورية

أكثر مما تغلق.

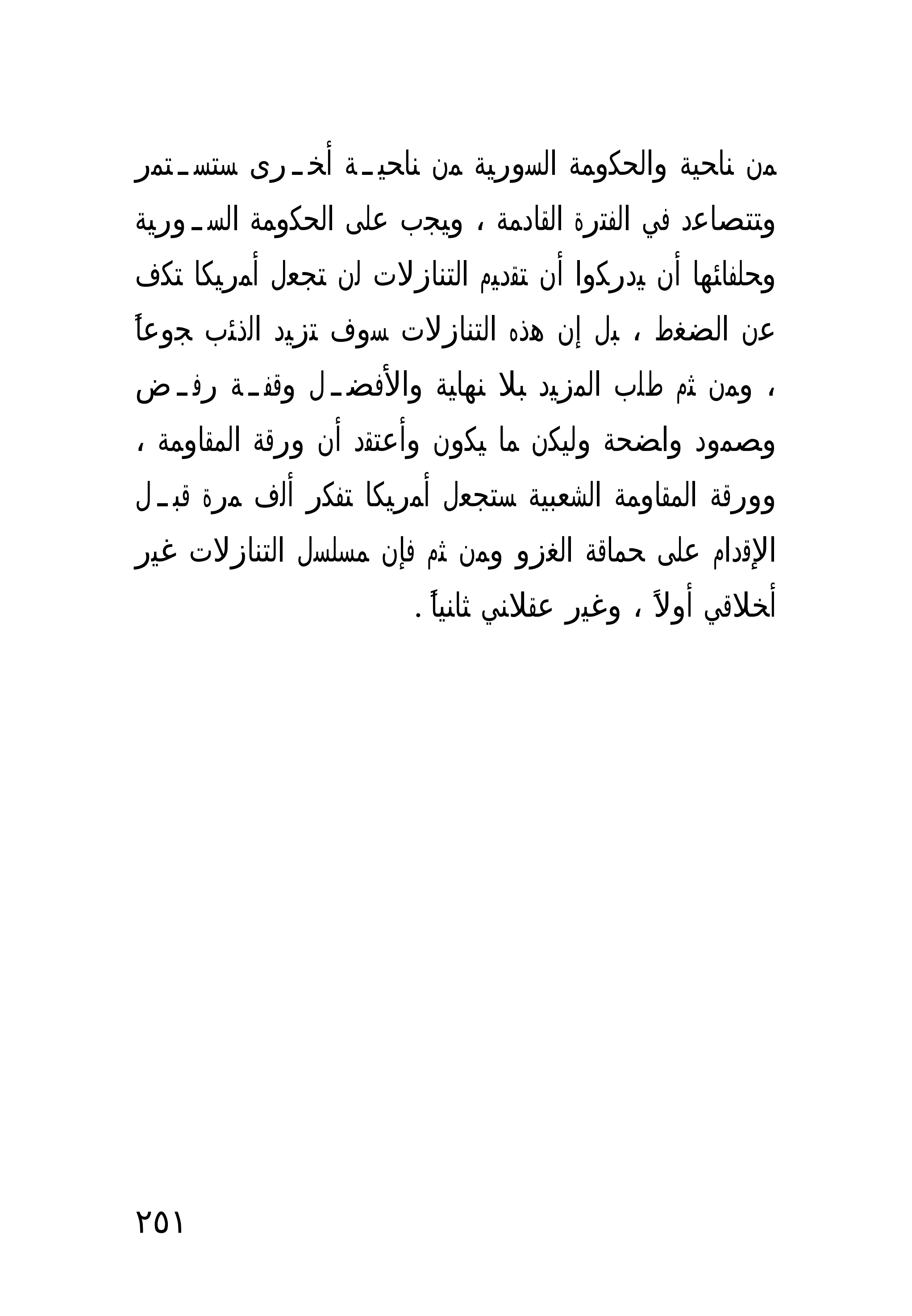
- يتحدث البعض عن علاقـات فسـاد وتجـارة غيـر مشروعة كان الرجل طرفاً فيها في لبنان ، وأن الانتحار كان خوفاً من احتمال انكشاف تلك العلاقات المريبة

- يتحدث البعض عن صفقة بين الحكـومتين السـورية والأمريكية كان ثمنها انتحار أو استنحار اللواء غازي كنعان

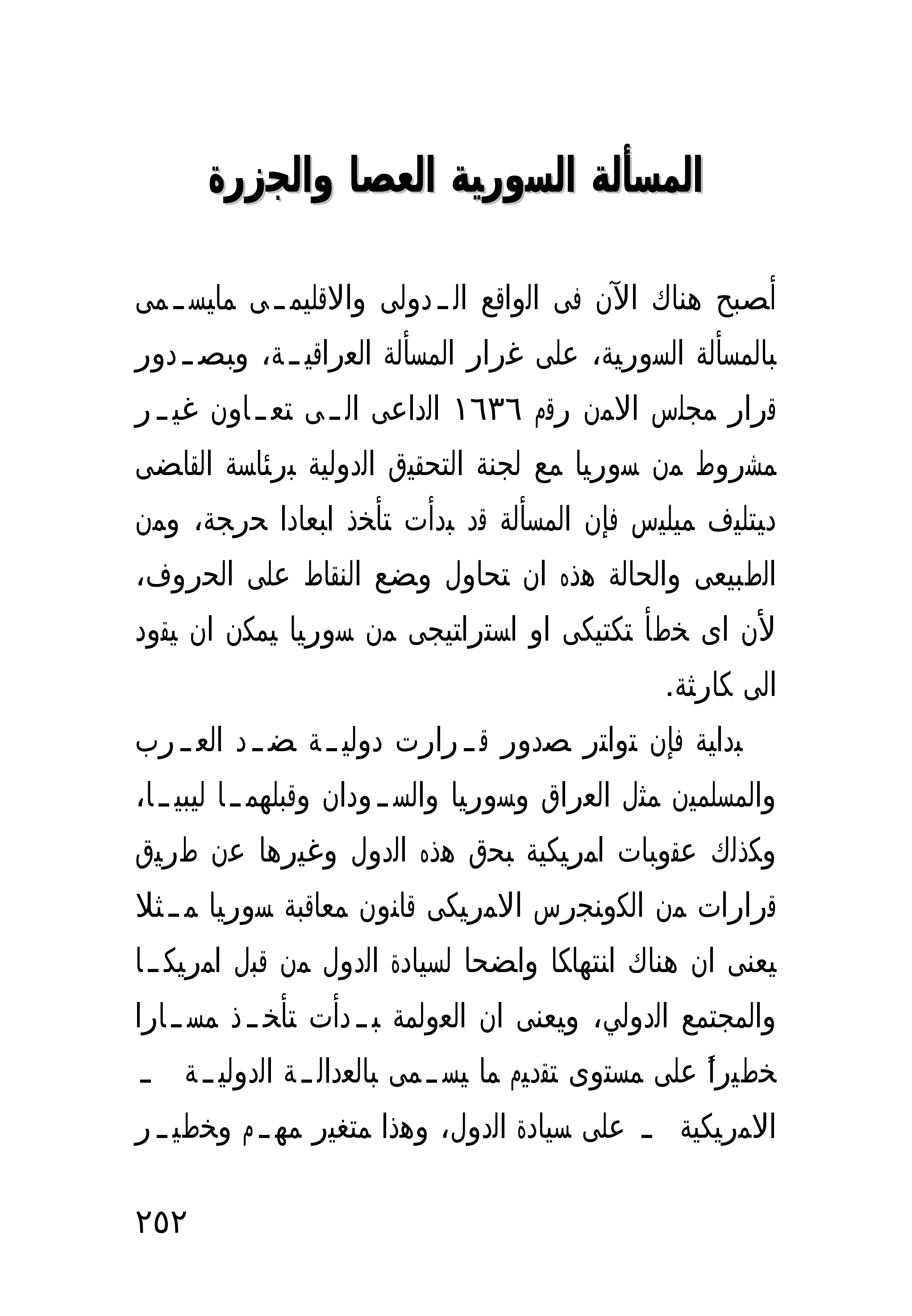
أياً كان الأمر فإن الأزمة السورية الأمريكية قفزت إلـى سطح الأحداث ، وكانت هناك تسريبات أمريكية وإسـرائيلية بإمكانية ضرب مواقع في دمشق بتهمة وجـود معسـكرات تدريب للمجاهدين العرب الراغبين في الذهاب إلى العـراق في تلك المعسكرات ، كما صدرت تسريبات عـن إمكانيـة وقوع عدوان أمريكي على سوريا المهم أن هنـاك ضـغط شديد على سوريا في الآونة الأخيرة ، وأعتقـد أن إمكانيـة عدوان أمريكي شامل على سوريا أمر مستبعد ، فالولايـات المتحدة الأمريكية لا تستطيع أن تفتح جبهة شـعبية جديـدة للمقاومة في حالة الإطاحة بالنظام السوري ، ولديها تجربـة تصاعد المقاومة في العراق تمنعها من ذلك ، فما بالـك إذا أصبحت هناك مقاومة شعبية في العراق وسوريا وأثر ذلـك

على تصاعد المد الشعبي والمقاومة على حدود إسـرائيل ، وهكذا فإن الولايات المتحدة الأمريكية ستفضل نوعـاً مـن سيناريو ترويض الأسد ، خلع أنياب الأسد ، تقلـيم أظـافر الأسد بدلاً من قتل الأسد وهو ما أعلنته كونداليزا رايس عدة مرات نفيها لإمكانية غزو سوريا ، مع التأكيد في كل مرة أن الولايات المتحدة غاضبة على سوريا بسـبب عـدم إغـلاق حدودها أمام تسلل المجاهدين العرب إلى العراق . وقد نفـى الرئيس الأمريكي جورج بوش أن إدارته تعمل على التخلص من النظام السوري وتؤكد تصعيد الضغوط لتغيير سلوكه في العراق ولبنان وصحيح أن الثقة في تصريحات بوش ليسـت كاملة خصوصاً مع ضغط اليمين الأمريكي المحـافظ لشـن حرب على سوريا ، ولكن أوضاع القوات الأميركيـة فـي العراق ، وكوارث الأعاصير داخل أمريكا تجعل من الصعب توفير جنود ونفقات إضافية للقيام بتلك المغامر فـي المـدى القريب ، وما دام الغزو مستبعداً في المدى القريب فإن خطة الإدارة الأمريكية تقوم على محاولة ترويض النظام السوري ودفعه باتجاه التعاون معها في حصار المجاهدين العرب في العراق ، وكذا التخلي عـن حمـاس والجهـاد الإسـلامي

الفلسطيني ، وتعتمد الإدارة الأمريكية في ذلك على خلق آلية ديناميكية مؤثرة من خلال لجنة التحقيق الدوليـة الخاصـة باغتيال الحريري من أجل الضغط علـى النظـام السـوري لتغيير سلوكه ، وأن هذه الآلية ستتصاعد مع نشر تقرير لجنة ميليس التي يرى الأمريكيون تسريب بعضاً من مضـامينها وتأخير نشرها رسمياً فترة معينة لتحقيق أكبر قدر مـن الابتزاز للنظام السوري . والتلويح بإمكانية القـبض علـى بعض المسئولين السوريين أو توجيه تهم لهم بالمشاركة فـي عملية الاغتيال " تكرار التجربة الليبرالية في حادثة لوكيربي " ومن ثم وضع النظام السوري تحت الضغط المستمر وفـي هذا الإطار ، إطار الضغط على سوريا ، ونزع أوراقهـا ، فإن الإدارة الأمريكية كانت قد قامت مؤخراً بتحريك رجالها في لبنان ضد الفلسطينيين ، وتحديداً حماس والجهاد والجبهة الشعبية بحجة جمع سلاح الفلسطينين ، والهدف منـه طبعـاً نزع سلاح حماس والجهـاد والجبهـة الشـعبية وتصـفية معسكراتهم في لبنان أي الضغط على سـوريا مـن خـلال إضعاف تلك المنظمات الداعمة لسوريا عادة . عملية الكـر والفر بين الولايات المتحدة وإسرائيل وفرنسا إلى حد مـا ،



من ناحية والحكومة السورية من ناحيـة أخـرى ستسـتمر وتتصاعد في الفترة القادمة ، ويجب على الحكومة السـورية وحلفائها أن يدركوا أن تقديم التنازلات لن تجعل أمريكا تكف عن الضغط ، بل إن هذه التنازلات سوف تزيد الذئب جوعاً ، ومن ثم طلب المزيد بلا نهاية والأفضـل وقفـة رفـض وصمود واضحة وليكن ما يكون وأعتقد أن ورقة المقاومة ، وورقة المقاومة الشعبية ستجعل أمريكا تفكر ألف مرة قبـل الإقدام على حماقة الغزو ومن ثم فإن مسلسل التنازلات غير أخلاقي أولاً ، وغير عقلاني ثانياً .

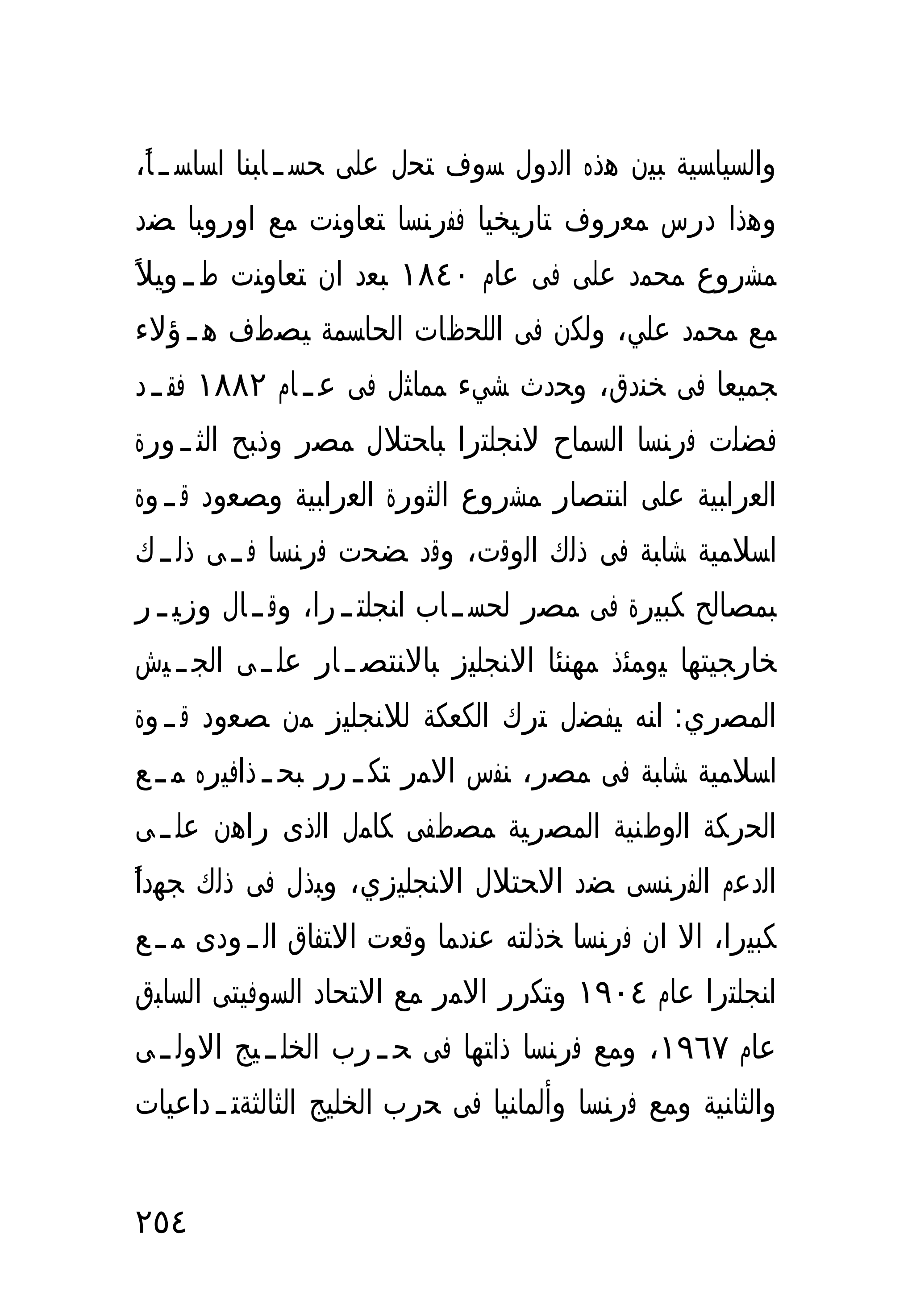


المسألة السورية العصا والجزرة

أصبح هناك الآن فى الواقع الـدولى والاقليمـى مايسـمى بالمسألة السورية، على غرار المسألة العراقيـة، وبصـدور قرار مجلس الامن رقم ١٦٣٦ الداعى الـى تعـاون غيـر مشروط من سوريا مع لجنة التحقيق الدولية برئاسة القاضى ديتليف ميليس فإن المسألة قد بدأت تأخذ ابعادا حرجة، ومن الطبيعى والحالة هذه ان تحاول وضع النقاط على الحروف، لأن اى خطأ تكتيكى او استراتيجى من سوريا يمكن ان يقود الى كارثة.

بداية فإن تواتر صدور قـرارت دوليـة ضـد العـرب والمسلمين مثل العراق وسوريا والسـودان وقبلهمـا ليبيـا، وكذلك عقوبات امريكية بحق هذه الدول وغيرها عن طريق قرارات من الكونجرس الامريكى قانون معاقبة سوريا مـثلا يعنى ان هناك انتهاكا واضحا لسيادة الدول من قبل امريكـا والمجتمع الدولي، ويعنى ان العولمة بـدأت تأخـذ مسـارا خطيراً على مستوى تقديم ما يسـمى بالعدالـة الدوليـة ـ الامريكية ـ على سيادة الدول، وهذا متغير مهـم وخطيـر

ينبغى ان نأخذه فى الاعتبار، ولايعنى هـذا القبـول بـه او الانصياع له، بل العكس هو الصحيح علـى طـول الخـط، ويعنى ايضا ان الامم المتحدة اصبحت مجرد آلية وأداة فـى تنفيذ مشروع الهيمنة الغربى الامريكى الصهيوني، بل وصل الامر الى حد ان تصوت دولة عربية الجزائـر مـع قـرار ١٦٣٦ المتصل بدولة عربية اخرى هى سوريا والامر يصلنا الى حد الملهاة والمأساة معاً، والافضل من كل النواحى للدول العربية والاسلامية الانسحاب من الامـم المتحـدة، لوضـع انفسنا امام الحقيقة ومن ثم تحمل المسـئولية فـى الاتجـاه الصحيح بدلا من ان نشهد على انفسنا شهادة زور، وتحمـل عبء دبلوماسى لا قيمة له، بل هو ضار بنـا وبمسـتقبلنا، ووضع العالم امام حقيقة ازدواج المعايير، فإما ان تعرف انه لا قيمة له امام امريكا او تنهار تلك الامم المتحدة المزعومة. ويتصل بالمسألة فى هذا السياق ان دولاً مثل الصين وروسيا تصوت على قرارات ضدنا، فهما لم يستخدما حـق الفيتـو المتاح لهما لاسقاط تلك القـرارات، وعلينـا ان نـدرك ان التناقضات بين هذه الدول وبعضها هى تناقضـات ثانويـة، وبما اننا لانملك قوة ضغط معتبرة، فان المصالح الاقتصادية



والسياسية بين هذه الدول سوف تحل على حسـابنا اساسـاً،
وهذا درس معروف تاريخيا ففرنسا تعاونت مع اوروبا ضد
مشروع محمد على فى عام ١٨٤٠ بعد ان تعاونت طـويلاً
مع محمد علي، ولكن فى اللحظات الحاسمة يصطف هـؤلاء
جميعا فى خندق، وحدث شيء مماثل فى عـام ١٨٨٢ فقـد
فضلت فرنسا السماح لانجلترا باحتلال مصر وذبح الثـورة
العرابية على انتصار مشروع الثورة العرابية وصعود قـوة
اسلامية شابة فى ذلك الوقت، وقد ضحت فرنسا فـى ذلـك
بمصالح كبيرة فى مصر لحسـاب انجلتـرا، وقـال وزيـر
خارجيتها يومئذ مهنئا الانجليز بالانتصـار علـى الجـيش
المصري: انه يفضل ترك الكعكة للانجليز من صعود قـوة
اسلامية شابة فى مصر، نفس الامر تكـرر بحـذافيره مـع
الحركة الوطنية المصرية مصطفى كامل الذى راهن علـى
الدعم الفرنسى ضد الاحتلال الانجليزي، وبذل فى ذلك جهداً
كبيرا، الا ان فرنسا خذلته عندما وقعت الاتفاق الـودى مـع
انجلترا عام ١٩٠٤ وتكرر الامر مع الاتحاد السوفيتى السابق
عام ١٩٦٧، ومع فرنسا ذاتها فى حـرب الخلـيج الاولـى
والثانية ومع فرنسا وألمانيا فى حرب الخليج الثالثةتـداعيات

الضغط الامريكى الفرنسى الدولى على سـوريا اثبتـت ان الحكومات العربية، وجامعة الدول العربية، التى ذهب امينها العام الى العراق لانقاذ المشروع الامريكي، عاجزة تماما او بالاحرى ماتت، فحتى ورقة التوت نزعها الحكام العرب، فقد رفضوا عمل مؤتمر قمة عربى دعت اليه سـوريا وكانـت الحجة المعلنة احيانا والمبطنة احيانا اخـرى هـى وجـود علاقات مع امريكا وفرنسا وبريطانيا سوف تتضرر من عقد مثل هذا المؤتمر!! وهكذا فان الحقائق الموضـوعية علـى الارض، تقول: ان هناك تحركا دوليا ضد سـوريا، تقـوده امريكا، ومعها فرنسا وانجلترا وان دولاً مثل الصين وروسيا لن تفعل شيئا، وان الحكومات العربية، وجامعة الدول العربية فى حالة غيبوبة او موت، وان تقرير ميليس، والقرار الدولى الداعى الى التعاون مع ميليس، وتسليم كل من يطلب للتحقيق وان يكون هذا التحقيق خارج سوريا، وان الاسماء المطلوبة للتحقيق هى من العيار الثقيل، وهذه القائمة تضم ٤١ مسئولا سوريا كبيرا مثل صهر الرئيس السورى ورئيس المخابرات العسكرية آصف شوكت ورؤساء استخبارات سوريين عملوا فى لبنان.. الخ.. وبكلمة واحدة فان النظام بكامله مطلـوب.

وهكذا فان المسألة شديدة الصعوبة على النظام السورى ولأن المسألة صعبة، فان النصائح المسمومة والمريبة بدأت تظهر، فهناك من يدعو النظام السورى الى التسليم بكـل الطلبـات الامريكية، طرد المقاومة الفلسطينية من سوريا، التخلى عن الجولان، التطبيع مع اسرائيل، التعاون مـع امريكـا ضـد المقاومة العراقية، وهناك من يدعو فقط الى التعـاون مـع التحقيقات لتجنب مصير بغداد، والحقيقة ان هـذه النصـائح مسمومة ومريبة، فالتعاون والخضـوع لـن يجنبـا النظـام السورى مصير بغداد، بل العكس هو الصحيح فالرفض منـذ البداية افضل من تسليم الاوراق ورقة بعد الاخري، ومن ثم تصبح سوريا بلا اوراق فيتم الاطاحة بالنظام بالغزو او بغير الغزو، والحقيقى والصحيح ان المواجهة افضل، لأن سـوريا تملك اوراقا بالفعل فهناك الخوف الامريكى من تكرار اندلاع المقاومة فى سوريا على غرار العراق مع العلـم ان ٩٠% من سكان سوريا هم من السنة!! ولو اندلعت المقاومـة فـى سوريا فأن المنطقة كلها سوف تشتعل تحت اقدام الامريكيين وهناك حركتا حماس والجهاد الفلسـطينيتان وهنـاك ايضـا حزب ا حليف سوريا التقليدي، وهناك الجماهير العربيـة

والاسلامية التى رغم صمت الحكومات، فان تلك الجمـاهير خرجت من القمقم، وهناك المقاومة العراقية الباسـلة التـى ستكون الحاضن والعمق الاستراتيجى للمقاومة السورية وهذه حقائق يعرفها الامريكان جيدا، ولعل كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الامريكية قد عبرت عن ذلك بقولها ان الولايـات المتحدة لا تسعى الى تغيير النظام السوري، ولكنهـا تسـعى الى تعديل سلوكه .

وهكذا فان المواجهة تعنى الكرامة بالتأكيد، وتعنى امكانية هزيمة المشروع الامريكى بالكامل، وحتى لو كانت نتيجتهـا الخسارة فإن الخسائر فى تلك الحالة اقل بكثير من الخسـائر فى حالة الانبطاح.

بقى ان على الحكومة السورية ان تتصالح مع شعبها، وان تفرج عن كل المعتقلين والمسجونين السياسيين بـلا قيـد او شرط او توزع السلاح على جماهير الشعب السوري، وهـذا كله يجعل امريكا تفكر ألف مرة قبل الاقـدام علـى حماقـة الغزو.



لماذا فقد اليسار المصري الجزء الباقي من أرضيته في الشارع المصري

كان ولا يزال اليسار في مصر محدود الشعبية ، محدود التواجد ويرجع ذلك إلى أسباب بنيوية في الواقع المصري وأخرى تاريخية متصلة بسلوك وممارسات اليسار المصري منذ نشأته .

فمن الناحية البنيوية فإن الوجدان الإسلامي للشعب المصري مرتفع جداً ، وبالحق أو بالباطل فإن سمعة اليسار المصري فيما يخص احترام الدين سيئة إلى حد كبير .

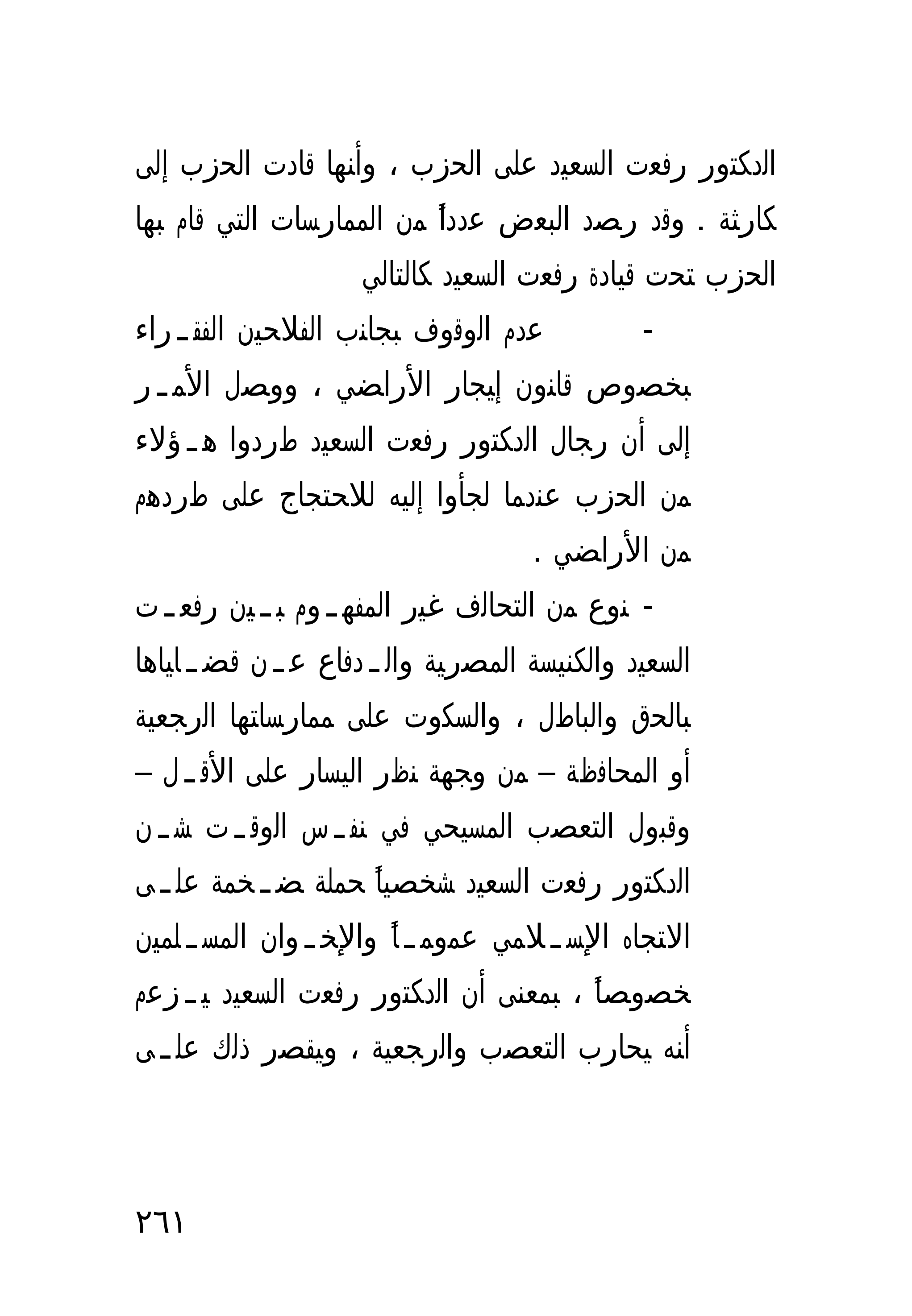
ومن الناحية التاريخية شارك عدد هام من اليهود في مصر في نشأة الحركة الشيوعية " جوزيف روزنتال – هليل شوارتز – هنري كوربيل " ، والأخير ورط الحركة الشيوعية في مصر وتحديداً حركة " حدتو " "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني " في نوع من القبول بظهور دولة إسرائيلية في نهاية الأربعينيات وقد ثبت فيما بعد علاقة هنري كوربيل بالصهيونية وهذا الأمر أحدث نوع من العازل والرفض الشعبي المصري للحركة الشيوعية عموماً . ولكن مع ذلك هناك بالطبع يسار وطني ، وأحزاب يسارية وطنية

وشيوعيون رفضوا هذا المنحنى الذي أتبعه هنري كورييـل ورفاقه . حزب التجمع الوطني التقـدمي الوحـدوي – هـو الحزب العلني لليسار المصري نشأ في نهايـة السـبعينيات بموافقة من الرئيس المصري أنور السادات عندما تم تحويل المنابر داخل الاتحاد الاشتراكي إلى أحزاب وتمت الموافقـة على ثلاثة أحزاب إحداها يمثل اليمين " حـزب الأحـرار " والثاني يمثل الوسط " حزب مصر " وقد تحول ههذا الحزب إلى الحزب الوطني الديمقراطي فيما بعـد – والثالـث هـو حزب اليسار " حزب التجمع الوطني التعددي الوحـدوي " ، ومن المفروض أنه ضم كل فصائل اليسار أو معظمها اليسار الماركسي واليسار القومي ، بل وما يسمى باليسـار الـديني المستنير " وهو اسم علـى غيـر مسـمى بـالطبع " إلا أن التطورات التي لحقت ببنية الحزب الداخلية أدت عملياً إلـى سيطرة مجموعة واحدة على الحزب هي مجموعة الـدكور رفعت السعيد ، الذي أصبح الآن رئيساً للحزب بعـد تخلـي خالد محيي الدين عن تلك الرئاسة . ووفقاً للتحليل الاجتماعي واليساري ، فإن واقع الفساد والفقر في مصر من المفروض أن يزيد رقعة اليسار ، ولكن الملاحظ أن تلك الرقعة تضيق

مع الوقت ، وهذا بدوره يرجع إلى عوامل عامة ، وعوامـل خاصة بحزب التجمع ذاته .

العوامل العامة البنيوية والتاريخية سبق أن رصـدناها ، يضاف إليها ظاهرة المد الإسلامي في مصر والعـالم منـذ السبعينات ، وهي ولا شك تؤثر في نمو اليسار عموماً .

العوامل الخاصة تتصل بسياسات الحزب ، وقد لاحظنـا في الانتخابات البرلمانية الأخيرة تقلص نواب الحـزب مـن ١٠ إلى ٣ فقط ، بل إن رموزاً كبيرة مثل خالد محيي الدين ، وهو أحد قيادات مجلس قيادة الثورة ، والزعيم التـاريخي لحزب التجمع واليساري المخضرم قد فقد مقعده الانتخـابي أمام شخصية إخوانية غير معروفة بالمرة مـن قبـل ، ولا تملك الرصيد الثقافي والسياسي والتاريخي لخالد محيي الدين ، الأمر الذي يعني أن الشعب المصري يرسل رسالة احتجاج على سلوك حزب التجمع ، وكذا فقد أمثال أبو العز الحريري والبدري فرغلي وغيرهما مقاعدهم ليس لأنهـم شخصـيات مرفوضة ، بل العكـس هـم شخصـيات شـديدة الكفـاءة والإخلاص ، ولكن الرفض جاء لسياسـات الحـزب الـذي يمثلونه . ويرى البعض أن ذلك يرجع إلى سيطرة مجموعة



الدكتور رفعت السعيد على الحزب ، وأنها قادت الحزب إلى كارثة . وقد رصد البعض عدداً من الممارسات التي قام بها الحزب تحت قيادة رفعت السعيد كالتالي

- عدم الوقوف بجانب الفلاحين الفقـراء بخصوص قانون إيجار الأراضي ، ووصل الأمـر إلى أن رجال الدكتور رفعت السعيد طردوا هـؤلاء من الحزب عندما لجأوا إليه للاحتجاج على طردهم من الأراضي .

- نوع من التحالف غير المفهـوم بـين رفعـت السعيد والكنيسة المصرية والـدفاع عـن قضـاياها بالحق والباطل ، والسكوت على ممارساتها الرجعية أو المحافظة – من وجهة نظر اليسار على الأقـل – وقبول التعصب المسيحي في نفـس الوقـت شـن الدكتور رفعت السعيد شخصياً حملة ضـخمة علـى الاتجاه الإسـلامي عمومـاً والإخـوان المسـلمين خصوصاً ، بمعنى أن الدكتور رفعت السعيد يـزعم أنه يحارب التعصب والرجعية ، ويقصر ذلك علـى

التعصب الإسلامي والرجعية الإسلامية ويدافع عـن نظيرتها المسيحية ! ! .

- نوع من التحالف بين الحزب والنظام المصري ، مما جعل الحزب بمثابة ملحق للحـزب الـوطني والحكومة ، واعتبار الحزب أن الحرب علـى مـا يسمى التأسلم السياسي مقدم للدفاع عـن الحريـات وعن الفقراء وغيرها من المبادئ اليسارية المزعومة ، مما أفقده مصداقيته ومصداقية الحزب عموماً بـل وأثر على كل فصائل اليسار ، وفي الحقيقة فإن عدد كبير من اليساريين والشيوعيين تحولوا إلـى دعـاة لأمريكا ، أو من كبار قيادات التطبيع مـع الكيـان الصهيوني ، وكانوا الأكفأ والأبرز في هذا الصدد بما يمتلكون من رصيد نضالي ومكانة فكريـة وثقافيـة معروفة ، ولكن هذا لا يمنع من وجود مـن وجـود عدد من الشرفاء الذين تمسكوا بمبـادئهم ورفضـوا العمل مع الحملة الأمريكية على الاتجاه الإسلامي بل وتحالفوا أحياناً مع الإسـلاميين فـي الـدفاع عـن المقاومة العراقية والفلسطينية وغيرها .

- الحديث عن وجود مصـالح اقتصـادية بـين الحكومة والدكتور رفعت السعيد شخصـياً ، ويـتم الحديث عن إسناد طباعة مطبوعات حكومية لمطبعة الأمل المملوكة للدكتور رفعت السعيد .

* * *

أياً كان الأمر فقد حزب اليسار قدراً كبيراً من أرضيته ، وخسرت قيادات يسارية مقاعدها في الانتخابات ليس بسبب شخصياتهم كما قلنا ، بل بسبب سياسـات الحـزب ، وهـذا الأمر بالضرورة سيكون مثار نقاش داخل الحـزب ، ومـن الضروري بالطبع تغيير السياسات وتغيير الخطاب السياسي للحزب ، وإلا فإن الموت السريري هو مصـير الحـزب ، ولكن هل يمكن فعلاً الإطاحة بالدكتور رفعت السعيد ، أم أنه مازال يملك أوراق النفوذ داخل اللجنـة المركزيـة لحـزب التجمع ، وأنه يفضل العناد والاستمرار في نفـس المسـار الفكري والسياسي للحزب حتى ولو كان فـي ذلـك نهايـة للحزب ! ! .

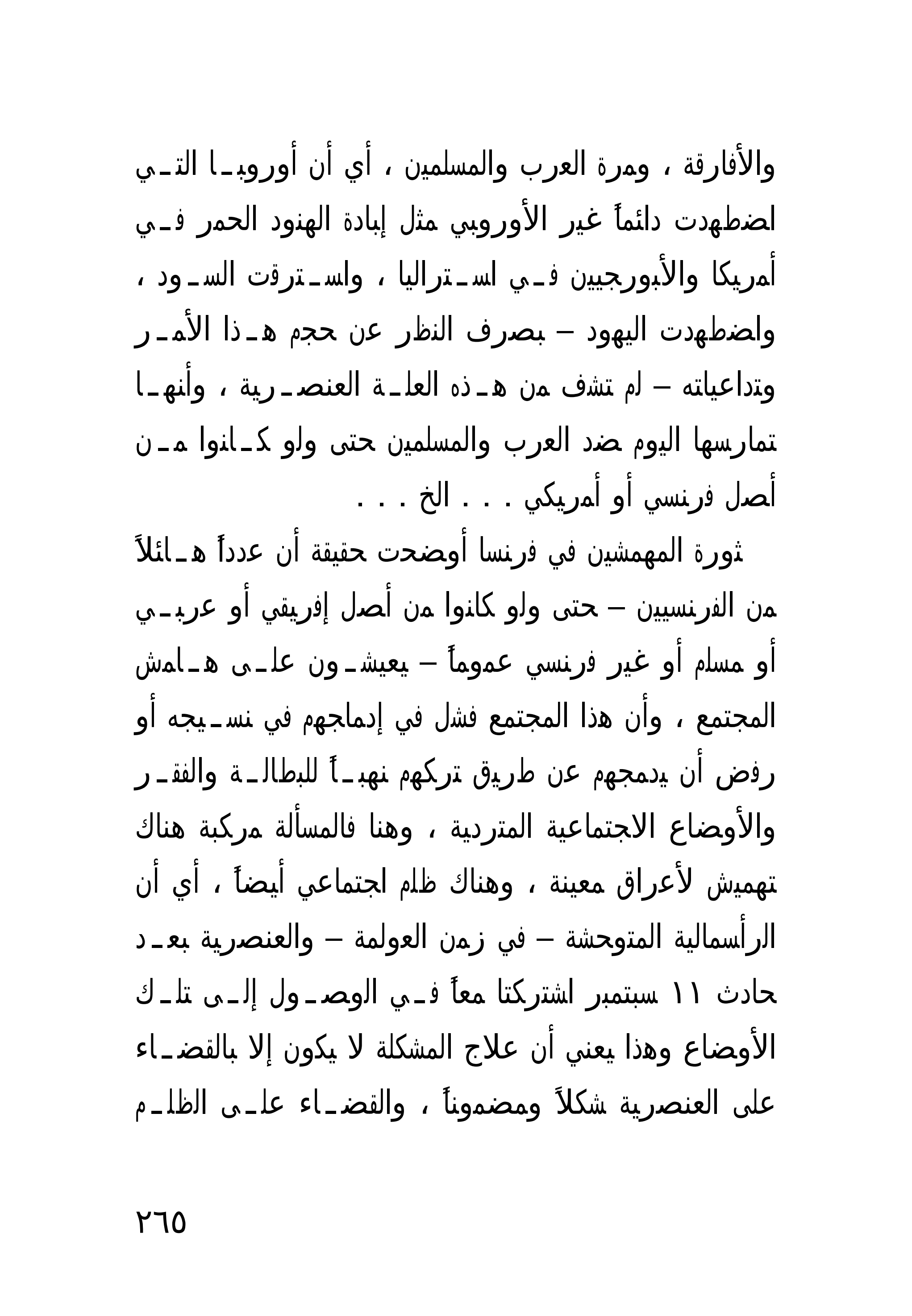


تقرير

العنصرية والظلم الاجتماعي في الحضارة الأوروبية بمناسبة انتفاضة المهمشين في فرنسا

جاءت الانتفاضة في العاصمة الفرنسية وعدد كبير مـن المدن بها والتي قام بها في الأغلب الأعم جماهير تنتمي إلى الجيل الثاني والثالث من فرنسيين من أصول عربية وإسلامية " حوالي ٦ مليون يحملون الجنسية الفرنسية " الذين يسكنون الضواحي الفقيرة والذين يعانون من الفقر والبطالة والتهميش ، بالإضافة إلى حوالي مليون من أصل إفريقي شاركوا معهم في الانتفاضة جاءت هذه الانتفاضة لتعيد من جديد عدداً من القضايا وتلفت النظر أيضاً إلى العديد من المتغيرات .

من حيث القضايا التقليدية ، فإن ثورة هؤلاء المهمشـين كشفت عن استمرار العنصرية داخل البيت الأوروبـي وأن كل المكتسبات القانونية في هذا الصدد ، ومحاولات الإدماج المزعومة لم تكن إلا قشرة خارجية تخفـي فكـراً وسـلوكاً عنصرياً فجاً ، يجد في كل مـرة ضحاياه ، مـرة السـود



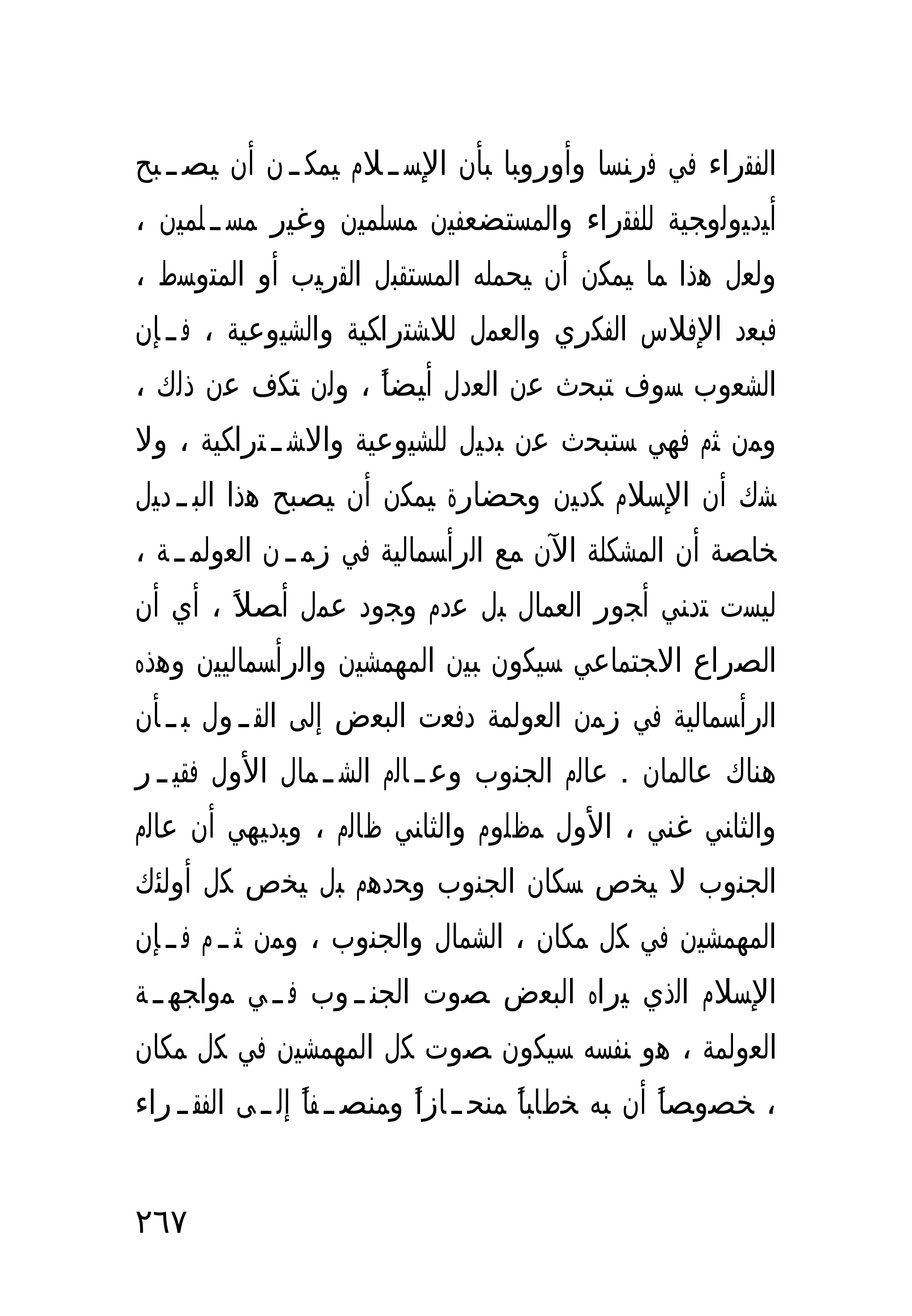
والأفارقة ، ومرة العرب والمسلمين ، أي أن أوروبا التي اضطهدت دائماً غير الأوروبي مثل إبادة الهنود الحمر في أمريكا والأبورجيين في استراليا ، واسترقت السود ، واضطهدت اليهود - بصرف النظر عن حجم هذا الأمر وتداعياته - لم تشف من هذه العلة العنصرية ، وأنها تمارسها اليوم ضد العرب والمسلمين حتى ولو كانوا من أصل فرنسي أو أمريكي . . . الخ . . .

ثورة المهمشين في فرنسا أوضحت حقيقة أن عدداً هائلاً من الفرنسيين - حتى ولو كانوا من أصل إفريقي أو عربي أو مسلم أو غير فرنسي عموماً - يعيشون على هامش المجتمع ، وأن هذا المجتمع فشل في إدماجهم في نسيجه أو رفض أن يدمجهم عن طريق تركهم نهباً للبطالة والفقر والأوضاع الاجتماعية المتردية ، وهنا فالمسألة مركبة هناك تهميش لأعراق معينة ، وهناك ظلم اجتماعي أيضاً ، أي أن الرأسمالية المتوحشة - في زمن العولمة - والعنصرية بعد حادث ١١ سبتمبر اشتركتا معاً في الوصول إلى تلك الأوضاع وهذا يعني أن علاج المشكلة لا يكون إلا بالقضاء على العنصرية شكلاً ومضموناً ، والقضاء على الظلم

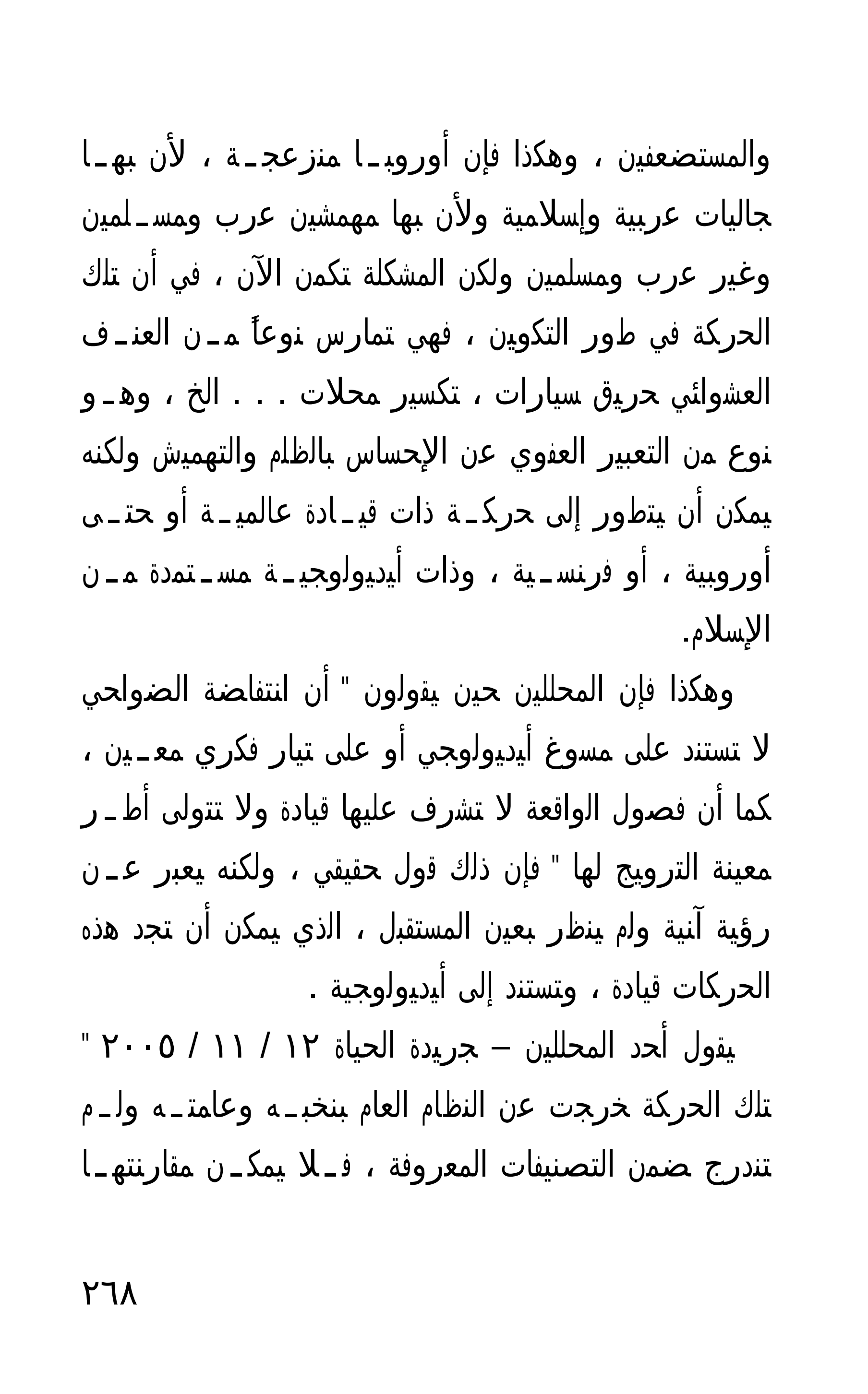
الاجتماعي ، وليس عن طريق الإجراءات البوليسية ، أو عن طريق وصف ساقط ومخادع هو وصـف وزيـر الداخليـة الفرنسي " ساركوزي " بـأنهم حثالـة ، وحتـى لـو كـان ساركوزي يريد إرضاء اليمين الفرنسي لأسباب انتخابية فإن المصطلح يعبر عن وجود عنصرية متغلغلة في تلافيف العقل الفرنسي ، ومن ثم فإذا كانت فرنسا هي بعد النور والحريـة والثورة الفرنسية صاحبة شعار " حرية – إخاء – مسـاواة " فإن الأمر سيكون أسوأ في غير فرنسـا ، وهـذا يعنـي أن العنصرية جزء لا يتجزأ من القـيم الحضـارية الغربيـة . خاصة وأن استخدام مصطلح " حثالة " لم يؤد إلـى اسـتقالة الوزير " نيكولا ساركوزي " ولا إلى قيام رئيس الجمهوريـة الفرنسية جاك شيراك بطلب الاستقالة منه ، بـل إن وزيـر الداخلية نفسه عاد وتمسك بالمصطلح ولكنه حاول التخفيـف من معناه .

***

انتفاضة الضواحي تعني أيضاً أن من الممكـن انضـمام قطاعات من المهمشين من غير العرب والمسلمين والأفارقة إلى هؤلاء بل ويمكن في هذا الصدد أن يشـعر المهمشـين



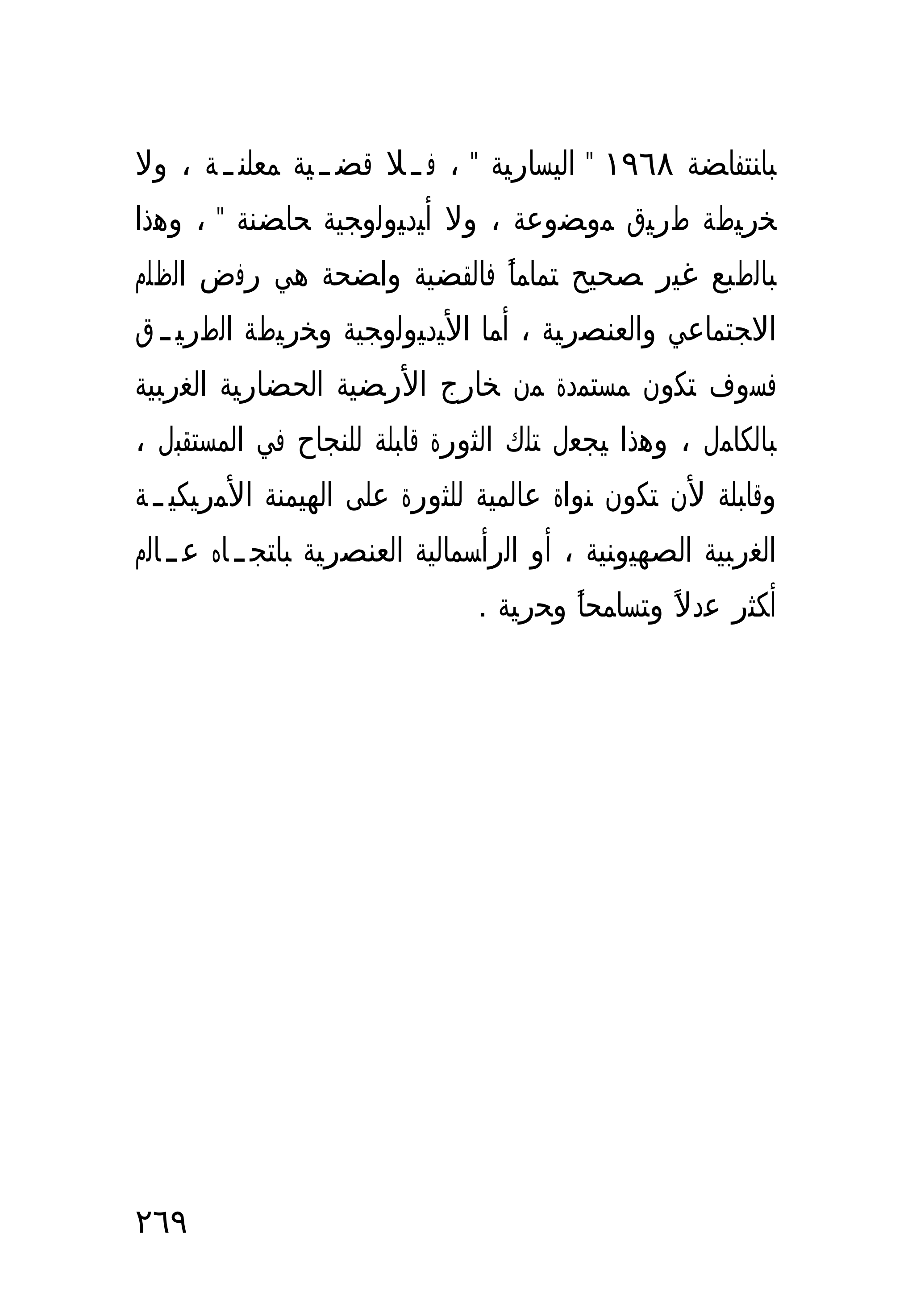
الفقراء في فرنسا وأوروبا بأن الإسـلام يمكـن أن يصـبح أيديولوجية للفقراء والمستضعفين مسلمين وغير مسـلمين ، ولعل هذا ما يمكن أن يحمله المستقبل القريب أو المتوسط ، فبعد الإفلاس الفكري والعمل للاشتراكية والشيوعية ، فـإن الشعوب سوف تبحث عن العدل أيضاً ، ولن تكف عن ذلك ، ومن ثم فهي ستبحث عن بديل للشيوعية والاشـتراكية ، ولا شك أن الإسلام كدين وحضارة يمكن أن يصبح هذا البـديل خاصة أن المشكلة الآن مع الرأسمالية في زمـن العولمـة ، ليست تدني أجور العمال بل عدم وجود عمل أصلاً ، أي أن الصراع الاجتماعي سيكون بين المهمشين والرأسماليين وهذه الرأسمالية في زمن العولمة دفعت البعض إلى القـول بـأن هناك عالمان . عالم الجنوب وعـالم الشـمال الأول فقيـر والثاني غني ، الأول مظلوم والثاني ظالم ، وبديهي أن عالم الجنوب لا يخص سكان الجنوب وحدهم بل يخص كل أولئك المهمشين في كل مكان ، الشمال والجنوب ، ومن ثـم فـإن الإسلام الذي يراه البعض صوت الجنـوب فـي مواجهـة العولمة ، هو نفسه سيكون صوت كل المهمشين في كل مكان ، خصوصاً أن به خطاباً منحـازاً ومنصـفاً إلـى الفقـراء



والمستضعفين ، وهكذا فإن أوروبـا منزعجـة ، لأن بهـا جاليات عربية وإسلامية ولأن بها مهمشين عرب ومسـلمين وغير عرب ومسلمين ولكن المشكلة تكمن الآن ، في أن تلك الحركة في طور التكوين ، فهي تمارس نوعاً مـن العنـف العشوائي حريق سيارات ، تكسير محلات . . . الخ ، وهـو نوع من التعبير العفوي عن الإحساس بالظلم والتهميش ولكنه يمكن أن يتطور إلى حركـة ذات قيـادة عالميـة أو حتـى أوروبية ، أو فرنسـية ، وذات أيديولوجيـة مسـتمدة مـن الإسلام.

وهكذا فإن المحللين حين يقولون " أن انتفاضة الضواحي لا تستند على مسوغ أيديولوجي أو على تيار فكري معـين ، كما أن فصول الواقعة لا تشرف عليها قيادة ولا تتولى أطـر معينة الترويج لها " فإن ذلك قول حقيقي ، ولكنه يعبر عـن رؤية آنية ولم ينظر بعين المستقبل ، الذي يمكن أن تجد هذه الحركات قيادة ، وتستند إلى أيديولوجية .

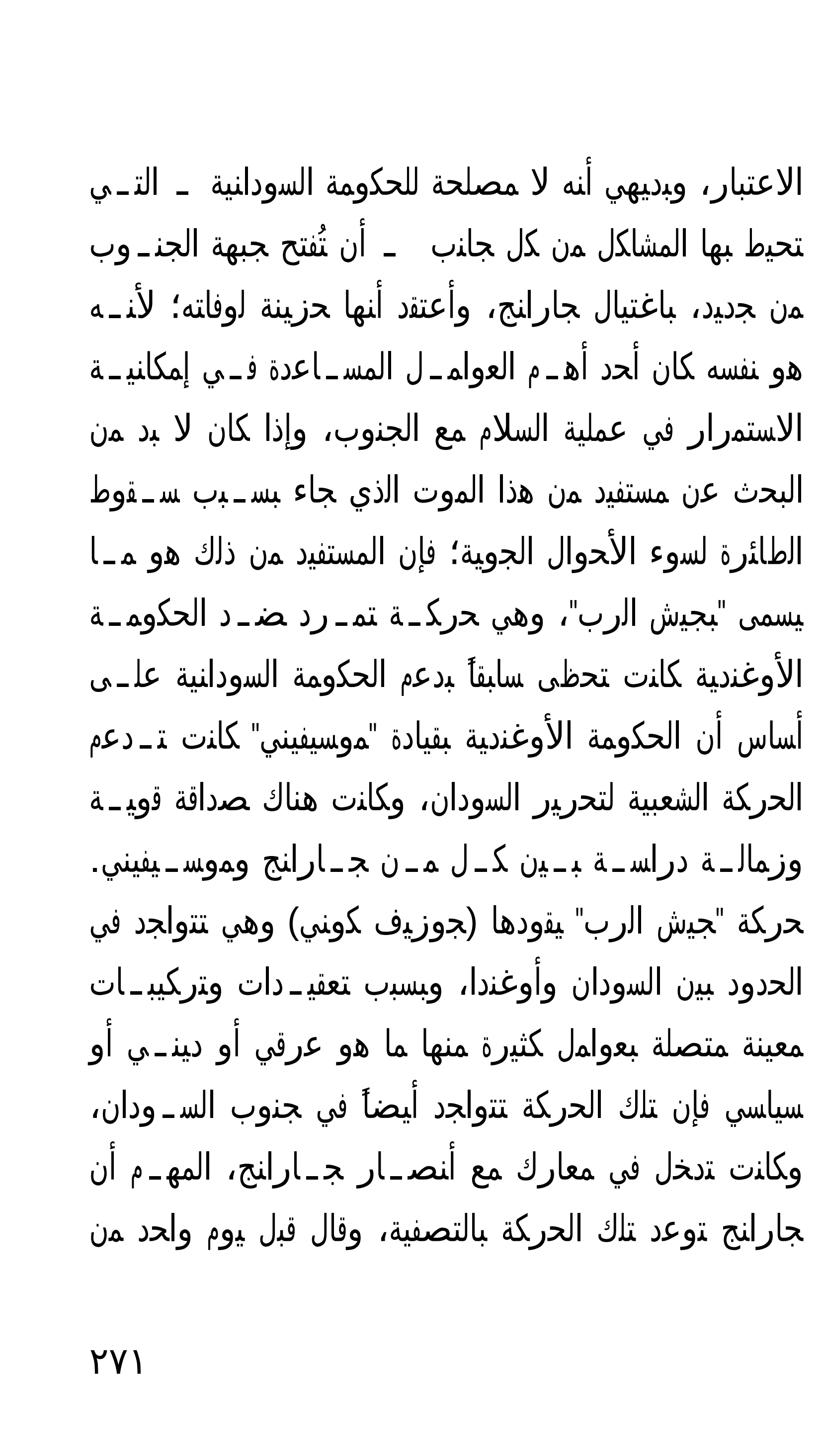
يقول أحد المحللين – جريدة الحياة ١٢ / ١١ / ٢٠٠٥ " تلك الحركة خرجت عن النظام العام بنخبـه وعامتـه ولـم تندرج ضمن التصنيفات المعروفة ، فـلا يمكـن مقارنتهـا



بانتفاضة ١٩٦٨ " اليسارية " ، فـلا قضـية معلنـة ، ولا خريطة طريق موضوعة ، ولا أيديولوجية حاضنة " ، وهذا بالطبع غير صحيح تماماً فالقضية واضحة هي رفض الظلم الاجتماعي والعنصرية ، أما الأيديولوجية وخريطة الطريـق فسوف تكون مستمدة من خارج الأرضية الحضارية الغربية بالكامل ، وهذا يجعل تلك الثورة قابلة للنجاح في المستقبل ، وقابلة لأن تكون نواة عالمية للثورة على الهيمنة الأمريكيـة الغربية الصهيونية ، أو الرأسمالية العنصرية باتجـاه عـالم أكثر عدلاً وتسامحاً وحرية .

مستقبل السودان بعد موت جارانج

مساء السبت ٣٠ يوليو ٢٠٠٥ اختفت الطائرة الأوغندية الرئاسية التي تقل جون جارنج - قائد الحركة الشعبية لتحرير السودان، والنائب الأول للرئيس السوداني- من على شاشات الرادار، وتأكّد في وقت لاحق سقوط الطائرة بالقرب من الحدود السودانية الأوغندية بجبال الأماتونج، وأن جارانج قد لقي مصرعه، وعقب الإعلان عن الحادث اندلعت أعمال شغب واسعة النطاق في أكثر من مكان في السودان وخاصة في العاصمة الخرطوم على يد الجنوبيين من أتباع جارانج، وقُتل العشرات، وجرح المئات وتضررت الكثير من السيارات والمحال التجارية، وهذا يعني مباشرة أن الثقة بين الجنوبيين والحكومة السودانية ليست قوية بما يكفي على الرغم من توقيع اتفاقيات، ووصول هذه الاتفاقيات إلى حيز التنفيذ؛ بل وتعيين جارانج نفسه نائباً للرئيس السوداني، وهذا يعني أن كثيراً من الغيوم تحيط بالعلاقة بين الحكومة السودانية والحركة الشعبية لتحرير السودان، أو على الأقل أنصارها في السودان، الأمر الذي يستدعي أخذ ذلك في



الاعتبار، وبديهي أنه لا مصلحة للحكومة السودانية - التي تحيط بها المشاكل من كل جانب - أن تُفتح جبهة الجنوب من جديد، باغتيال جارانج، وأعتقد أنها حزينة لوفاته؛ لأنه هو نفسه كان أحد أهم العوامل المساعدة في إمكانية الاستمرار في عملية السلام مع الجنوب، وإذا كان لا بد من البحث عن مستفيد من هذا الموت الذي جاء بسبب سقوط الطائرة لسوء الأحوال الجوية؛ فإن المستفيد من ذلك هو ما يسمى "بجيش الرب"، وهي حركة تمرد ضد الحكومة الأوغندية كانت تحظى سابقاً بدعم الحكومة السودانية على أساس أن الحكومة الأوغندية بقيادة "موسيفيني" كانت تدعم الحركة الشعبية لتحرير السودان، وكانت هناك صداقة قوية وزمالة دراسة بين كل من جارانج وموسيفيني. حركة "جيش الرب" يقودها (جوزيف كوني) وهي تتواجد في الحدود بين السودان وأوغندا، وبسبب تعقيدات وتركيبات معينة متصلة بعوامل كثيرة منها ما هو عرقي أو ديني أو سياسي فإن تلك الحركة تتواجد أيضاً في جنوب السودان، وكانت تدخل في معارك مع أنصار جارانج، المهم أن جارانج توعد تلك الحركة بالتصفية، وقال قبل يوم واحد من

موته: "إنه سوف يقضي على جيش الرب" ، وقـام بزيـارة الرئيس الأوغندي موسيفيني للاتفـاق علـى هـذا الأمـر، والتنسيق معه بهذا الصدد.

وأياً كان الأمر فإن جارانج مـات علـى مـتن طـائرة أوغندية، وهو الذي نجا من عشرات المحاولات لقتله إبـان الحرب التي شنها على الحكومة السودانية لمدة (٢٢) عامـاً متصلة.

بين جارنج وسيلفا كير

موت جارانج يفتح الباب على مصـراعيه لكثيـر مـن الاحتمالات؛ فلا شك أن جارانج كـان شخصـية تاريخيـة، تمتلك خبرات وعلاقات متراكمة، ولا شك أن ثقله التاريخي والسياسي كان في حد ذاته ضمانة لتنفيذ الاتفاق الذي أُبـرم بين الحكومة والحركة، فهل ينجح خليفته (سيلفا كير) الـذي اختارته الحركة ليقودها بعد جارانج في أن يمـلأ الفـراغ ؟ وهل يكون (سيلفا كير) قادراً على ضـبط التفـاعلات فـي

الجنوب، أم أنه هو نفسه ليس متحمساً بما يكفي لاستمرار الوحدة بين الشمال والجنوب.

وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي في البدء معرفة جزء من تركيبة جارانج نفسه، ومن ثم معرفة أثر غيابه على المسألة. ومن المعروف أن جارانج بعد إنشائه الجيش الشعبي لتحرير السودان، استطاع أن يقيم علاقات قوية مع الكنائس الغربية، والولايات المتحدة، وإسرائيل، وتقلّب في تحالفاته بين الشيوعيين والأحزاب السودانية مثل الأمة والاتحادي وحتى الترابي، وهو معروف بالقدرة على المناورة السياسية، وفي السنوات الأخيرة دخل في مفاوضات - تحت ضغط غربي وأمريكي - مع الحكومة السودانية انتهت بتوقيع اتفاق ٩ يناير ٢٠٠٥، وقد بدأ هذا الاتفاق حيز التنفيذ في ٩ يوليو حيث تم تعيين جارانج نائباً للرئيس السوداني، أما خليفته (سيلفا كير)، فهو أيضاً من قبائل الدنكا، ولكنه يميل إلى تفعيل خيار الانفصال - وكان يختلف مع جارانج حول قضايا الاهتمام بالقضايا الشمالية أو دعم متمردي دارفور وشرق السودان، ولكن جارانج كان يحب استخدام هذه

التحالفات في اكتساب أوراق ضغط، ومن المعروف أيضاً أن (سيلفا كير) له توجهات دينية كنسية أكبر من جارانج .

مستقبل السلام

مستقبل السلام بـين الشـمال والجنـوب، أو الانفصـال والوحدة، ثم موضوع السودان برمته، والتمرد في دارفـور، أو شرق السودان، سوف يتأثر بالضرورة بغياب جـارانج، فخيار الوحدة لا يروق لـ(سيلفا كير)، ولكن في هذا الصدد فإن الضغط الأمريكي والغربي ربما سيجعل (سـيلفا كيـر) يفكر قبل أن ينحو هذا المنحى الذي سوف يتقرر بعد سـت سنوات فمصالح الولايات المتحدة تقتضـي وجـود سـودان ضعيف تحت التفكيك، وليس مفككاً؛ لأن التفكيـك سـيطلق العنان أولاً لقوى الإرهاب والتطرف في غيـاب حكومـات قوية، وصحيح أن تفكيك السودان سيضر مصر كثيراً وهـذا هدف إسرائيلي وأمريكي تقليدي، ولكن المحصلة حتـى الآن في اتجاه استمرار وجود سودان موحد ضـعيف سيسـتنزف السودان، ويستنزف مصر، وكذلك المصالح البترولية تقتضي اسـتمرار توحـد السـودان، ولكـن مـع الضـعف.

وبديهي أن مصر - أو من المفروض - أنها تراقب ذلك جيداً، وهي تمتلك الكثير من أوراق اللعب في المنطقة والسودان.

ومن ناحية أخرى فإن هناك قوى جنوبية أخرى من داخل قبيلة الدنكا نفسها، ومن خارجها، حيث يتشكل الجنوب بصفة أساسية من ثلاث قبائل "الدنكا - النوير، الشلك" وبديهي أن كلاً من قبيلتي الشلك والنوير لا تريدان انفراد الدنكا ولا الحركة الشعبية لتحرير السودان بأمور الجنوب، وهناك حركات أخرى - انفصالية - يقودها (رياك شار) من قبيلة النوير، و(لام اكول) من قبيلة الشلك، وكان هؤلاء قد دخلوا في معارك مع جارانج أكثر من مرة، ونسقوا أحياناً مع حكومة السودان ضده، والمسألة بهذا الشكل معقدة، وبديهي أن (سيلفا كير) لا يمتلك خبرة ودهاء جون قرنق لتحييد هذه الصراعات وحسمها لصالحه، كما لا يملك علاقات جارنج الدولية والإقليمية؛ بل وفي السودان ذاته حيث كان جارانج يقدم نفسه للجميع على أنه ليس انفصالياً، ولكن مجرد قائد وطني علماني، يريد بناء سودان علماني موحد، وقد نجح إلى حد كبير في فترات كثيرة في عمل تحالف مع الأمة والاتحاد

والأحزاب الصغيرة في الشمال للضـغط علـى الحكومـة.
ما بين تفاعلات الجنوب مع بعضه البعض، وتفاعلات الواقع الدولي والإقليمي، ورؤية (سيلفا كير) ذاته وخياراته، وقبوله أو عدم قبوله للنصائح الدولية والإقليمية سوف تتبلور وحـدة السودان، وشكله في غضون السنوات القادمة.